أيها المتأنّق
ماذا حلّ ببلادي؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المتأنّق ماذا حلّ ببلادي؟

تأليف
مايكل موور

ترجمة
حسّان البستاني

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

ISBN 9953-29-878-5

الطبعة الأولى

1426 هـ - 2005 م

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم،
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

المحتويات

كلمة المترجم

لا تعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن رأي الدار العربيـــة للعلوم، وقد تمت ترجمته لتعريف القارئ العربي بما يجول في رؤوس الانتلجنسيا الأمريكية، في الخـــط الرئيســـي لــــلإدارة الأمريكية أو ضدها.

ثناءٌ وإطراء

لمايكل مور وأيها المتأنّق، ماذا حلّ ببلادي؟

"مايكل مور هو كوميدي عبقري!"

- ذي إنديبندنت

"مُثير... منفتح... متّقد".

- جانيت ماسلين، نيويورك تايمز

"هو ليس سوى نبي سياسي.... حشود الموالين يعتبرونه وسيطاً سياسياً نافذاً... يهدف إلى إحداث تغيير جدّي".

- شيكاغو صن - تايمز

"مايكل مور يهدر الدماء. أيها المتأنّق، ماذا حلّ ببلادي؟ يلوم البيت الأبيض على كل شيء: روابط عائلة بوش بالعربية السعودية، الشركات الكبيرة والنفط، الحرب في العراق ونتائجها، خفض الضرائب، التأمين الصحّي و'الحرب على الإرهاب'.... هي دعوة رسمية للأمريكيين للاتّحاد بهدف ضمان هزيمة بوش في العام 2004. ويعطي الكثير من الأسباب للقيام بهذا الأمر... "

- أسوشيتد بريس

"مايكل مور هو كل ما لا يمثّله السياسي المعاصر. هو ذكيّ، مندفع، دنيويّ، مرِح، لا يدين لأحد، وأصيلٌ في تفانيه للوطن".

- دنفر بوست

"دعوةٌ للاستيقاظ، ركلةٌ في مؤخّرة العقل".

- غارديان

"في أيها المتأنّق، ماذا حلّ ببلادي؟ يهدف مايكل مور لاستعادة بلد يدّعي أنه ضلّ الطريق بسبب اليمينيين".

- إنترتاينمنت ويكلي

"هجومٌ لاذع على جورج دبليو سيُسعد مناوئيه... وهو مصمَّمٌ لإضفاء الحيويّة".

- بيبول

"بعد عقودٍ من الزمن، سيرجع المؤرّخون إلى هذه المرحلة ويقولون إن مايكل مور جذب الانتباه إلى روح العصر".

- سان فرانسيسكو كرونيكل

"مايكل مور جرح في الواقع إنساناً في الصميم. هي صدمة للنظام المحافظ. وقد يكون السلاح المميت الذي كان يبحث الليبراليون عنه. هو يميل إلى الهزل أكثر منه إلى الغضب. سيكون أكثر من عاملٍ مؤثّر في الدورة التالية للانتخابات من أيّ دورة أخرى..."

- فرانك ريتش، نيويورك تايمز

"هجائي... ستظل تضحك حتى بلوغك صندوق الاقتراع".

- تايم آوت نيويورك

"المعارضة تعود في الوقت المناسب.... نُشِرت وقائع مزعجة... لكنها لم تطَل الـ سي. إن. إن، ولم تكن جزءاً من الحوار الوطني. فقد ثابر مور... وهو بليغٌ بشكلٍ نموذجي حيال الحصص".

- أوتاوا سيتيزن

"كان مايكل مور لأكثر من عشر سنوات مشهِّراً غير رسمي بالفضائح مكلَّلاً بالغار، كاشفاً وساخراً من الطمع، والتكبّر، وفساد الشركات الأمريكية، وحماقة السياسات وريائها".

- يو. إس. كاثوليك

"هو كتابٌ يجدر بكلّ شخصٍ قراءته... يبحث الفصل الأخير في ما يمكن للمواطن العادي عمله من خلال مسعىً هادئ وسلمي لإزاحة الإدارة الحالية عن الحكم. عليكم بتقدير رجلٍ يضع رأسه على لوحة التهريم بسبب رغبته الجامحة بالقيام بما يظنّه صواباً".

BookLoons.com –

"مايكل مور هو من غير شك أكثر الكتّاب والمنتجين (أفلام، برامج تلفزيونية استعراضية) ذكاءً، وهزلاً، وانتقاداً للمجتمع في الوقت الحاضر... والفصل الأول وحده، 'سبعة أسئلة لجورج عن العربية السعودية'، جديرٌ بسعر الكتاب... لا تفوّتوه. من النادر الوقوع على كتاب بهذا المستوى من المرَح وإلهاب المشاعر وإثارة الاهتمام، في وقتٍ واحد، وبشكّلٍ مثيرٍ للإعجاب".

– هانتسفيل تايمز

"لم يكن فحسب الخطاب الأكثر إثارةً للإعجاب على الإطلاق لقبول جائزة الأوسكار، بل الحقيقة الكُبرى الأولى في القرن الحادي والعشرين:

'نعيش في أزمنة زائفة لنا فيها نتائج انتخابات زائفة اختارت رئيساً زائفاً. نعيش في زمنٍ يقوم رجلٌ بإرسالنا إلى الحرب لأسبابٍ زائفة'.

"مع كامل احترامنا وتقديرنا".

– لندن دايلي ميرور

"رائع... مغيظ للرجل الرديء... مور، وهو الموثّق الأكثر شهرةً منذ روبرت فلايرتي، يملك فرصةً لإيجاد أرضيّةٍ صالحة للمقاومة الحقيقية والتساؤل، ولا سيّما لأولئك المتمتّعين بخبرة قليلة والذين يتّخذون جانب الحياد في ما يتعلّق بالتوجّه الأمريكي".

BuffaloReport.com –

مصدَّق عليه

صُدِّق على هذا الكتاب من قِبَل دائرة الأمن الوطني. لا يحتوي على مواقف تحريضيّة أو ما ينمّ عن الخيانة. تمّ تفحّص وتحليل كل كلمة من قِبَل فريقٍ من خبراء الإرهاب للتأكّد من أنه لا يوفّر المساعدة أو التشجيع للعدوّ. لا يفضح هذا الكتاب أيّ أسرارٍ للدولة أو ينشر وثائق سرّية قد تتسبّب بالإرباك للولايات المتحدة الأمريكية أو للقائد الأعلى لقواتها المسلّحة. لا يتضمّن رسائل مخبَّأة موجَّهة للإرهابيين. هو كتابٌ ديني جيّد وضعه أمريكي وطني يعلم أننا سنقوم بسحقه إن هو تخطّى حدوده. وإذا اشتريت هذا الكتاب، نُلفت نظرك إلى أنه وفقاً للفقرة 29 إي من قانون يو. إس. إي. باتريوت، دخل اسمك قاعدة بيانات لمشتبَهين محتمَلين أُنشئت كيلا نُضطر لإعلان القانون العرفي، وهو أمرٌ لن يحدث أبداً. وكون اسمك موجوداً على هذه اللائحة فإنه يخوّلك ربح الجائزة الكبرى بحيث إن عشرة فائزين محظوظين سينالون طاولات جديدة للمطبخ مع تحيّات كيتشن ماجيك. وإذا كنت في الواقع إرهابياً مخلصاً وقد اشتريت هذه النسخة من محل تجاري لبيع الكتب أو حصلت عليها من مكتبة، سعياً وراء استخدام المعلومات المتوافرة فيه، كن على ثقة بأننا نعرفك جيّداً. فهذه الصفحة التي تمرّر أصابعك عليها الآن مصنوعة من ورق كتّاني فائق السرّية يقوم بتسجيل بصمات الأصابع أوتوماتيكياً ويرسلها لاسلكياً إلى قيادتنا المركزية في كيسيمي، فلوريدا. لا تحاول فصل هذه الصفحة عن الكتاب - فقد فات الأوان. لا تحاول الفرار لأننا طوّقناك الآن يا فاعل الشرّ القذر... تسمّر مكانك! أسقط الكتاب من يدك! يداك إلى الأعلى! لك الحق في... لا حقوق لك البتّة! أنت لم تعد موجوداً! وأملاً في إدراك طريقتنا في الحياة، يمكنك الحصول على طاولة الفورميكا الخاصة بك المقاومة للبقع.

- توم ريدج، وزير الأمن الوطني

- جورج دبليو بوش، القائد الأعلى للقوات المسلّحة لوطن الأسلاف

لراشيل كوري

هل أتمتّع بشجاعتها يوماً

هل أدع موتها يذهب عبثاً

لأرديت بلايت، كارول جيلبرت

هل أذهب للجلوس في زنزانتهما

وهما تأتيان وتجلسان في زنزانتي

لآن سبارانيز

عملٌ واحد بسيط، وأنقذِ صوت

هل هناك مليون آخر من أمثالها

لإنقاذنا كلّنا

المقدمة

أحب الاستماع إلى قصص الناس حول مكان وجودهم صبيحة 11/9 وما كانوا يفعلون، ولا سيما قصص أولئك الذين شاء القدر والحظ أن يبقوا على قيد الحياة.

فعلى سبيل المثال، هناك شخصٌ كان قد عاد للتوّ من قضاء شهر العسل قبل يومٍ واحد من هذه الأحداث. وفي تلك الليلة، في العاشر من أيلول/سبتمبر، فكّرت زوجته الجديدة في أن تحضّر له وجبة البارّيتو المترلية المفضَّلة لديها. لكنها كانت كريهة الطعم، وكان كمن يأكل القار على مبعُدة من شبكة المواصلات المركزية التابعة لطريق النقل السريع مايجور ديغن. لكن الحُب يتجاهل كل هذه الأمور، وما يُهمّ هو طعم العطاء لا الطعام. فأخبرها عن مدى امتنانه وحبّه لها، وطلب طبقاً آخر.

وفي الصباح التالي، في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، كان في قطار الأنفاق متّجهاً إلى مقرّ عمله في بروكلين في أحد الطوابق العليا من مركز التجارة العالمي. وقد يكون النفق مؤدّياً إلى مانهاتن، لكن رجلنا كان يتّجه جنوباً، ولا أعني شاطئ جيرسي. وبدأ يشعر بالغثيان، وكان مريضاً بالفعل. فقرّر قطع رحلته لمرّةٍ واحدة فقط قبل بلوغ مركز التجارة العالمي. فصعد سلالم النفق مسرعاً في محاولةٍ يائسة للعثور على التسهيلات. ولكن، هذا هو حال نيويورك وقد فشلت محاولته. وهكذا، بدا في زاوية تقاطع شارعي بارك روو وبرودواي وكأنه رجل ملصقٍ إعلاني جدير بالثقة قاضياً حاجته على الملأ.

ومحسّاً بالإرباك والخزيّ - ولكن شاعراً بحالٍ أفضل! - أشار لسيارة أجرة غجرية بالتوقف، عارضاً على سائقها مبلغ 100 دولار للعودة به إلى المترل (9 دولارات للرحلة و91 دولاراً ثمناً لسيارة جديدة).

وعندما بلغ الرجل مترله، دخل مسرعاً للاستحمام وتبديل ملابسه والعودة

إلى مانهاتن. ولدى خروجه من الحمّام، تسمّر أمام شاشة التلفاز مندهشاً من مشهد الطائرة المندفعة إلى داخل الطابق حيث كان يعمل، وحيث كان سيلقى حتفه هناك تماماً الآن لو لم تحضّر له زوجته المحبة ذلك الطبق الرائع والمدهش. فانهار وأجهش بالبكاء.

وقصتي المتعلقة بـ 11/9 لم تكن نجاةً بأعجوبة. كنت نائماً في سانتا مونيكا، وإذ بالهاتف يرنّ حوالى السادسة والنصف صباحاً، وكانت حماتي المتّصلة. "نيويورك تتعرّض للهجوم!" هذا ما سمعتها تقول وأنا غير يقظ تماماً. أردت أن أقول: "نعم، وما الجديد إذاً - فهي السادسة والنصف صباحاً!".

"نيويورك في حالة حرب"، أكملَت. ولم يعنِ لي ذلك مرّةً أخرى سوى أن نيويورك هي في حالة حرب. "أدرِ التلفاز"، قالت. وهكذا كان. ولم أكد أوقظ زوجتي حتى ظهرت مشاهد البرجين المشتعلين. حاولنا إعادة الاتصال بابنتنا في منزلها في نيويورك، ولكن دون جدوى. ثم حاولنا الاتصال عبثاً بصديقتنا جوان (التي تعمل بالقرب من مركز التجارة العالمي)، فلازمنا أماكننا مصعوقَين. ولم نغادر السرير أو التلفاز حتى الخامسة من بعد الظهر عندما اكتشفنا في النهاية أن ابنتنا وجوان هما بخير.

لكن منتجاً كنا قد عملنا معه، هو بيل ويمز، لم يكن بخير. فما إن بدأت شبكات التلفزة بتمرير قائمة في أسفل شاشاتها بأسماء أولئك الذين كانوا على متن الطائرات حتى ورد بينها اسم بيل. وآخر ذكرياتي معه كانت عندما كنا نحن الاثنين منهمكَين بتصوير مشهد عن صناعة التبغ في منزلٍ يشهد مأتماً جنائزياً. ضع رجلين ذوي حسٍّ شرّير بالفكاهة مع مجموعة من الحانوتيين تحصل على ما ندعوه نيرفانا أو حالة نسيان الهمّ والألم. وبعد ثلاثة أشهرٍ مات و- كيف نقولها؟ - "الحياة التي عرفناها تبدّلت إلى الأبد".

هل تبدّلت حقاً؟ وكيف حصل ذلك؟ هل مضى وقتٌ كافٍ على ذاك النهار المأساوي بحيث صار بالإمكان طرح هذا السؤال وإيجاد جواب عقلاني عليه؟ بعض الأمور تبدّلت بالتأكيد بالنسبة إلى زوجة بيل وابنتهما البالغة السابعة من العمر. هي الجريمة بحدّ ذاتها أن يؤخَذ والدها منها وهي صغيرة السنّ. والحياة تبدّلت بالنسبة

لأحبّاء الثلاثة آلاف الآخرين الذين قُتلوا. فهم لن يتخلّصوا أبداً من الأسى الذي يشعرون به. وقد قيل لهم إنه "عليهم الاستمرار". الاستمرار بأيّة طريقة؟ فأولئك الذين فقدوا شخصاً ما (هو أيّ واحد منا في نهاية الأمر، كما أعتقد) يعرف أنه فيما "تستمر" الحياة، فإن اللكمة في الأحشاء، والأسى في القلب لن تغادرنا أبداً، فيجب إذ ذاك إيجاد الوسائل لتقبّلها بسرور والتأقلم معها.

وبطريقة أو بأخرى، نتدبّر كلّنا أمورنا بالرغم مما لحق بنا من خسائر، ونستيقظ في الصباح التالي والصباح الذي يليه، ونجهّز طعام الفطور للأولاد، ونغسل كمّيةً أخرى من الملابس، وندفع الفواتير و...

في غضون ذلك، وفي واشنطن دي. سي. البعيدة، تتبدّل الحياة أيضاً. وبانتهاز حزننا وخوفنا "ممّا" قد يحدث ثانيةً، استخدم رئيسٌ معيَّن أموات 11/9 كغطاء مناسب، وتبرير، لتغيير طريقة حياتنا الأمريكية بشكلٍ مستمر. فهل أن سبب موهمٍ هو مدعاةٌ لجورج دبليو. بوش ليحوّل البلاد إلى تكساس أخرى؟ فقد مضت سنتان على 11/9، وإن استمرار الأمور على حالها لسنة ثالثة أو رابعة ليس أمراً بعيد الاحتمال. وإذا ما سُمح لهذا الوضع بالاستمرار فإن كل ما نكون قد أنجزناه سيكون بمثابة إهانة لأولئك الأموات الثلاثة آلاف. وأعلم أن بيل ويمز لم يمت ليتمّ استخدامه كعذرٍ لقصف الأبرياء وراء البحار. وإذا أُريدَ إعطاء معنى أكبر لموته وحياته من الآنَ فصاعداً، وجُب التأكد إذ ذاك من أن أي شخص آخر مثله لن يكون عليه فقد حياته أو حياتها، في هذا العالم العنيف والمجنون، عالم يبدو لنا على شفير الهاوية لاعتماد الأساليب التي لا نعتبرها مُرضية أبداً.

أنا محظوظ، على ما أعتقد، لأنه يتعيّن عليّ كتابة هذه الكلمات التي تقرأون. ليس فقط لأنه يتعيّن عليّ العيش في البلد الأكثر روعةً في العالم الواسع بأكمله، بل لأنه بعد 11/9، كان يحاول ناشري السابق ريغن بوكس (وهو قسم من هاربركوليتز الذي هو قسمٌ من نيوز كورب المالكة لفوكس نيوز والمملوكة بالكامل من روبرت موردوك) التأكّد جاهداً مما إذا كانت مهنتي ككاتب ستنتهي باكراً.

والنسخات الخمسون ألفاً لكتاب "رجال بيض أغبياء" انتهت طباعتها في

اليوم السابق لـ 11/9، ولكن عندما حلّت المأساة في الصباح التالي، لم تتمكّن أبداً الشاحنات التي كان من المقرّر أن تنقلها إلى المكتبات في البلد من مغادرة منصّة التحميل. واحتجز الناشر الكتب طيلة خمسة أشهر كاملة - ليس بسبب الفطنة والاحترام بل بسبب الرغبة بإخضاع ما كنت أرغب بقوله للرقابة. وقد أصرّوا على أن أعيد كتابة حوالى 50 بالمئة من الكتاب وإلغاء المقاطع التي وجدوا أنها عدائية لقائدنا، السيد بوش.

أما أنا فرفضت تغيير أيّ كلمة. وراوح الوضع مكانه حتى سمعتني أمينة مكتبة في نيوجرسي أتكلّم عن الاتصال الهاتفي الذي تلقّيته للتوّ من الناشر موردوك والذي قال لي إنه يبدو أن لا خيار أمامهم، والفضل لعنادي، سوى "نزع لبّ" النسخات الخمسين ألفاً وإدخال تعديلات عليها؛ وكانت الكتب تستقطب الغبار في مستودعٍ في سكرانتون، بنسيلفانيا. وقد قيل لي ألا أتوقّع الكثير من مهنة الكتب بعد الذي حدث، لأن إشاعة تعتبرني "مصدراً للمشاكل" ستنتشر، وهي عقوبة ملَكيّة بحق مؤخِّرة من لا يلعب الكرة.

وأمينة المكتبة هذه، آن سبارانيز، وهي امرأة لم أعرفها في السابق، أرسلت بريداً إلكترونياً لقائمة من أمناء المكتبات مخبرةً إيّاهم أنه تمّ تحظير كتابي. وانتشرت رسالتها عبر الإنترنت بسرعة كبيرة، وفي خلال أيام، كانت رسائل من أمناء مكتبات غاضبين تتدفّق على ريغن بوكس. فتلقّيت رسالة من شرطة موردوك.

"ماذا أخبرت أمناء المكتبات؟"

"عجباً! لا أعرف أياً من أمناء المكتبات".

"بلى تعرف! أخبرتهم عما نتّخذه من إجراءات بحق كتابك والآن... نتلقّى بريداً باغضاً من أمناء المكتبات!"

"أعتقد أنها مجموعة إرهابية لا تريدون العبث معها".

وخوفاً من احتشادٍ مجنون لأمناء مكتبات هائجين مندفعين غضباً إلى الجادّة الخامسة ومطوّقين مبنى هاربركوليتز، رافضين المغادرة إلى أن يتمّ إما الإفراج عن كتابي من مستودع سكرانتون أو سحب موردوك نفسه وتقليده شعار النَبالة

(وهكذا، كان بإمكاني جعل بيل أورايلي يغطي رأسه بثيابه الداخلية طيلة أسبوعٍ كامل)، استسلمت نيوز كورب. فأغرقوا بعض المكتبات بكتابي دون أي إجراءٍ إعلاني أو مراجعة نقدية للكتاب أو تقديم عرض لزيارة ثلاث مدن: أرلينغتون! دنفر! وفي مكان ما من نيوجرسي! وبكلمات أخرى، أُرسل الكتاب إلى المشنقة لموتٍ سريعٍ خالٍ من الألم. من المؤسف حقاً ألا تصغي إلينا، قال لي أحد رجال موردوك، كنا نحاول فقط مساعدتك. فالبلاد تدعم جورج دبليو بوش ومن المضلّل عقلانياً ألا تعيد كتابة عملك والإقرار بأنه قام بعملٍ جيد منذ 11/9. فقدتَ صلتك بالشعب الأمريكي ويعاني كتابك حالياً نتيجةً لذلك.

لقد فقدت صلتي بأندادي الأمريكيين لدرجة أنني، في غضون ساعات بعد إطلاق الكتاب، بلغ المرتبة الأولى في الأمازون – وفي غضون خمسة أيام، كانت طبعته التاسعة قيد التحضير. وهو في طبعته الاثنين والخمسين فيما أكتب هذه الكلمات.

وأسوأ ما يمكن إطلاع شعب حرٍّ عليه في بلد ما يزال يتمتّع بالحرّية في المقام الأول هو أنه لا يُسمح لهم بقراءة شيء ما. غير أنني كنت قادراً على إسماع الصيحات والأشياء المضحكة حول هذا البلد العظيم – وقد بلغ كتابي المرتبة الأولى في مبيعات الكتب غير الروائية لهذا العام في الولايات المتحدة. هذا، ولن يخضع الناس للتهويل والإكراه ولن يكون بالإمكان خداعهم. فقد يبدو الشعب الأمريكي غير مدرك لما يجري في غالب الأحيان وأنه يُمضي قسماً كبيراً من الوقت في اختيار غلافات من ألوان مختلفة لأجهزهم الخليوية، ولكنهم، عندما يجدّ الجدّ، سيثبتون أهم أهلٌ لمواجهة هذا التحدّي وسيقفون إلى جانب ما هو محقّ.

وها أننا مع هذا الكتاب الجديد ومع أي. أو. إل. تايم وارنر ووارنر بوكس. أعلم، أعلم، متى أتّعظ؟ ولكن إليكم أخباراً جيّدة. طيلة مدة كتابتي لهذا العمل، كانت أي. أو. إل. تحاول التخلّص من وارنر بوكس. لَم تريد شركة إعلامية التخلّص من قسمها الذي يُعنى بالكتب؟ ما الذي قامت به وارنر بوكس وأزعج مسؤولي إي. أو. إل. الأقوياء؟ أتصوّر أنه إذا أرادت أي. أو. إل. التخلّص من هؤلاء فيجب أن يكونوا موافقين. أضف إلى ذلك أن أنسباء وارنر الآخرين في هذا

الائتلاف المتشابك - وارنر بروس. بيكتشورز - تولّوا مهمة توزيع فيلمي الأوّل روجير إند مي. وكانوا مخلصين ولائقين و لم يهدّدوا أبداً بـ "نزع لبّه".

حسناً، سأقوم بتفسير الأمور بشكلٍ منطقي عقلاني. ست شركات إعلامية تملك كل شيء. ويجب وضع حدّ لأعمال الاحتكار هذه لصالح البلد! كما أن التدفّق الحرّ للأخبار والمعلومات في نظامٍ ديموقراطي يجب أن لا يكون في أيدي بعض الأثرياء القلائل.

لكن، والحقيقة تقال، يبدو أنهم يدعمونني 100 في المئة، لا بل 1000 في المئة!! فلم يشيروا مرّةً واحدة إلى أنني "مصدرٌ للمشاكل".

ولكن من ناحية ثانية، لا يجب القلق عليّ في الواقع بل على أمناء المكتبات، وعليكم.

مايكل مور

في مكانٍ ما على جزيرة غرينلاند

15 آب/أغسطس 2003.

الفصل الأول

سبعة أسئلة لجورج عن العربية السعودية

في بادئ الأمر، بدا الوضع وكأن طائرة صغيرة اصطدمت من غير قصد بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي. وكانت الثامنة وستٍّ وأربعين دقيقة من الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، ولم يوقف أحد ما كانوا يقومون به بالرغم من تسرّب الأخبار لتشمل كافة أنحاء أمريكا. كانت مصادفة غريبة بلا ريب، لكن معظم البلد واصلت استعدادها للعمل أو للمدرسة أو للعودة إلى النوم.[1]

وبعد مرور سبع عشرة دقيقة، أشارت التقارير إلى أن طائرةً ثانية اصطدمت بمركز التجارة العالمي. وفجأةً، تبدّل التفكير العام للأمّة جذريّاً ليجتمع حول فكرةٍ واحدة: "هذه ليست مصادفة!"

وأُديرت أجهزة التلفزة في كل مكان. لم يكن الأمر مشابهاً لأي أمرٍ آخر رأيتموه من قبل. ففي مواجهة حدث لا مثيل له، كان عقلكم يُجري عمليّة مسحٍ ذاتي محاولاً تحليل وفهم معنى كل ذلك، وبصفةٍ خاصة، معنى كل ذلك إزاء نجاتكم

(1) حاشية بخصوص الحواشي في هذا الكتاب: بالنسبة لكل الفصول الأخرى، وضعت المصادر والحواشي في آخر الكتاب كيلا أقاطع انسجام القرّاء. لكن هذا الفصل يحتوي على أسئلة عديدة جدّية، وقائع وتهم، رأيت أنه من الأفضل ذكرها في هذه الصفحات. والعديد من هذه المقالات المصادر سترد على موقع الويب الخاص بي www.michaelmoore.com حيث يمكنكم قراءتها بالكامل.

شخصياً، سواءً كنتم تشاهدون ما يجري من سقف بيتكم في تريبيكا أو على الـ سي. إن. إن. في توبيكا.

كنتم منبهرين، مصعوقين أمام شاشة تلفزة أو جهاز راديو، وما لبثتم أن اتّصلتم بكل من عرفتموه؛ 290 مليون أمريكي كلّهم يسألون أحدهم الآخر السؤال نفسه: ماذا يجري بحق الجحيم؟؟؟؟

كان هذا السؤال الأول من بين أسئلة عديدة انبثقت حول مأساة 11 أيلول/سبتمبر. وأنا الآن لست في وارد طرح نظريات تآمرية، باستثناء تلك الحقيقية أو التي تشمل أطباء الأسنان. أعتقد أن كل أطّبّاء الأسنان قد اجتمعوا في إحدى المراحل وقرّروا أن المال الحقيقي يكمن في قنوات جُذور الأسنان وكمّيات وافرة من أشعة إكس كلّما قمتم بزيارتهم. فأي ثدييٍّ آخر في مملكة الحيوانات عليه المرور بهذه التجربة.

والأسئلة التي أطرح حول 11 أيلول/سبتمبر لا تتعلّق كلها بكيفية اختراق الإرهابيين نظامنا الدفاعي أو كيف أنهم كانوا قادرين على العيش في هذا البلد دون أن يتمّ كشفهم أبداً أو كيف أن كل البلغاريين الذين عملوا في مركز التجارة العالمي حصلوا على بلاغٍ سرّي بعدم مزاولة أعمالهم في ذاك اليوم أو كيف أن البرجين انهارا بسهولة فيما أنهما مبنيّان لمقاومة الزلازل كما هو مفترَض، وموجات المدّ البحري، والشاحنات المفخّخة في مرآبيهما المخصّصين لإيقاف السيارات.

كان هناك كل أنواع الأسئلة التي كان من المفترَض بلجنة خاصة للتحقيق الإجابة عليها. لكن تشكيل تلك اللجنة بالذات عارضته إدارة بوش والجمهوريون في الكونغرس[2]. لكنهم عادوا وقبلوا في النهاية مُكرَهين - وقد سعوا إلى إعاقة الهيئة الاستقصائية من القيام بمهمّتها من خلال اعتراض سبيل التصديق على مشروع قانون ذي صلة[3].

(2) كن غاغنهايم، مؤيّدون للجنة 11/9 يلقون اللوم على البيت الأبيض بعد انهيار الاتفاق، ذي أسوشيتد بريس، 11 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(3) جو كوناسون، هل يمكن لبوش التكيّف مع أسئلة هيئة المحلّفين؟، ذي نيويورك أوبزرفر، 7 نيسان/أبريل 2003.

لَمَ لا تريد جماعة بوش اكتشاف الحقيقة؟ ممّا كانوا يخافون؟ من أن يعلم الشعب الأمريكي بأنهم كانوا غير متنبّهين تماماً لما يجري، وأنهم كانوا في خطرٍ داهم من التهديدات الإرهابية، وأنهم تجاهلوا بإصرار وعدائية تحذيرات رسميي كلينتون الودّيين حول أسامة بن لادن[4] فقط لأنهم أبغضوا كلينتون (الجنس! سيّئ!).

والشعب الأمريكي هو نوعٌ متسامح من الناس. فلم يكبحوا تسامحهم هذا حيال فرانكلين روزفلت عندما قُصفت بيرل هاربر. ولم ينأوا بأنفسهم عن جون إف. كنيدي لدى إخفاقه التام في مسألة خليج الخنازير. وهم ما زالوا غير مكترثين بقضية مقتل الأشخاص الأربعِ وسبعين الغامضة على عهد بيل كلينتون. إذاً، لَمَ لا يتحرّر جورج دبليو. بوش من العوائق التي تمنعه من قول الحقيقة بعد هذا الانهيار الكارثي للأمن القومي أو على الأقل، رفع الحظر عن ظهور الحقيقة؟

ربّما لأن جورج وشركاه لديهم الكثير مما يتكتّمون عنه ويتخطّى مسألة عدم إطلاق المقاتلات النفّاثة على الفور صبيحة 11 أيلول/سبتمبر. وربّما لأن الرسميين يخافون معرفة الحقيقة كاملةً لأنها قد تقودنا إلى سُبُلٍ لا نريد بلوغها، طرقٍ تنتهي بنا إلى شعورٍ بالانهيار والاكتئاب لأننا بتنا نعرف الكثير عن أولئك الذين يديرون شؤون البلد.

وبالرغم من أنني كنت مليئاً بالشكوكية السليمة المطلوبة من مواطنٍ يقيم في ظل نظامٍ ديموقراطي، فقد شاركت أيضاً وجهة النظر الأساسية التي تبنّاها معظم الأمريكيين في خريف العام 2001: أسامة هو المسؤول، وكل من ساعده في العملية يجب تعقّبه ومثوله أمام القضاء. وأملت في أن هذا ما كان بوش يسعى إليه.

وفي إحدى الليالي من تشرين الثاني/نوفمبر 2001، وفيما كنت مستلقياً على السرير نصف نائمٍ أقرأ مجلة ذي نيويوركر، استوقفني مقطعٌ من مقالة للصحافية الاستقصائية جاين ماير جعلني أجلس منتصباً وأقرأه مرةً ثانية لأنني لم أتمكّن من تصديق ما كُتِب. وجاء فيه:

(4) مايكل إليوت، وآل، كان لهم مخطط، تايم، 12 آب/أغسطس 2002.

والى عشرين عضواً آخرين من عائلة بن لادن، معظمهم موجودون هنا للدراسة في الكلّيات والمدارس الإعدادية، قيل إنهم كانوا في الولايات المتحدة عندما حصلت الهجومات. وجاء في الـ نيويورك تايمز أنهم استُدعوا جميعاً من قِبَل مسؤولين في السفارة السعودية تخوّفاً من أن يصبحوا ضحايا الانتقام الأمريكي. وبموافقة الـ أف. بي. آي، وفقاً لمسؤولٍ سعودي، انتقل أفراد عائلة بن لادن بطائرةٍ نفّاثة خاصة من لوس أنجلس إلى أورلاندو، ومن ثمّ إلى واشنطن، وأخيراً إلى بوسطن. وعندما سُمح بالرحلات الجوّية إلى الخارج، طارت الطائرة إلى أوروبا. وبدا أن الرسميين في الولايات المتحدة لم يكونوا بحاجة سوى إلى حدّ أدنى من الإقناع مارسه السفير السعودي في واشنطن، الأمير بندر بن سلطان، ليؤكّد بأن عائلة بن لادن الكبيرة لا تضمّ شهوداً أساسيين(5).

ماذا؟ كيف أغفلت هذه القصة في الأخبار؟ نهضت وعدت صفحات إلى الوراء في الـ نيويورك تايمز حيث وجدت هذا العنوان الرئيسي: "خوفاً من التعرّض للإساءة، فرّ أنسباء بن لادن من الولايات المتحدة". وبدأت القصة:

> في الأيام الأولى التي تلت الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن، أشرفت العربية السعودية على عملية الإجلاء الطارئ لـ 24 فرداً من عائلة أسامة بن لادن الكبيرة من الولايات المتحدة...(6).

وهكذا، وبموافقة الـ أف. بي. آي ومساعدة الحكومة السعودية – وبالرغم من أن خمسة عشر خاطفاً من أصل تسعة عشر هم مواطنون سعوديون – سُمح لأنسباء المشتبه به الأول في العمليات الإرهابية ليس فقط بمغادرة البلاد، بل قُدِّمت لهم المساعدة من قِبَل سلطات بلدنا! ووفقاً لـ ذي لندن تايمز، فإن "رحيل عددٍ مماثل من السعوديين أقلق المحققين الأمريكيين، خشيةً من أن يكون للبعض

---

(5) جاين ماير، عائلة بن لادن: ولاءات متضاربة للعائلة وللأمّة، ذي نيويوركر، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

(6) باتريك إي. تايلر، خوفاً من التعرّض للإساءة، فرّ أنسباء بن لادن من الولايات المتحدة، ذي نيويورك تايمز، 30 أيلول/سبتمبر 2001.

معلومات تتعلّق بعمليات الخطف. وأصرّ عملاء الـــ أف. بي. آي على التحقّق من جوزات السفر بما فيها تلك الخاصة بالعائلة الملكية".

هذا كل ما يمكن للـــ أف. بي. آي عمله؟ التحقق من بعض جوازات السفر، وطرح قليل من الأسئلة الموجَزة مثل: "هل وضّبت أمتعتك الخاصة؟" و"هل كانت أمتعتك بحوزتك منذ أن وضّبتها؟" ومن ثمّ، أُرسل هـــؤلاء الشـــهود الأساســـيون المحتمَلون إلى خارج البلاد مع تمنّياتٍ برحلة موفّقة وقبلة وداع. وكما كتبت جاين ماير في الـــ ذي نيويوركر:

عندما سألت ضابطاً أعلى في مخابرات الولايات المتحدة عمّا إذا دُرست مسألة احتجاز أفراد من العائلة، أجاب: "تُدعى هذه الحالة اتخاذ رهائن. نحن لا نقوم بذلك".

هل كان جدّياً بما يقول؟ لقد صعقني الأمر. هل قرأتُ مـــا كُتـــب بشـــكلٍ صحيح؟ لَم لم يتمّ التداول بهذا الأمر على نطاق واسع؟ ما الذي كان يحدث أيضاً؟ ما الذي كان يجري ولم نُعلَم به أو، إن تمّ إعلامنا، لَم لم نكن متنبّهين؟ هل ترغب بقية أمريكا – وبقية العالم – بمعرفة الحقيقة الكاملة؟

أخرجت إضمامة ورق للمحامين وبدأت بوضع قائمة بكل الأسئلة الـــتي لم تتمّ إضافتها بعد. بالطبع، لم أكن أبداً جيّداً بعلم الرياضيات؛ لذا، ولإتمام عمليّـــة الإضافة كاملةً وتحليل كل ما عنى الأمر، تصوّرت أنني بحاجـــة تقريبـــاً لمســـاعدة متخرّجٍ من كلّية هارفارد للأعمال[7].

إذاً، جورج دبليو، ما رأيك بمساعدتي؟ فنظراً لأن معظـــم الأســـئلة تعنيـــك شخصياً، تبقى الشخص الأفضل على الأرجح لمساعدتي – ومساعدة الأمّـــة – في فرز ما أخرجته إلى النور.

لديّ سبعة أسئلة لك، سيد بوش، وأرجو أن تكون كريماً بالإجابـــة عنـــها. أطرحها نيابةً عن ثلاثة آلافٍ ماتوا في ذلك اليوم من أيلول/سبتمبر، وأطرحها نيابةً

(7) عام 1975، حاز جورج على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من كلّية هارفارد للأعمـــال، وفقاً لسيرته الذاتية في البيت الأبيض.

عن الشعب الأمريكي. أعلم أنك تشاطرنا الأسى نفسه الذي نشعر به كلّنا، وآمل أنك (أو الناس الذين ساهموا من غير قصد بهذه المأساة) لن تكون متكتّماً عن الحقيقة. فنحن لا نسعى لأي انتقامٍ ضدك. نريد فقط معرفة ما حدث، وما يمكن عمله لمثول المجرمين أمام القضاء بحيث يمكننا الحؤول دون أي هجمات مستقبلية على مواطنينا. أعلم أنك تريد الأشياء نفسها، لذا أرجوك ساعدني بهذه الأسئلة السّبعة...

سؤال رقم 1: هل صحيح أن آل بن لادن كانت تربطهم بك وبعائلتك علاقات عمل على نحوٍ متقطّع في السنوات الخمس وعشرين الماضية؟

سيد بوش، في العام 1977، عندما أخبرك والدك أن الوقت قد حان للحصول على وظيفةٍ حقيقية، قام بتعيينك، بما يتلاءم، مع أول شركة نفط تابعة لك والتي دعوتها Arbusto (بالإسبانية) أي "شُجيرة" (Bush بالإنكليزية)[8]. وبعد عام، استلمتَ تمويلاً من رجلٍ يدعى جايمس آر. باث[9]. وكان زميلاً قديماً لك مذ كنت[10] في قوات الحرس الوطني الجوّية في تكساس[11]. وكان سالم بن لادن – شقيق أسامة – قد استخدمه لاستثمار أموال بن لادن في مشاريع متنوّعة في تكساس. فحوالى 50.000 دولار – أي 5 بالمئة من رأسمال أربوستو – مصدرها السيد باث[12].

---

(8) مايك ألن، بالنسبة إلى بوش، هو وضعٌ متقلقل، ذي واشنطن بوست، 23 حزيران/يونيو 2000.

(9) توماس بتزينغر الابن، وآل، روابط عائلية: كيف أن شركة نفط مرتبطة بأحد أبناء بوش تفوز بمعاهدة البحرين للتنقيب – كان لهاركن إنرجي شبكة من الاتصالات الشرق أوسطية؛ بعيداً عن الأضواء: بي. سي. سي. آي – دخول إلى البيت الأبيض، ذي وال ستريت جورنال، 6 كانون الأول/ديسمبر 1991.

(10) والتر في. روبنسون، سجل عسكري: تبقى أسئلة حول فترة الخدمة العسكرية لبوش كربّان في الحرس، ذي بوسطن غلوب، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2000؛ إلين غامرمان، تعرّض بوش للانتقادات في طريقه إلى البيت الأبيض، ذي بالتيمور صن، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2000.

(11) جوناثان بيتي، محرّكٌ غامض للأموال والخطط، مجلة تايم، 28 تشرين الأول/أكتوبر 1991.

(12) جيري أوربن، الفدراليون يحققون مع مقاول له ارتباطات بالسعوديين كما يُدَّعى، هيوستن كرونيكل، 4 حزيران/يونيو 1992؛ مايك وارد، لأنسباء بن لادن روابط بتكساس، أوستن أمريكان – ستايتسمان، 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

هل كان يعمل لصالح آل بن لادن؟

قد يتفاجأ معظم الأمريكيين بعلمهم أنك ووالدك عرفتما آل بن لادن منذ مدة طويلة. ما هو بالتحديد مدى هذه العلاقة، سيد بوش؟ هل أنتم أصدقاء مقرَّبين على صعيد شخصي، أم ببساطة زملاء عمل على نحو متقطّع؟ فقد بدأ سالم بن لادن القدوم إلى تكساس عام 1973 واشترى مؤخّراً أرضاً وبنى عليها منزلاً، وأسّس شركة بن لادن للملاحة الجوّية في مطار سان أنطونيو(13).

وآل بن لادن هم من العائلات الأكثر ثراءً في العربية السعودية. فمؤسسة البناء الضخمة التابعة لهم شيّدت البلاد في الواقع، من الطرقات ومحطات توليد الطاقة، إلى ناطحات السحاب والمباني الحكومية. فقد بنوا بعض مهابط الطائرات التي استخدمتها أمريكا خلال حرب الخليج التي شنّها والدك، وجدّدوا المواقع المقدَّسة في مكّة والمدينة(14). وبعد مضاعفة ثروتهم التي بلغت عدة بلايين من الدولارات، بدأوا بالاستثمار في مشاريع حول العالم، ولا سيما في الولايات المتحدة. وكان لهم علاقات عمل واسعة مع سيتي غروب، جنرال إلكتريك، ميريل لينش، غولدمان ساشز، ومجموعة فريمونت - المشتقّة من شركة الطاقة العملاقة بشتل. ووفقاً لـ ذي نيويوركر، ملكت عائلة بن لادن أيضاً قسماً من مايكروسوفت وبوينغ العملاقة التي تُعنى بأمور الطيران والدفاع(15). ومنحوا مليوني دولار لكليّتك الأم، جامعة هارفارد، و300.000 دولار إضافي لجامعة توفتس Tufts، وعشرات الآلاف من الدولارات لمجلس سياسة الشرق الأوسط، وهي

---

(13) مايك وارد، لأنسباء بن لادن روابط بتكساس، أوستن أمريكان-ستايتسمان، 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ سوزان هوهوليك وترافيس إي. بولينغ، شقيق بن لادن كان يدير الأعمال وكان محبوباً في منطقة وسط تكساس، سان أنطونيو إكسبرس-نيوز، 22 آب/أغسطس 1998.

(14) سوسان سيفاريد، هجماتٌ تؤذي كتلة بن لادن، ذي أسوشيتد بريس، 7 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ ريتشارد بيستون، المنبوذ الذي جلب العار للعائلة، ذي لندن تايمز، 15 أيلول/سبتمبر 2001.

(15) جاين ماير، عائلة بن لادن: ولاءات متضاربة للعائلة وللأمّة، ذي نيويوركر، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ مايكل موس وآل، عائلة بن لادن ذات الروابط الغربية الوثيقة تناضل لإعادة تأسيس سمعة، ذي نيويورك تايمز، 28 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

مؤسسة أبحاث فكرية يرئسها سفير أمريكي سابق إلى العربية السعودية هو تشارلز فريمن[16]. وإضافةً إلى أملاكهم في تكساس، يملكون أيضاً عقارات في فلوريدا وماساشوستس.[17]

وللأسف، كما تعلم سيد بوش، مات سالم بن لادن في حادث تحطّم طائرة في تكساس عام 1988 (ووالده محمد مات أيضاً في حادث تحطم طائرة عام 1967)[18]. وأشقاء سالم - وهم حوالى الخمسين بمن فيهم أسامة - استمرّوا بإدارة شركات العائلة واستثماراتها.

وبعد انقضاء فترة حكمه، أصبح والدك مستشاراً بأجرٍ عالٍ لشركة كارلايل غروب. وأحد مستثمري هذه الشركة لم يكن سوى عائلة بن لادن. وساهم آل بن لادن بمبلغ مليوني دولار في كارلايل غروب[19].

وحتى العام 1994، ترأّستَ شركة كاترإير المملوكة من كارلايل غروب. وفي السنة نفسها، غادرت كاترإير التي كانت على شفير الإفلاس، وأصبحت حاكماً ومشرفاً على جامعة تكساس - مؤسسة حكومية - واستثمرت مبلغ 10 ملايين دولار في كارلايل غروب[20]. وركبت عائلة بن لادن قطار الكسب غير المشروع في كارلايل عام 1994[21].

---

(16) أمبراطورية أعمال بن لادن، سان بيترسبورغ تايمز، 23 أيلول/سبتمبر 2001؛ آن إي. كورنبلات وأرون زيتنر، لعائلة رمز الإرهاب روابط حميدة في الولايات المتحدة، ذي بوسطن غلوب، 26 آب/أغسطس 1998؛ مارشيلا بومبارديري، في كامبريدج، أحد أفراد عائلة بن لادن يخرق صمت العائلة، ذي بوسطن غلوب، 7 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(17) مايكل دوبس وجون وارد أندرسون، شجرة عائلة ممزّقة لهارب، ذي واشنطن بوست، 30 أيلول/سبتمبر 2001.

(18) ميتش فرانك، عشيرة ثريّة وفردها المرتد، تايم، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ ثمانية عشر ماتوا في حادث تحطّم طائرة خلال عطلة نهاية الأسبوع، يونايتد بريس إنترناشونال، 31 أيار/مايو 1988.

(19) كورت إيكنوالد، عائلة بن لادن تسيّل السندات والأسهم مع كارلايل غروب، ذي نيويورك تايمز، 26 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(20) جو كوناسون، ملاحظات حول ابنٍ وطني، هاربرز ماغازين، 1 شباط/فبراير 2000.

(21) كورت إيكنوالد، عائلة بن لادن تسيّل السندات والأسهم مع كارلايل غروب، ذي نيويورك تايمز، 26 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

وكارلايل غروب هي أحد أكبر موقّعي العقود في البلاد في مجال الدفاع وفي مجالات عمل أخرى. فهم في الواقع لا يصنّعون الأسلحة بأنفسهم، بل، عوضاً عن ذلك، يقومون بشراء شركات دفاع متعثّرة ويبيعوها لقاء مبالغ ضخمة من المال.

والأشخاص الذين يديرون شؤون كارلايل غروب هم نخبة سابقة تضم فرانك كارلوتشي وزير الدفاع في إدارة رونالد ريغن، وجايمس بايكر وزير الخارجية في إدارة والدك، وجون مايجر رئيس الوزراء البريطاني السابق[22]. وصودف أن يكون رئيس كارلايل، كارلوتشي، جنباً إلى جنب مع ممثّلٍ لأعمال عائلة بن لادن في هيئة مجلس سياسة الشرق الأوسط[23].

وبعد 11 أيلول/سبتمبر، نشرت ذي واشنطن بوست وذي وال ستريت جورنال قصصاً تشير إلى هذه المصادفة الغريبة. وأول جوابٍ لك، سيد بوش، كان تجاهل الموضوع، آملاً، على ما أعتقد، في أن تمرّ القصة فحسب. ولم يتنكّر والدك وزملاؤه في كارلايل لاستثمار بن لادن. واشتركت الجماعة الوافرة من النقاد التابعين لك في عملية التوجيه الملفّق، قائلين إنهم غير قادرين على وضع أفراد عائلة بن لادن هؤلاء وأسامة في الخانة نفسها. لقد تبرّأوا من أسامة! ولا علاقة لهم به! وهم يكرهون ويزدرون ما قام به! فهؤلاء هم أفراد عائلة بن لادن الصالحون.

ومن ثمّ نُشرت محتويات الفيديو، مظهرةً عدداً من هؤلاء الصالحين - بمن فيهم والدة أسامة، إحدى شقيقاته وشقيقان اثنان - مع أسامة في حفل زواج ابنه قبل ستة أشهرٍ ونصف فقط من 11 أيلول/سبتمبر[24]. وجاء في تقريرٍ في ذي نيويورك تايمز أنه بالإضافة إلى أن العائلة لم تعمد إلى قطع روابطها بأسامة، فقد استمرّت بتمويله كما كانت تفعل منذ سنوات. ولم يكن خافياً على

(22) www.carlylegroup.com

(23) هيئة مجلس سياسة الشرق الأوسط. http://www.mepc.org/public%5Fasp/about/board.asp

(24) الجزيرة؛ موجَز لمركز الصحافة الأجنبية في واشنطن مع ريتشارد باوتشر، مساعد وزير الخارجية للشؤون العامّة، 28 شباط/فبراير 2001؛ ثناء بن لادن في حفلة زفاف ابنه على الهجوم الذي تعرّضت له يو. إس. إس. كول، أجانس فرانس بريس، 1 آذار/مارس 2001.

الـ سي. آي. إي أن أسامة بن لادن كان قادراً على ولوج ثروة عائلتـه (تقـدَّر حصته بثلاثين مليون دولار على الأقل[25])، وأن آل بن لادن وسعوديين آخـرين رصدوا مبالغ كبيرة لأسامة بن لادن وتنظيمه، "القاعدة"[26].

سيد بوش، بعد مضيّ أسابيع قليلة على هجمات نيويورك والبنتاغون، كـان والدك وأصدقاؤه في كارلايل غروب مـا زالـوا يرفضـون المسـاس بـدعمهم لأمبراطورية بن لادن.

وأخيراً، وبعد حوالى شهرين من الهجمات، وبازدياد عدد الناس المتسائلين عن أولويّة أفراد عائلة بوش المتضامنين مع آل بن لادن، اضطّر والدك وكارلايل غروب لإعادة ملايين آل بن لادن بحيـث لا يكونـون مـن المسـتثمرين في الشركة[27].

لَم تتطلّب الأمر هذه المدّة الطويلة؟

ولجعل الأمر اسوأ، ثبت في النهاية أن أحد الأشقاء من آل بن لادن – شفيق – كان بالفعل في مؤتمر عمل لغروب كارلايل في واشنطن، دي. سي، صبيحة 11 أيلول/سبتمبر. وفي اليوم الذي سبق، وفي المؤتمر نفسه، كان والدك وشفيق يتبادلان أطراف الحديث، ومن غير كلفة، مع عظماء الشأن في كارلايل الذين كانوا أعضاءً في الحكومة السابقة[28].

سيد بوش، ما هذا الذي يجري؟

لم تقم وسائل الإعلام باعتراض سبيلك بالرغم من أنها على علم بأن كل مـا

(25) بورزو داراغي، تمويل الإرهاب، موني، تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

(26) جاين ماير، عائلة بن لادن: ولاءات متضاربة للعائلة وللأمّـة، ذي نيويـوركر، 12 تشـرين الثاني/نوفمبر 2001.

(27) دانيال غولدن وآل، عائلة بن لادن مرتبطة بمجموعة أمريكية، ذي وال ستريت جورنـال، 27 أيلول/سبتمبر 2001؛ مايكل دوبس وجون وارد أندرسون، شجرة عائلة ممزّقـة لهـارب، ذي واشنطن بوست، 30 أيلول/سبتمبر 2001؛ كورت إيكنوالد، عائلة بن لادن تسيّل السـندات والأسهم مع كارلايل غروب، ذي نيويورك تايمز، 26 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(28) دان بريودي، المثلّث الحديدي: داخل العالم السرّي لكارلايل غروب؛ غريغ شنيدر، روابط وما ينتج عنها، ذي واشنطن بوست، 16 آذار/مارس 2003.

كتبتُه للتوّ هو الحقيقة (وفي الواقع، اقتبسته من الإعلام السائد نفسه الذي تعمل مصادر الأنباء لصالحه). فهي تبدو غير مستعدة أو خائفة من طرح سؤالٍ بسيط عليك: ما هذا الذي يجري؟

وإذا كنت غير مدركٍ تماماً لمدى غرابة الصمت التي لزمته وسائل الإعلام في ما يتعلّق بروابط بوش - بن لادن، دعني أستعين بفرضيّة تظهر كيفية تعامل الصحافة أو الكونغرس مع أمرٍ مماثل لو كان كلينتون يرتدي الحذاء نفسه. إذا اتّضح بعد الهجوم الإرهابي على المبنى الفدرالي في مدينة أوكلاهوما أن الرئيس بيل كلينتون وعائلته كان لهم علاقات مالية مع عائلة تيموتي ماكفاي، ما الموقف الذي كان ليتّخذه حزبك الجمهوري ووسائل الإعلام برأيك؟ هل تعتقد أنه كان بالإمكان طرح قليلٍ من الأسئلة مثل: "ماذا هناك؟". كن صادقاً، فأنت تعرف الجواب. وكان بإمكانهم طرح مزيدٍ من الأسئلة، وسلخ جلد كلينتون حيّاً ورمي ما تبقّى من جسده في غيتمو.

إذاً، ماذا هناك، سيد بوش؟ يحقّ لنا معرفة ما يجري.

سؤال رقم 2: ماهي "العلاقة الخاصة" بين آل بوش والعائلة السعودية المالكة؟

سيد بوش، آل بن لادن ليسوا السعوديين الوحيدين الذين تقوم بينهم وبين عائلتك علاقة شخصية وثيقة. فكل العائلة المالكة يبدو أنها مدينة لك - أم العكس؟

فالمزوّد الأول بالنفط للولايات المتحدة هي العربية السعودية مالكة أكبر احتياطيات للنفط في العالم. وعندما اجتاح صدام حسين الكويت عام 1990، كان الجيران السعوديون هم الذين شعروا بالتهديد في الواقع، وكان والدك، جورج بوش1، الذي سارع لنجدتهم. ولم ينسَ السعوديون هذا الأمر أبداً. ووفقاً لمقالةٍ نشرتها ذي نيويوركر في آذار/مارس 2003، فإن بعض أفراد العائلة المالكة يعتبرون عائلتك جزءاً من عائلتهم الكبيرة. وتقول هيفا، زوجة الأمير بندر السفير السعودي إلى الولايات المتحدة، إن والدتك ووالدك "هما كوالدتي ووالدي. أنا على يقين أنني

إذا احتجت لشيءٍ ما يمكنني اللجوء إليهما"[29]. وكما كشف روبرت باير - الذي كان ضابطاً في مديرية العمليات في الـ سي. آي. إي بين عامي 1976 و1977 - في كتابه النوم مع الشيطان، كان يحتفظ والدك باسمٍ خاص للأمير السعودي - كان يدعوه "بندر بوش"[30].

وهذه العلاقة، كما تعلم (لكنك لم تكشفها أبداً للشعب الأمريكي)، توثّقت على مدى سنواتٍ عدّة. ومن خلال مهامه في الـ سي. آي. إي وتولّيه منصب نائب الرئيس والرئيس، كان يعلم والدك أنه كلّما اقتضت الحاجة القيام بعملٍ قذر، يمكن للولايات المتحدة اللجوء إلى العربية السعودية. فعندما احتاج معاون البيت الأبيض أوليفر نورث مالاً لشراء أسلحة لإيران في إطار مسألة إيران-كونترا، كان السعوديون من قدّموا 30 مليون دولار نقداً وبالسرّ"[31]. وعندما احتاجت الـ سي. آي. إي إلى اعتمادات مالية للمساعدة على تدمير الحزب الشيوعي الإيطالي عام 1985 وتمويل معارضيه في الانتخابات، كان أصدقاؤك السعوديون المخلصون من أودعوا مصرفاً إيطالياً مبلغ 10 ملايين دولار[32]. حدث هذا الأمر عندما كان والدك نائباً للرئيس، وكان يستضيف السفير السعودي دائماً لتناول وجبات الغداء[33].

وليس من المفاجئ إذاً أن يكون السفير السعودي هو الدبلوماسي الوحيد في واشنطن الذي يحظى برفقة ضابط أمن شخصي تابع للخارجية الأمريكية، وبتحيّات دافعي الضرائب الأمريكيين. وجاء في تقرير روبرت باير أن الأمير

(29) إلسا والش، الأمير: كيف أصبح السفير السعودي البارع الذي لا غنى عنه في واشنطن، ذي نيويوركر، 24 آذار/مارس 2003.

(30) روبرت باير، النوم مع الشيطان، كراون، 2003.

(31) جايمس روبرت، العلاقات الأمريكية - السعودية بُنيت على النفط، الأمن - والسرّية، ذي واشنطن بوست، 9 آب/أغسطس 1990.

(32) روبرت جي. كايزر وديفيد أوتاواي، النفط لأجل الأمن أوقد الروابط الوثيقة، ذي واشنطن بوست، 11 شباط/فبراير 2002.

(33) إلسا والش، الأمير: كيف أصبح السفير السعودي البارع الذي لا غنى عنه في واشنطن، ذي نيويوركر، 24 آذار/مارس 2003.

بندر وهب مليون دولار لمكتبة جورج بوش الرئاسية والمتحف في تكساس وتدبّر مبلغاً آخر بقيمة مليون دولار كهبة لبرنامج باربارا بوش لتعلّم القراءة والكتابة[34].

وبالرغم من الهزيمة التي ألحقها كلينتون ببوبي عام 1992، بقيت الروابط على وثاقتها. وكان لكارلايل غروب التابعة لوالدك أعمالٌ كثيرة مع السعوديين عندما يتعلّق الأمر بتدبير الأسلحة. فقد أنفق السعوديون أكثر من 170 بليون دولار على الأعتدة الحربية في التسعينات من القرن الماضي، وكان لكارلايل غروب حصة كبيرة في عملية التسلّح هذه[35]. والتقى والدك أفراد العائلة المالكة السعوديين في مناسبات عديدة وسافر إلى الخليج العربي مرّتين على الأقل منذ انقضاء فترة حكمه وأقام في القصور الملَكية لآل سعود، وكانت الزيارتان لصالح كارلايل غروب[36]. والأمير بندر هو أيضاً مستثمر في كارلايل غروب[37]، وقد حضر حفلة عيد مولد والدتك الخامس والسبعين في كينيبانكبورت[38]. وكانت علاقة مثمرة طوال هذه المدّة.

وعندما كان كل هذا الضغط المغثي الذي يحيط بالبطاقات التي لم يتمّ اتخاذ قرار بشأنها في صناديق الاقتراع في فلوريدا أواخر خريف العام 2000، كان صديقك الحميم الأمير بندر موجوداً هناك إلى جانب عائلتك، مقدّماً الدعم. واصطحب والدك إلى إنكلترا في رحلة لصيد طائر التّدرج لتصفية ذهنه من كل التشوّش الحاصل، بينما ذهب محامي العائلة الملَكية – محاميك، جايمس بايكر – إلى

(34) روبرت باير، النوم مع الشيطان، كراون، 2003.

(35) تيم شوروك، الرأسمالية الصديقة باتت شاملة، ذي نايشن، 1 نيسان/أبريل 2003؛ وارن ريتشي، عقبات غير متوقّعة في الروابط الأمريكية – السعودية تطلق العنان لبن لادن، كريستشان ساينس مونيتور، 29 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(36) أوليفر بوركمان، الفائزون: نادي الرئيس السابق، ذي غارديان، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(37) روبرت كايزر، ثروة ضخمة تتدفّق على الخزينة الأمريكية، ذي واشنطن بوست، 11 شباط/فبراير 2002.

(38) ديفيد شارب، الرئيس السابق يُتمّ بنجاح حفلة عيد مولد سرّية، ذي أسوشيتد بريس، 11 حزيران/يونيو 2000.

فلوريدا لإدارة معركة مجموع أصوات المقترعين. (قامت مؤسسة بايكر لاحقاً بتمثيل أفراد العائلة المالكة السعودية في الدعاوى القضائية المقامَة ضدّهم من عائلات ضحايا 11 أيلول/سبتمبر)[39].

لنكون منصفين، سيد بوش، أعضاء عائلتك ليسوا المستفيدين الوحيدين من السخاء السعودي. فقسمٌ أساسي من الاقتصاد الأمريكي قائم على المال السعودي. فهم يستثمرون 3 تريليون دولار في سوق الأسهم الأمريكي وتريليون دولار آخر في مصارفنا[40]. وإذا قرّروا يوماً ما نقل هذا المال فجأةً، فإن شركاتنا ومؤسساتنا المالية ستقع في حالة من الاضطراب والفوضى، مسبّبةً أزمة اقتصادية لم نشهد لها مثيلاً. ويلوح هذا التهديد كل يوم فوق رؤوسنا، وهو أمرٌ لا يريد أحدٌ التكلّم عنه أبداً. أضف إلى ذلك حقيقة أن حاجتنا إلى مليون ونصف مليون برميل من النفط يومياً[41] من السعوديين يمكن أن تتلاشى أيضاً نتيجةً لمجرّد نزوة ملكية، وقد بدأنا نرى كيف أنك متّكل، كما كلّنا متّكلون، على عائلة آل سعود. جورج، هل هذا أمرٌ جيّد لأمننا القومي، أمن وطننا؟ لمن هو جيّد؟ لكم؟ أيها الآباء؟

ليس لنا.

وإليك ما لا أفهمه: لماذا اخترت ووالدك الاصطفاف إلى جانب دولة تعتبرها معظم جمعيات حقوق الإنسان من الديكتاتوريات الأسوأ والأكثر قسوةً في العالم؟

فكان لأمنستي إنترناشونال ما تقوله في تقريرها عن العربية السعودية للعام 2003، وهو ما يلي:

(39) إلسا والش، الأمير: كيف أصبح السفير السعودي البارع الذي لا غنى عنه في واشنطن، ذي نيويوركر، 24 آذار/مارس 2003؛ مايكل إيزيكوف ومارك هوسنبول، هجوم مضاد شرعي، نيوزويك، 16 نيسان/أبريل 2003.

(40) روبرت باير، النوم مع الشيطان، كراون، 2003.

(41) وزارة الطاقة، إدارة المعلومات حول الطاقة، جدول 4،10: الولايات المتحدة - واردات النفط، 1991-2002 (ملايين البراميل في اليوم الواحد).

استمرّت انتهاكاتٌ فاضحة لحقوق الإنسان وتفاقمت نتيجةً لسياسة الحكومة القائمة على "محاربة الإرهاب" صبيحة هجمات 11 أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة. ودامت الانتهاكات من خلال النظام القضائي الجنائي المتكتّم بصرامة وحظر الأحزاب السياسية، ونقابات العمّال، والمنظّمات المستقلة التي تُعنى بحقوق الإنسان. واعتُقل المئات من الناشطين الدينيين ومنتقدي الدولة المشتبَه بهم، وبقي الوضع القانوني لمعظم أولئك الموقوفين منذ سنواتٍ تكتنفه السرّية. واستمرّت النساء من المعاناة جرّاء التمييز المتزمّت. وبقي التعذيب وسوء المعاملة سائدين[42].

وفي العام 2000، قُطعت رؤوس 125 شخصاً علانيّةً، والعديد منهم في مدينة الرياض في مكانٍ معروفٍ شعبياً بـ "ميدان الضربة القاطعة"[43].

وبعد لقاءٍ مع سموّ الأمير السعودي في نيسان/أبريل 2002، أخبرتنا بابتهاج بأن كليكما "أقمتما رابطاً شخصياً وثيقاً" وأنكما "قضيتما كثيراً من الوقت بمفردكما"[44]. هل كنتَ تحاول إعادة طمأنتنا؟ أو التباهي فقط بصداقتك مع مجموعةٍ من الحكّام ينافسون الطالبان بقمعهم لحقوق الإنسان؟ لِمَ المعايير المزدوجة؟

سؤال رقم 3: من هاجم الولايات المتحدة في 11 أيلول/سبتمبر – رجلٌ كليتاه مريضتان في أحد كهوف أفغانستان، أم أصدقاؤك، العربية السعودية؟

أنا آسف، سيد بوش، لكن هناك شيئاً غير مفهوم.

جعلتنا كلّنا نردّد استظهاراً ومن غير إدراك أن بن لادن هو مسؤول عن الهجمات على الولايات المتحدة في 11 أيلول/سبتمبر. حتى إنني كنت أردّد هذا الأمر. ولكني بدأت بعد ذلك أسمع قصصاً غريبة عن كليَتي أسامة.

(42) تقرير أمنستي إنترناشونال للعام 2003، "العربية السعودية"، www.amnesty.org

(43) قطع رأس سعودي لقتل مواطنٍ رمياً بالرصاص، ذي أسوشيتد بريس، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ روبرت باير، النوم مع الشيطان، كراون، 2003.

(44) إليزابيت بوميلر، سعودي يبلغ بوش أنه يتوجّب على الولايات المتحدة تعديل دعمها لإسرائيل، ذي نيويورك تايمز، 26 نيسان/أبريل 2002.

وحدث أن ظهرت تقارير عن مشاكل صحّية لأسامة طوال سنين. فعلى سبيل المثال، جاء في تقرير للـ أسوشيتد بريس عام 2000 أن "... مسؤولاً في المخابرات الغربية قال إن [أسامة] مصابٌ بداءٍ في الكلي والكبد. فبن لادن يعاني من فشلٍ في الكلي و'كبده يضعف'، قال المسؤول... وقال إن أتباع بن لادن كانوا يحاولون العثور على آلة لغسل الكلي لقائدهم المريض"(45).

وبعد 11 أيلول/سبتمبر، ازدادت هذه التقارير حدّةً. كنت أشاهد برنامج هاردبول ويذ كريس ماثيوز في إحدى الليالي على شبكة MSNBC، وإذ بأحد الضيوف – خبير من الطالبان – قال: "...يبدو أن أسامة بن لادن يحتاج إلى غسل كليتيه، لذا علينا تأمين الأجهزة المناسبة له لأنه غير قادر على الانتقال إلى مكانٍ بعيد في الواقع"(46).

هل قال "غسيل كلي" بالتحديد؟ المسخ الأكبر في العالم، الرجل الأكثر شؤماً وشرّاً على كوكب الأرض غير قادر حتى على التبوّل في قدرٍ دون مساعدة؟ لا أدري ما هي وجهة نظرك، ولكن إذا ما طُلب مني أن أكون مرتعباً من صانع شرّ، خصوصاً أكبر صانعٍ للشرّ، لرغبت بأن تكون كلّ مهامه الجسدية عاملة بنسبة 110 في المئة! أريده قوياً، مُروِّعاً، وموجداً في كل مكان وفي جميع الأوقات – وكليتاه تعملان جيّداً. كيف يُفترض بي دعم كل هذا الإجراءات المتعلّقة بأمن الوطن، ورجل الرصاص السيّئ السّمعة ممدّدٌ على طاولة في مكانٍ ما ومثبّتٌ بآلةٍ لغسل الكلي؟

فجأةً، لم أعد أعرف بمن أو بما أثق. فبدأت أطرح أسئلة أخرى. كيف يمكن لرجلٍ قابعٍ في كهف في أفغانستان، ملتزمٍ بعمليّةٍ مستمرّة لغسل الكلي، أن يدير

(45) كاثي غانون، بن لادن مريض وفقاً للتقارير، ذي أسوشيتد بريس، 25 آذار/مارس 2000.

(46) هاردبول ويذ كريس ماثيوز، MSNBC، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ مقابلة مع مايكل غريفن، مؤلف حاصدةُ الزوبعة: حركة الطالبان في أفغانستان (بلوتو، أيار/مايو 2001). لمزيد من المعلومات عن تاريخ أسامة مع غسل الكلي، راجع جون إف. بورنز، الباكستانيون يقولون إن بن لادن قد يكون مات نتيجةً لمرض، ذي نيويورك تايمز، 19 كانون الثاني/يناير 2002.

ويشرف على نشاطات تسعة عشر إرهابي لمدّة سنتين في الولايات المتحدة، ومن ثمّ يخطط بطريقة متكاملة لعملية خطف أربع طائرات ويضمن أن ثلاثاً منها ستبلغ أهدافها بدقّةً؟ كيف قام أسامة بهذا كلّه؟ بمعنى آخر، لا يمكنني الحؤول دون توقف هذا الكمبيوتر عن العمل كلّما أدخلت كلمة "إلتهاب اللثة"؛ لا يمكنني التقاط إرسال خليوي للاتصال بكويتر! ويُفترض به أن ينجز كل عمليات 11 أيلول/سبتمبر من كهفه الصغير الذي يبعد 10.000 ميل؟ ماذا كان يفعل إذاً عندما بدأنا بقصف تلك المنطقة؟ هل كان يركض من كهف إلى آخر في أفغانستان مع أنابيبه جارّاً وراءه آلة غسل الكلي. أم، هل هناك في كلٍ ثالث كهف يبلغه آلة لغسل الكلي ربما. أجل، هذا ما حدث! فأفغانستان هي دولة عصريّة بالفعل! فهي تملك خطاً لسكة حديد بطول خمسة عشر ميلاً تقريباً؛ والعديد من آلات غسل الكلي، كما أظن.

وهذا لا يعني أن أسامة ليس رجل سوء أو أن لا علاقة له البتّة بالهجمات. لكن، يبدو أن قلّة من الصحافيين قد يرغبون، ربما، بطرح بضعة أسئلة بديهية ومنطقية تتناول مثلاً كيفية إنجاز هذه العمليات بينما يميل لون جلده إلى الأخضر ويعيش في بلد لا تتوافر فيها التقنيات الحديثة كالـ كينكو، والـ فيديكس، وجهاز الصرفً الآلي ATM. كيف نظّم، ضبط وأشرف على هذا النوع من الهجوم المكثّف؟ 2 cans & a string؟

ومع ذلك، فقد طلبتَ منا تصديق أن بن لادن هو المسؤول عن هجمات 11 أيلول/سبتمبر. فقد أعلنت العناوين الرئيسية هذا الأمر منذ اليوم الأول وهي ما زالت تعلن الأمر نفسه اليوم وبعد سنتين من وقوع الكارثة: "الإرهابيون يهاجمون الولايات المتحدة". الإرهابيون. تساءلت عن هذه الكلمة منذ بعض الوقت، لذا، دعني أطرح عليك سؤالاً جورج: إذا كان خمسة عشر من المهاجمين التسعة عشر كوريين شماليين، وقتلوا 3.000 شخص، هل تعتقد أن العنوان الرئيسي في اليوم التالي قد يكون: "كوريا الشمالية تهاجم الولايات المتحدة؟".

بالطبع قد يكون كذلك. أو إذا كانوا خمسة عشر إيرانياً أو خمسة عشر ليبياً أو خمسة عشر كوبياً، أعتقد أنه وفقاً للمعرفة الاصطلاحية سيكون العنوان

الرئيسي: "إيران (أو ليبيا أو كوبا) تهاجم أمريكا!".

ولكن، في ما يتعلّق بهجمات 11 أيلول/سبتمبر، هل رأيت يوماً عنواناً رئيسياً، هل سمعت يوماً مذيع نشرة أخبار، هل لاحظت أن أحد من عيّنتهم يشير إلى الموضوع بهذه الكلمات: "العربية السعودية هاجمت الولايات المتحدة"؟

بالطبع لا. لذا، يجب - يجب - طرح السؤال على الشكل التالي: لِمَ لا؟ لِمَ قمت سيد بوش، عندما أطلق الكونغرس حملة تحقيقاته الخاصة بأحداث 11 أيلول/سبتمبر، بإخضاع ثماني وعشرين صفحة تتناول الدور السعودي في الهجوم للمراقبة؟ ماذا وراء رفضك الواضح للنظر بتفحّص وإمعان بأمر الدولة الوحيدة التي يبدو أنها تنتج "الإرهابيين" الذين قتلوا مواطنينا؟

أودّ توضيح احتمالٍ هنا: ماذا لو لم تكن أحداث 11 أيلول/سبتمبر هجوماً "إرهابياً"، بل عوضاً عن ذلك، هجوماً عسكرياً ضد الولايات المتحدة؟ ماذا لو كان التسعة عشر جنوداً مدرَّبين تدريباً جيّداً، يمثّلون نخبة النخبة، ويطيعون أوامر قائدهم دون تردّد؟ وأنهم أقاموا في هذا البلد لحوالى سنتين دون أن يتمّ اكتشافهم - ويتطلّب الأمر في هذه الحالة حدّاً معيَّناً من الانضباط، انضباط جندي لا سلوك إرهابيٍّ مسعور.

جورج، كنت ربّان طائرة ذات مرّة - ما هي صعوبة احتمال الاصطدام بمبنى من خمس طبقات بسرعة تتخطّى الـ 500 ميل في الساعة؟ فالبنتاغون يرتفع خمس طبقات فقط؛ وبسرعة 500 ميل في الساعة كان الرّبان على مسافة قيد أُنمُلة من إخطاء هدفه والسقوط في البحيرة. لا تحصل على هذه المهارات بتعلّم كيفيّة قيادة الطائرات النفّاثة من خلال لعبة فيديو في بعض مدارس أريزونا لتعليم قيادة الطائرات. تتعلّم القيام بذلك في سلاح الطيران. سلاح طيران أحدهم.

سلاح الطيران السعودي؟

ماذا لو لم يكن هؤلاء إرهابيين لاعقلانيين، بل ربابنة عسكريين استُخدموا في مهمّة انتحارية؟ ماذا لو كانوا يقومون بذلك بأمرٍ من الحكومة السعودية أو بعض أعضاء ساخطين منتمين إلى العائلة الملَكية السعودية. فعائلة آل سعود، وفقاً لما جاء

في كتاب روبرت باير، مليئةٌ بهم، والعائلة المَلَكية - والبلد - في اضطرابٍ لا يصدَّق. هناك خلافٌ كبير حول طريقة إدارة شؤون الحكم، وكون الملك عاجزاً بسبب سكتة دماغية تعرّض لها عام 1995، فإن أشقاءه وأبناءه العديدين هم في صراعٍ جدّي على السلطة. ويدعم البعض قطع الروابط القائمة مع الغرب. ويريد البعضُ أن تتّخذ البلد منحىً تشددياً[47]. وبالرغم من كل شيء، كان هذا الهدف الأساسي المعلَن لأسامة. فشكواه الأولى لم تكن من أمريكا بل من طريقة إدارة شؤون العربية السعودية - من قِبَل مسلمين لم يكونوا مسلمين حقيقيين. فهناك الآن آلاف الأمراء في العائلة المَلَكية، وعلّق العديد من المراقبين أن العربية السعودية هي على شفير حربٍ أهلية أو ثورة شعبية ربما. يمكنك قطع رؤوس العديد من مواطنيك، ولكنهم لا يلبثوا أن يفقدوا عقولهم ويطيحوا بك. هذا ما هو على لائحة "ما ينبغي القيام به" لعديدٍ من السعوديين في هذه الأيام، والمَلَكيون يدورون حول الموضوع.

وإن تقريراً نُشر عام 1999 في الصحيفة السياسية فورين أفيرز أوضح تقريباً لَمَ "ترغب العربية السعودية، على غرار باكستان، بترك بن لادن في أفغانستان. فقد يكون توقيفه ومحاكمته في الولايات المتحدة أمراً محرِجاً، بحيث يكشف عن علاقته المستمرّة بأعضاء النخب الحاكمة وأجهزة المخابرات المتجانسين في كلا البلدين"[48].

إذاً، هل قامت بعض الفصائل داخل العائلة المَلَكية السعودية بتنفيذ هجوم 11 أيلول/سبتمبر؟ هل قام السعوديون بتدريب هؤلاء الرّبابنة؟ أمرٌ واحدٌ نستطيع الجزم به: كل الخاطفين تقريباً كانوا سعوديين وكانوا قادرين على دخول الولايات المتّحدة بصورة قانونية، ويعود الفضل بذلك، جزئياً، للترتيبات الخاصة التي قامت بها وزارة خارجيّتنا والحكومة السعودية التي سمحت للسعوديين بالحصول على تأشيراتٍ متعجِّلة دون الخضوع لعمليّة التدقيق العادية[49].

(47) روبرت باير، سقوط عائلة آل سعود، ذي أتلنتيك مانثلي، أيار/مايو 2003.

(48) أحمد رشيد، الطالبان: تصدير التطرّف، فورين أفيرز، تشرين الثاني/نوفمبر 1999.

(49) سوزان شميت وبيل ميلر، وزارة الأمن الوطني تشرف على برنامج التأشيرة، ذي واشنطن بوست، 6 آب/أغسطس 2002.

سيد بوش، لَمَ حظي السعوديون بمعاملة اتّسمت بلياقة فائقة؟ نحتاج إلى نفطهم، بالتأكيد. وقد حظيوا بالترحيب نفسه من كافة الرؤساء الذين سبقوك.

ولكن، لَمَ أحبطت محاولات للتعمّق أكثر في الارتباطات السعودية؟ لم ترفض القول "العربية السعودية هاجمت الولايات المتحدة!"؟

سيد بوش، هل كان لهذا الأمر أي صلة بعلاقة عائلتك الشخصية الوثيقة بالعائلة الحاكمة في العربية السعودية؟ أودّ التفكير بأنه أمرٌ مستحيل. ولكن ما هو تفسيرك؟ مجرّد وجود شخصٍ غريب الأطوار في كهف (تبيّن أنه يغسل كليتيه)؟ وبعد عدم تمكّنك من العثور على هذا الشخص، لَمَ حاولت إقناعنا بأن صدام حسين له علاقة بـ 11 أيلول/سبتمبر وبالقاعدة، في وقت قام رجال المخابرات بإبلاغك بأنه لا توجد أي علاقة؟

لَمَ أنت منهمكٌ جداً بحماية السعوديين بينما يُفترض بك حمايتنا؟

سؤال رقم 4: لمَ سمحت لطائرة نفّاثة سعودية خاصة بالتحليق فوق الولايات المتحدة في الأيام التي تلت 11 أيلول/سبتمبر والتقاط أفراد من عائلة بن لادن ومن ثمّ نقلهم خارج البلاد دون إجراء الـ أف. بي. آي تحقيقاً مناسباً؟

سيد بوش، الأمر ليس موجّهاً ضد أحد، ولكني كنت متروكاً في لوس أنجلس بعيداً عن دياري صبيحة 11 أيلول/سبتمبر. وكان تدافعٌ للعثور على سيارة أجرة. وقدت من ثمّ 3.000 ميل للعودة إلى منزلي – كل ذلك لأن السفر جوّاً كان محظّراً في الأيام التي تلت الهجوم.

وعلاوةً على ذلك، سُمح لأفراد عائلة بن لادن بالسفر جوّاً بطائرات نفّاثة خاصة، مجتازةً أمريكا ذهاباً وإيّاباً بينما كانت تستعدّ لمغادرة البلاد – هل يمكنك شرح هذا الأمر لي؟

طائرات نفاثة خاصة، تحت إشراف الحكومة السعودية – وبموافقتك –

سُمحت لها بالتحليق في أجواء أمريكا وحمل أربعة وعشرين فرداً من عائلة بن لادن على متنها ونقلهم أوّلاً إلى "نقطة تجمّعٍ سرّي في تكساس". ومن ثمّ طاروا إلى واشنطن، دي. سي، وبعدها إلى بوسطن. وفي نهاية المطاف، وفي الثامن عشر من أيلول/سبتمبر، كانوا قد بلغوا كلّهم باريس بعيداً عن متناول أي مسؤولٍ أمريكي. ولم يخضعوا لأي استجوابٍ جدّي باستثناء بعض الأسئلة التي طرحتها الـ أف. بي. آي. عليهم وطلبت التحقق من كل جوازات سفرهم قبل المغادرة[50].

وأخبرني أحد عملاء الـ أف. بي. آي أن هذه الوكالة كانت "مغتاظة" من عدم السماح لها بالاحتفاظ بآل بن لادن في البلاد لإجراء تحقيقٍ كامل - من النوع الذي تحب الشرطة إجراءه عندما يحاولون تتبّع أثر المجرمين. وعادةً، تفضّل الشرطة التحدّث مع أفراد عائلة المشتبَه به لجمع معلوماتٍ عمّا وعمّن يعرفونه، وكيف يمكنهم المساعدة للقبض على الهارب.

لم يتمّ اتّباع أيٍّ من الإجراءات العادية.

هو أمرٌ محفلٌ حقاً. يوجد على الأراضي الأمريكية أربعة وعشرون فرداً من آل بن لادن، سيد بوش، وها أنت تبادرنا بعذر واه متحجّجاً بقلقك على "سلامتهم". ألم يكن بالإمكان أن واحداً على الأقل من آل بن لادن الأربعة والعشرين يعرف شيئاً؟ أو ربما "إقناع" واحدٍ منهم بالمساعدة على تقفّي آثار أسامة؟

لم يحدث أي شيء من هذا القبيل. وهكذا، وبينما كان الآلاف متروكين بعيداً عن ديارهم دون أن يكون بإمكانهم السفر جوّاً، كان بإمكانك الحصول على رحلة مجّانية إلى غاي باري لو تمكّنت من تقديم دليلٍ على أنك نسيبٌ مقرَّب من أكبر مجرم جماعي في تاريخ الولايات المتحدة!

(50) جاين ماير، عائلة بن لادن ذي نيويوركر، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ باتريك إي. تايلر، خوفاً من التعرّض للإساءة، فرّ أنسباء بن لادن من الولايات المتحدة، ذي نيويورك تايمز، 30 أيلول/سبتمبر 2001؛ كيفين كالين، أنسباء بن لادن يعودون جوّاً إلى العربية السعودية، ذي بوسطن غلوب، 20 أيلول/سبتمبر 2001؛ كاتي كاي، كيف ساعدت الـ أف. بي. آي عائلة بن لادن على الفرار من الولايات المتحدة، ذي لندن تايمز، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

بالطبع، كان آل بن لادن زملاءك في الأعمال. لَمَ لم تقدّم خدمة صغيرة لـبعض أصدقاء العائلة القدامى؟ وبالعودة ثانيةً إلى فرضيّة أن كلينتون كان مكانك، تصوّر بيل كلينتون في الساعات التي تلت تفجير مدينة أوكلاهوما وقد بدأ فجأةً بالقلق على "سلامة" عائلة ماكفاي في بافالو – وقام من ثمّ بتأمين رحلة مجّانية لهم إلى خارج البلاد. ما كنت ستقوله أنت والجمهوريون عن الموضوع؟ فجأةً، قد لا تكون بقعة على ثوبٍ أزرق من أولى الأولويات لشن حملةٍ ضد المنشقّين، هل تكون كذلك؟

ومع كل ما كان يحدث في الأيام التي تلت 11 أيلول/سبتمبر، كيف وجدت الوقت للبدء بالتفكير بحماية أشخاصٍ من آل بن لادن؟ أنا مندهش من قدرتك على القيام بمهام متعدّدة في آن.

وكأن تحليق آل بن لادن فوق أمريكا ("خطوط لادن الجويّة؟") لا تكفينا ليطالعنا تقريرٌ في ذي تامبا تريبيون يشير إلى أن السلطات وجدت الوقت أيضاً لمساعدة عددٍ إضافي من السعوديين. فقد سُمح في الواقع لطائرة سعودية نفّاثة أخرى، هذه المرّة طائرة لير خاصة (أمّنتها حظيرة طائرات خاصة يملكها متعهّد الشؤون الدفاعية ديثيون)، بالانتقال من تامبا في 13 أيلول/سبتمبر (خلال حظر الرحلات الجوّية) إلى لكسينغتون، كنتاكي، لإيصال بعض أفراد العائلة الملَكية السعودية إلى حيث يمكنهم البقاء مع أفرادٍ آخرين من العائلة الملَكية كانوا يتفحّصون الخيول في كنتاكي. وقد استُخدم حارسان تابعان لتامبا باي باكانيرز للسفر معهم، وقد أخبرا قصتهما للـ تريبيون كيف أن ربّان الطائرة باح لهما أثناء عودتهما إلى تامبا بأنه ما زال لديه رحلة إلى لويزيانا[51].

لَمَ سُمح بكل هذا سيد بوش؟

أمّةٌ مرتعدة كانت تناضل لاجتياز تلك الأيام الصعبة بعد 11 أيلول/سبتمبر. ومع ذلك، وفي السماء فوقنا، كان آل بن لادن وأفراد العائلة الملَكية السعودية يعودون أدراجهم بطائرات نفّاثة.

أعتقد أننا نستحقّ شرحاً لما جرى.

---

(51) كاثي ستيل، رحلة فانتوم من فلوريدا، ذي تامبا تريبيون، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

سؤال رقم 5: لمَ تحمي حقوق الإرهابيين المحتمَلين وفقاً لـ "التعديل الدستوري الثاني"؟

سيد بوش، في الأيام التي تلت 11 أيلول/سبتمبر، بدأت الـ أف. بي. آي بالتحقق مما إذا كان أحد الـ 186 "المشتبَه بهم" الذين اعتقلهم الفدراليون في الأيام الخمسة الأولى التي تلت الهجوم قد اشترى أي أسلحة خلال الأشهر التي سبقت 11 أيلول/سبتمبر. وباستخدام البرنامج العاجل للتحقق من الملفات المتعلّقة بشراء الأسلحة والذي وُضع تحت إشراف برادي بيل، وجدت الـ أف. بي. آي. فوراً أن اثنين من المشتبَه بهم قد اشتروا بالفعل أسلحة[52].

وعندما سمع النائب العام، جون أشكروفت، بهذا الأمر، قام بإيقاف عملية البحث فوراً. وأخبر الـ أف. بي. آي بأنه لا يمكن استخدام برنامج التحقق من الملفّات لإجراء بحثٍ مماثل، وأن هذه الملفات كانت تُستخدَم فقط متى تمّ شراء سلاحٍ ما، لا لجمع معلوماتٍ عن مواطنين يلتزمون بالقانون في حمل السلاح[53].

وهكذا، منع أشكروفت الـ أف. بي. آي من القيام بأي تحقيقٍ إضافي لمعرفة ما إذا كان أولئك المعتقَلون - لأنهم زملاء محتملون للخاطفين - قد حصلوا على أية أسلحة في الأيام التسعين التي سبقت ذلك النهار المشؤوم. لمَ؟ لأنه وبالرغم من تجاهل كل حقوقهم الأخرى، أصرّت إدارتك على أنه ما زال لديهم حق دستوري واحد ستعمل على حمايته: حقوقهم المقدَّسة وفقاً للتعديل الدستوري الثاني بحمل السلاح دون أن تكون الحكومة على علمٍ بالموضوع.

سيد بوش، لا يمكن أن تكون جدّياً! هل أن إدارتك غريبة الأطوار إلى هذا الحد في ما يتعلّق بالسلاح وتكسب مالاً من الاتحاد الوطني لحمَلَة البنادق بحيث إنه عندما يتعلّق الأمر بالحقوق المتعلّقة بالسلاح تصبح فجأةً المدافع الأكبر عن الحقوق الدستورية والحرّيات المدنية لم تشهد له الأمّة مثيلاً، علماً أنك لم تفكّر، وإن لمدة

(52) فوكس باترفيلد، وزارة العدل تمنع استخدام برنامج التحقق من الأسلحة في مسألة تتعلّق بالإرهاب، ذي نيويورك تايمز، 6 كانون الأول/ديسمبر 2001.

(53) المرجع نفسه.

جزءٍ من بليون من الثانية، بحماية حقوق أيٍّ من الأمريكيين العرب الذين أوقفتهم واحتجزهم وأهكتهم بمضايقاتك خلال السنتين الماضيتين؟

هل تدرك أنه عندما يكتشف معظم الأمريكيين أمر حمايتك إرهابيين محتمَلين من خلال إحباط تحقيق شرعي للشرطة، سيقومون بطردك مع ديك والكاهن جون من دودج من خلال صناديق الاقتراع؟

أعتقد أن أيّاً من هذه الأمور لن تفاجئ أحداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما كان السيد أشكروفت منهمكاً به في صيف العام 2001. فعوضاً عن حماية البلد من أحداثٍ مماثلة لتلك التي حصلت، كان النائب العام منهمكاً في محاولة تفكيك نظام التحققِ الجنائي العاجل. وقال إنه لا يجب على الحكومة الاحتفاظ بقاعدة بيانات عن مالكي الأسلحة وأراد تبديل القانون بحيث تُحفظ الملفات لمدّة أربعٍ وعشرين ساعةً فقط!(54).

ولم يكتشف مجلس الشيوخ (والناس عامّةً) أوامر أشكروفت لإيقاف البحث عن ملف أسلحة الإرهابيين حتى كانون الأول/ديسمبر 2001 عندما أقرّ أشكروفت ليس فقط بالأمر، وبفخر، أمام اللجنة القضائية التابعة لمجلس الشيوخ، بل واصل أيضاً مهاجمة أي شخص يتساءل عن أعماله لحماية حقوق الخاطفين بحمل السلاح. وقال للهيئة الرسمية إن الانتقادات التي طالت الممارسات المناهضة للإرهاب كانت "ذخيرةً حيّة لأعداء أمريكا.... ولأولئك الذين يخيفون الناس المحبّين للسلام بواسطة أشباح 'الحرّية المفقودة'، رسالتي هي التالية: تكتيكاتكم لا تساعد إلا الإرهابيين".

ولكن من كان الذي يساعد الإرهابيين، سيد بوش؟ نائبٌ عام لا يسمح للـ أف. بي. آي بالقيام بعملها؟ نائبٌ عام لا يسمح للشرطة بإجراء تحقيقٍ كامل حول ما كان ينوونه الإرهابيون ولا سيما شراء الأسلحة؟

وفي جلسة السماع نفسها تلك أمام مجلس الشيوخ، رفع السيد أشكروفت ما

(54) شيريل دبليو. ثومسون، أعضاء من مجلس الشيوخ يتحدّون أشكروفت في مسألة السلاح، ذي واشنطن بوست، 27 تموز/يوليو 2001.

قال إنه كتيّب تدريب للقاعدة.

"في هذا الكتيّب"، قال محذّراً، "يتعلّم إرهابيو القاعدة كيفية استخدام حرّية أمريكا سلاحاً ضدّنا".

كان صائباً في هذه النقطة. فإحدى الحرّيات التي تحبّها القاعدة بالفعل كما يبدو هي تعديلنا الدستوري الثاني.

وإن كرّاساً آخر للقاعدة وُجد في منازل إرهابية آمنة يغدق الثناء على الولايات المتحدة. ومن الواضح أن أشكروفت قد أغفل كل التهكّم الجميل.

وإليكم ما جاء في كتيّب تدريب القاعدة:

- في بعض دول العالم، ولا سيما الولايات المتحدة، تتوافر الأسلحة النارية المخصصة للتدريب للناس عامّةً. ويجب على المرء محاولة الانضمام إلى نادٍ للرماية، إذا أمكن، والقيام بزيارات دوريّة لخط النار. تتوافر دورات تدريبية عديدة على الأسلحة النارية لعامّة الناس في الولايات المتحدة، تتراوح مدّتها بين يومٍ واحد وأسبوعين أو أكثر.
- والدورات المفيدة الواجب متابعتها هي القنص، الرماية العامة، ودورات أخرى لاستخدام البنادق.
- في بلدانٍ أخرى كبعض ولايات أمريكا وجنوب أفريقيا، من القانوني أن يملك عامّة النّاس بعض أنواع الأسلحة الناريّة. وإذا كنت تقيم في بلدٍ مماثل، إحصل على بندقية هجوم بطريقةٍ قانونية - يفضَّل أن تكون AK-47 أو ما شابه، تعلّم على كيفية استخدامها بشكلٍ مناسب واذهب وتمرّن في المناطق المخصَّصة لتدريبٍ مماثل.
- احترم قوانين البلد التي تقيم فيه وتجنّب الاتّجار بالأسلحة غير القانونية. ويمكن للمرء تعلّم كيفية استخدام عدّة أسلحة بطريقةٍ قانونية، دون أن يُضطرّ لقضاء أعوامٍ في السجن لاتّجاره بأسلحة نارية صغيرة وغير قانونية. تعلّم ما استطعت في إطار ما تسمح به ظروفك واترك الباقي حتى يحين موعد مغادرتك للجهاد.

وهكذا، سيد بوش، تخطط القاعدة بوضوح لاستخدام إحدى "حرّياتنا" - حق حمل السلاح - ضدّنا.

أحبّ حقّاً طريقة جمعك لمئات من الأشخاص، قابضاً عليهم في الشوارع دون تمييز، وملقياً بهم في زنزانات السجن غير قادرين على الاتصال بالمحامين أو عائلاتهم، ومن ثمّ ترحيلهم في غالب الأحيان إلى خارج البلاد لمجرّد همٍ تتعلّق بالهجرة. ويمكنك إرجاء النظر بمسألة الحماية من البحث غير القانوني والاعتقال الذي يمنحهم إيّاه التعديل الدستوري الرابع، ومسألة حقوقهم بمحاكمة علنيّة من قِبَل هيئة محلّفين مؤلّفة من نظراء لهم وحق الاستشارة القانونية التي يمنحها التعديل الدستوري السادس، وحقوقهم بالتصريح بما يجول في أفكارهم، والاحتشاد، والانشقاق وممارسة ديانتهم وفقاً للتعديل الدستوري الأول. تعتقد أن لك الحق بإهمال هذه الحقوق ببساطة، ولكن عندما يتعلّق الأمر بالتعديل الدستوري الثاني الذي يمنح حق امتلاك AK-47 - آه لا! ذاك الحق الذي يمكنهم التمتّع به - وستقوم بحماية حقّهم بامتلاكه حتى بعد الانقضاض بالطائرات على المباني وقتل عددٍ كبير من الناس.

وعندما أُذيعت هذه القصة للمرة الأولى، قلقتَ بالطبع من أنها قد لا تسلك الطريق الصحيح إلى الرأي العام (وغالبيتهم العظمى يريدون قوانين صارمة تتعلّق بالأسلحة)، فدفعتَ بمتحدّث بلسان وزارة العدل ليشرح لنا بأن القرار توصّل إليه "مسؤولون عدليون رفيعو المستوى" بعد إجراء دراسة شاملة "للقانون". ومن هؤلاء السيد فييت دين - مساعد النائب العام لشؤون السياسة العدلية. وتبرير دين لإحباط برنامج التحقق من الملفات؟ وفقاً لـ ذي نيويورك تايمز، "قرّر السيد دين أن هذه التدقيقات كانت غير مناسبة، معتبراً أنها قد تنتهك خصوصيّات هؤلاء الأجانب" (وهو ما شدّدت عليه).

أجل، عندما يتعلّق الأمر بالأسلحة، تصبح حقوق الأجانب جديرةً بالاهتمام.

ولكن في تموز/يوليو 2002، ظهرت الحقيقة ونشرت دائرة المحاسبة العامة الرأي القانوني الفعلي لوزارة العدل حيال المسألة بتاريخ 1 تشرين الأول/أكتوبر

2001، وهو تقريرٌ منع النائب العام، بشكلٍ واضح، انتشاره. ماذا قال؟ إن المستشارين القانونيين لوزارة العدل قرّروا - لاحِظ جيّداً - أن استخدام برنامج ملفات الأسلحة للتحقق مما إذا قام إرهابي مشتبَه به بشراء سلاحٍ ما لا يُعتبَر ذنباً. هل قرأت هذا، سيد بوش؟ سأضع خطاً تحته وأكتبه بحرفٍ عريض لتتمكّن من قراءته جيداً وبرويّةٍ وسهولة:

إن مراجعته للتأكّد مما إذا قام إرهابي مشتبَه به بشراء سلاحٍ ما لا يُعتبَر ذنباً.

ليس ذنباً! يا للصدمة! من غيرك وجون أشكروفت قد يعتبر أمر اكتشاف إرهابيين محتمَلين كانوا يشترون أسلحة جريمة؟ (جاء في تقرير دائرة المحاسبة العامة أيضاً أن 97 بالمئة من الأسلحة الموافَق عليها والمُشتراة بصورةٍ غير قانونية والتي استُعيدت بعد ذلك عندما أُدرك الخطأ الذي ارتُكب لا يمكن اكتشافها إذا تمّ تدمير سجلات التحقق من الأسلحة خلال أربعٍ وعشرين ساعة بدلاً من تسعين يوماً).

وتتحدّث إدارتك عن "أشباح الحرّية المفقودة"؟ قل ذلك للرجال والنساء الذين أودعوا السجون لا لأنهم كانوا إرهابيين بل لأنهم كانوا مسلمين. وقل لي لَمَ تعتقد أن لك الحق بمعرفة أي كتب يقرأها إرهابي مشتبَه به لا أي أسلحة قد يكون يجمع.

من يساعد الإرهابيين في الواقع سيد بوش في هذا الموضوع؟[55]

---

(55) فوكس باترفيلد، وزارة العدل تمنع استخدام برنامج التحقق من الأسلحة في مسألة تتعلّق بالإرهاب، ذي نيويورك تايمز، 6 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ نيل أي. لويس، أشكروفت يدافع عن المخطط المناهض للإرهاب؛ يقول إن الانتقادات قد تساعد أعداء الولايات المتحدة، ذي نيويورك تايمز، 7 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ بيتر سليفن، أشكروفت يعيق ولوج الـ أف. بي. آي سجلات الأسلحة، ذي واشنطن بوست، 7 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ مركز سياسة العنف (www.vpc.org)، تدرّب على الأسلحة النارية للجهاد في أمريكا؛ فوكس باترفيلد، كلمات أشكروفت تصطدم بالفريق المولَج عمليات التحقق، ذي نيويورك تايمز، 24 تموز/يوليو 2002.

سؤال رقم 6: هل كنتَ مدركاً أنك عندما كنتَ حاكماً لتكساس سافر الطالبان إلى تكساس للقاء شركات النفط والغاز الصديقة لك؟

سيد بوش، لا أعلم ما الذي حملني على كتابة بعض الكلمات الهامّة في موقع الـ بي. بي. سي على الإنترنت في إحدى الليالي حيث كنت أطبع كلمات "طالبان Taliban (يكتبها الإنكليز Taleban) و"تكساس". ولكن إليك ما ظهر على شاشة جهاز الكمبيوتر. قصة للـ بي. بي. سي تعود لكانون الأول/ديسمبر 1997 بعنوان:

"الطالبان إلى تكساس لمحادثات بشأن أنابيب نفط"

كما تعلم، دُعي الطالبان للقدوم إلى تكساس عندما كنتَ حاكماً للولاية. ووفقاً للـ بي. بي. سي، ذهب الطالبان للقاء يونوكال، وهي شركة النفط والطاقة العملاقة، بهدف مناقشة رغبة الشركة بإنشاء خط أنابيب للغاز طبيعي يمتدّ من تركمانستان، مروراً بأفغانستان التي يسيطر عليها الطالبان، وحتى داخل باكستان(56).

سيد بوش، ما الذي كان يجري؟

وفقاً لـ تليغراف أونلاين اللندنية، فإن شركات النفط الصديقة لك بسطت السجاد الأحمر للسفّاحين الأكثر سعياً وراء القتل وذوي السمعة الأكثر رداءة في العالم، مؤمّنةً لهم ظروف إقامة ممتعة في تكساس وكأنهم في وطنهم.

أولاً، أمضى قادة الطالبان أياماً قليلة في شوغارلاند، تكساس، يتمتّعون بمباهج الترف الغربي. وحجز رجال النفط لهؤلاء المتوحّشين غرفاً في فندق من خمس نجوم، ورافقوهم إلى حديقة الحيوانات، وبالطبع، إلى مركز الفضاء ناسا(57).

---

(56) الطالبان إلى تكساس لمحادثات بشأن خطوط الأنابيب، بي. بي. سي وورلد سرفيس، 3 كانون الأول/ديسمبر 1997، http://news.bbc.co.u;/1/hi/world/west-asia/36735.stm

(57) كارولاين ليز، بارونات النفط يتملّقون الطالبان في تكساس، ذي تليغراف (أونلاين)، 14 كانون الأول/ديسمبر 1997.

يبدو أن احتمال أن تكون هيوستن تواجه مشكلة لم تفكّر به أبداً، بالرغم من أن الطالبان كانوا ربما النظام الأصولي الأكثر قمعاً على الأرض. ولو أن العكس حصل وكانوا هم من يستقبلكم في كابول، فإن التسلية المتوافرة لديهم كانت شنق النساء اللواتي لم يجعلْنَ أنفسهنّ مغطاةً من الرأس وحتى القدمين. وبعد ذلك، لا بد وأنه كانت هناك حفلة شواء، لا؟

فبعد تكساس، انتقل الديكتاتوريون الطالبان إلى واشنطن، دي. سي حيث التقوا كارل إندرفاث، نائب وزير الخارجية لشؤون جنوبي آسيا. وغادروا من ثمّ إلى أوماها حيث أقامت جامعة نيبراسكا في الواقع برنامجاً تدريبياً خاصاً للأفغان لتعليمهم كيفية إنشاء خطوط أنابيب النفط - مدفوعاً بالكامل من أصدقائك في يونوكال. وخلال إحدى زياراتهم إلى تلك المناطق، في أيار/مايو 1998، قام عضوان من الطالبان - وذلك إبّان رعاية وزارة خارجية كلينتون للولايات المتحدة - بزيارة مواقع أخرى، بما فيها الحديقة العامّة في بادلاندس، والنصب التذكاري كرايزي هورس، ومكان ولادة جيرالد فورد، وجبل راشمور(58).

أجل، كان مقداراً مذهلاً من الحفاوة والاستقبال، ومثالاً جيّداً عن العزم الأمريكي النبيل وعن قلوبنا الكبيرة والسخيّة. أو عن حبّنا للمال ومصادر الطاقة الرخيصة. وهكذا، إذا كان السعر مناسباً، نعطي الفرصة لمن يرغب!

وكما تعلم، وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة شرقي بحر قزوين، هناك كمّيات من الغاز الطبيعي والنفط تُقدَّر قيمتها بمئات البلايين من الدولارات، وتنتظر من يستخرجها. وكان الكلّ يحاولون بلوغها دون إبطاء، وكانت الحكومة

(58) كارولاين ليز، بارونات النفط يتملّقون الطالبان في تكساس، ذي تليغراف (أونلاين)، 14 كانون الأول/ديسمبر 1997؛ باربرا كروسيت، العلاقات الأمريكية الإيرانية تُظهر علامات دفء، ذي نيويورك تايمز، 15 كانون الأول/ديسمبر 1997؛ الطالبان إلى تكساس لمحادثات بشأن خطوط الأنابيب، بي. بي. سي وورلد سرفيس، 3 كانون الأول/ديسمبر 1997؛ كينيث فريد وجينا جانوفي، شركاء يونوكال ينسحبون من مشروع أفغانستان، أوماها وورلد هيرالد، 6 حزيران/يونيو 1998.

الأمريكية متلهّفة كثيراً لمساعدتهم. حتى إن الرئيس كلينتون كان كلّياً مع فكرة إنشاء خط أنابيب يونوكال[59].

ولوضع اليد على كل هذه الغنيمة، كان لا بد من ردّ الروس عنها - وكان علينا إيجاد طريقة لبلوغها دون الاضطرار لإنشاء خط أنابيب نفط يمرّ بإيران المعادية.

لذا، وبينما كانت يونوكال تسعى إلى مدّ خط أنابيب نفط يمرّ عبر أفغانستان، كانت إنرون تعمل على مخطّطها الخاص - نقل الغاز من تركمانستان ومن ثم عبر أنابيب في بحر قزوين ليبلغ في النهاية تركيا. وفي الواقع، دفعت الحكومة الأمريكية مقابل دراسة إنرون العملية[60]. وكانت إنرون منهمكة أيضاً بتوطيد علاقتها مع أوزباكستان حيث كانت تحاول الفوز بعقود لتطوير حقول الغاز الطبيعي هناك. وفي أواخر العام 1996، بدأت يونوكال بالتفكير جدّياً بضمّ أوزباكستان إلى مشروع خط أنابيب النفط الذي يمرّ بأفغانستان ليبلغ باكستان[61].

وما لبثت، سيد بوش، أن قرّرت المشاركة في العملية. فالتقيت شخصياً بالسفير الأوزباكستاني لصالح إنرون. وقد ختم كن لاي، رئيس مجلس إدارة إنرون، رسالةً موجّهة إليك قبل اللقاء بكلمة وجيزة معبّرة:

"أعلم أنك والسفير الأوزباكستاني صفاييف سيكون لقاؤكما مثمراً وسيؤدّي إلى صداقة بين تكساس وأوزباكستان. - صديقك المخلص، كن"[62].

---

(59) إد فوليامي، النساء الأمريكيات يحاربنَ اتفاق النفط مع الطالبان، ذي غارديان، 12 كانون الثاني/يناير 1998؛ دان مورغان وآل، غضب نسائي حيال الطالبان يطالب بوقف إنشاء خط الأنابيب، ذي واشنطن بوست، 11 كانون الثاني/يناير 1998.

(60) خط أنابيب الغاز المنطلق من بحر قزوين تتمّ الموافقة عليه، يوروب إنرجي، 26 شباط/فبراير 1999.

(61) جاستن وير، الموارد الطبيعية، إنستيتيوشونال إنفستر إنترناشونال، نيسان/أبريل 1997؛ جيرالد كاري، اتفاق أوزباكستان الخاص بيونوكال ينضمّ إلى مخطط آسيا الوسطى، بلاتس أويلغرام نيوز، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 1996.

(62) رسالة من كينيث إل. لاي للحاكم جورج دبليو بوش، 3 نيسان/أبريل 1997.

ما هو الدور بالتحديد الذي لعبته في لقاءات يونوكال مع الطالبان؟ أظن أنك كنت تعلم بأن قادة دولةٍ أجنبية كانوا يقومون بزيارةٍ لولايتك ولقاء أشخاص لم يكونوا من المانحينً لحملتك. إذاً، لِمَ تمّت استمالة ديكتاتوريين وحشيين ودعوتِهم لتناول الطعام في ولايتك فيما بدوت مناهضاً لهم إلى حدّ كبير؟

طبعاً، ولنكون عادلين، لم تكن الوحيد الذي يحاول مساعدة الآخرين لبلوغ ما يبتغون من احتياطيات النفط والغاز، والتي يُعتقَد أنها الأكبر في العالم والتي لم يتمّ استخراجها بعد. كان هناك أيضاً البيت الأبيض إبّان إدارة كلينتون، هنري كيسنجر، ووزير خارجية آخر سابق، ألكسندر هيغ، ممّن كانوا على استعداد لمدّ يد العون[63].

وكان هناك بالطبع ديك تشيني. وكان تشيني آنذاك الرئيس التنفيذي للشركة العملاقة للخدمات النفطية، هاليبرتن. فعندما لا تكون تبني السجون في خليج غوانتانامو، وتتجاهل الانتهاكات الجمّة لحقوق الإنسان بهدف القيام بأعمال مع بورما، وتوقيع عقود مع ليبيا، إيران، وعراق صدام حسين (قامت هاليبورتن بكل هذه الأمور بسعادة خلال التسعينات من القرن الماضي)، كانت هاليبورتن تبني (وما زالت) أنابيب النفط والغاز[64]. وفي العام 1998، كان للسيد تشيني، مساعدك المستقبلي، ما يقول حول الوضع في ذلك الجزء من العالم: "لا يمكنني توقّع أنه في وقتٍ من الأوقات ستنبثق منطقةٌ، وبشكلٍ فجائي، تكون بالأهمية الاستراتيجية نفسها التي يتمتّع بها بحر قزوين. فهو أمرٌ أشبه بانبثاق الفرص بين ليلةٍ

(63) ديفيد بي. أوتاواي ودان مورغان، بمجرّد رسم طريق، تتدفّق الضغينة، ذي واشنطن بوست، 5 تشرين الأول/أكتوبر 1998؛ دانيال ساوذرلاند، هيغ مشارك بمخططات لإنشاء خط أنابيب للغاز عبر إيران، هيوستن كرونيكل، 22 كانون الثاني/يناير 1995.

(64) جيريماي خان، هل تحقق هاليبورتن ربحاً كبيراً؟، فورتشون، 14 نيسان/أبريل 2003؛ بيتر والدمان، مشروع خط أنابيب في ميانمار يسلّط الضوء على تشيني، ذي وال ستريت جورنال، 27 تشرين الأول/أكتوبر 2000.

كولوم لينش، تقوم شركة العراق بصفقات تجارية أكثر مما قد قاله شيني، ذي واشنطن بوست، 23 حزيران/يونيو.

وضحاها". وفي حديثٍ لمعهد كاتو خلال السنة نفسها، كشف المعلومات التالية حول هاليبورتن: "ما بين 70 و75 بالمئة من أعمالنا مرتبطة بالطاقة، إذ نقوم بخدمة زبائننا مثل يونوكال، إكسون، شيل، شيفرون، وشركات نفط رئيسية عديدة أخرى في أنحاء العالم. وبالنتيجة، نجد أنفسنا في غالب الأحيان نقوم بالأعمال في بعض الأماكن بصعوبة كبيرة. فالرب القدير لم يشأ وضع النفط والغاز حيث تقوم فقط أنظمة منتخَبة ديموقراطياً صديقة للولايات المتحدة. علينا العمل أحياناً في أماكن حيث كل الأمور متوقَّعة ولا يختار المرء عادةً الذهاب إليها. ولكننا نذهب حيث يوجد أعمال"(65).

أجل، كان هناك بالتأكيد عمل في أفغانستان. فبعد أن رُدّ السوفيات على أعقابهم من أفغانستان بواسطة مقاتلي المجاهدين المدعومين أمريكياً مثل أسامة بن لادن، سرعان ما نسيت الولايات المتحدة أمر أفغانستان وسادت الفوضى(66). ودخلت البلد في حربٍ أهلية. وعندما تسلّم الطالبان السلطة أواسط التسعينات من القرن الماضي، قوبلوا بالترحيب والتهليل من قِبَل واشنطن.

وفي بادئ الأمر، ظُنَّ أن الطالبان يتبعون المثال السعودي الموافَق عليه أمريكياً والقائم على ممارسة الحكم الجيّد – ظلمٌ مُحكَم وفي الوقت نفسه تزويد الغرب بما يحتاج إليه. فجعلهم هذا الأمر بلداً يمكننا التعاون معه. وسرعان ما ظهرت أساليبهم الإجرامية وبدأ القادة السياسيون الأمريكيون بالتراجع(67).

لكنها لم تكن حال شركات النفط. فقد أصرّت يونوكال على موقفها وشرعت بتنفيذ اتفاقية خط أنابيب النفط مع الطالبان، بالتعاون مع شركة دلتا أويل التي تملكها السعودية. ويرئس دلتا رجلٌ يُدعى محمد حسين العامودي، وقد تمّ

---

(65) تايلر مارشال، رهانات كبيرة في بحر قزوين، لوس أنجلس تايمز، 23 شباط/فبراير 1998؛ ريتشارد بي. تشيني، الدفاع عن الحرية في إطار اقتصاد شامل، خطابٌ أُلقي في مؤتمر الأضرار غير المباشَرة في معهد كاتو، 23 حزيران/يونيو 1998.

(66) بيتر غوري، الولايات المتحدة استخفّت ببن لادن في بادئ الأمر، تورونتو ستار، 22 أيلول/سبتمبر 2001.

(67) أحمد رشيد، الطالبان: الإسلام المقاتل، النفط، والأصولية في آسيا الوسطى، آذار/مارس 2001.

التحقّق بشأن روابط له مع أسامة بن لادن[68]. ولم يكن الفريقان قلقين من اتّخاذ أسامة بن لادن أفغانستان ملجأً له، بمباركة من الطالبان، عام 1996 - في السنة نفسها أطلق بن لادن دعوته لـ "الحربٍ المقدَّسة" ضد الولايات المتحدة[69].

ولم يقلق أصدقاؤك الوثيقون في إنرون كذلك من الخطاب الجهادي الداعي إلى قتل كل الأمريكيين. فبالإضافة إلى خطّتهم لضخ الغاز الطبيعي من بحر قزوين ونقله إلى البحر المتوسط، كان كن لاي وزملاؤه يسعون جاهدين لإنجاز مشروعٍ آخر كبير ومضلّل. كانوا يبنون منشأة للطاقة تعمل بالغاز الطبيعي في دابول، الهند. وكانت منشأة دابول، كأي شيء آخر طهته إنرون (بما في ذلك حملتك الانتخابية!)، استثماراً مالياً ضخماً[70]. ومن أفضل منها في ابتزاز الشعب الهندي الفقير، وهي التي ابتزّت موظّفيها وزبائنها الأمريكيين؟

لكن، جورج، أنا فضولي بشأن أمرٍ آخر. هل يمكنك إخباري بما إذا كان من باب الصدف أن تكون إنرون ويونوكال في المنطقة نفسها، إحداهما تبني منشأة للطاقة تعمل بالغاز الطبيعي، والأخرى تبني خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي؟ هل كان هناك شيءٌ آخر يجري؟

هكذا يبدو لي الأمر، ورجاءً، جورج، لا تتردّد بإعلامي إن كنت مخطئاً: ستدفع يونوكال للطالبان لقاء إنشاء خط الأنابيب الذي يمرّ عبر أفغانستان ليبلغ باكستان. فقد كانوا آنذاك يخططون لإنشاء إضافة على خط الأنابيب ذاك يمتدّ إلى الهند وحتى نيودلهي. وفي الوقت نفسه، كانت تخطّط إنرون لإنشاء خط أنابيب

(68) جاك مايرز وآل، عشائر سعودية تعمل مع شركات نفط أمريكية قد تكون لها علاقات ببن لادن، بوسطن هيرالد، 10 كانون الأول/ديسمبر 2001.

(69) روبرت فيسك، دعوات سعودية للجهاد ضد 'الصليبي' الأمريكي، ذي إنديبندنت، 2 أيلول/سبتمبر 1996؛ تيم ماك غيرك وآل، الطالبان يسمحون لـ 'راعٍ' رئيسي للإرهاب بالإقامة في أفغانستان، تايم ماغازين، 16 كانون الأول/ديسمبر 1996.

(70) كلوديا كولكر، سقطة إنرون: منشأة الطاقة غير القادرة على العمل بعد والتابعة لإنرون تؤثّر على البيئة، الاقتصاد، وأسباب العيش في الهند، هيوستن كرونيكل، 4 آب/أغسطس 2002.

يمتدّ من دابول حتى نيودلهي أيضاً حيث يمكنه، بالطبع، الانضمام إلى خط الأنابيب التركماني مع خط أنابيب يونوكال[71]. وكان يقضي مخطط بديل ليونوكال بإيصال خط الأنابيب إلى بحر العرب في باكستان حيث يمكن تصدير الغاز[72]. وتكون منشأة دابول لإنرون نقطة انطلاقٍ لحاملات النفط.

وما لبث أسامة أن فجّر سفارتين أمريكيتين في أفريقيا، وكان هذا الأمر كافياً للرئيس كلينتون لاتخاذ قرارٍ بقطع علاقاته مع أفغانستان. وردّ على بن لادن بإطلاق صواريخ على مصنع أسبرين في السودان وعلى معسكرٍ مهجور للتدريب تابع لـ"القاعدة" في أفغانستان[73].

أظنّ أن هناك أمراً واحداً تعلّمتَه كما تعلّمه كل طالب أعمال وهو أنه متى قامت بلدك بقصف البلد الذي تحاول القيام بأعمال معه، فإن الاتفاق يُعتبر مؤجّلاً. وهكذا، وبعد يومين، علّقت يونوكال ارتباطها بالطالبان لإنشاء خط الأنابيب في أفغانستان وانسحبت من الاتفاق كلّياً بعد ثلاثة أشهر[74]. وفجأةً، خسر الطالبان بلايين الدولارات، وهي مبالغ كانوا بأمس الحاجة إليها لتمويل نظامهم وحماية بن لادن.

لست أكيداً، ولكني أرغب بالظن، سيد بوش، أن الطالبان كانوا غاضبين إلى حدّ كبير من يونوكال والأمريكيين للتراجع عن اتفاقٍ مربحٍ مماثل. أمرٌ واحد أعرفه

---

(71) تصدير التركمانستانيين والباكستانيين لخطوط أنابيب النفط يسجّل تقدّماً، أويل إند غاز جورنال، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 1997؛ غاز الخليج يسارع للإنقاذ، ميدل إيست إكونوميك دايدجست، 16 كانون الثاني/يناير 1998.

(72) مسبّقة صحافية ليونوكال، يونوكال، دلتا توقّع عقداً مع غازبروم وتركمانروسغاز لتنفيذ مشروع خط أنابيب للغاز الطبيعي، 13 آب/أغسطس 1996.

(73) جايمس أستيل، الضربة الأولى: عام 1988، دمّرت أمريكا مصنعاً للأسلحة الكيميائية في السودان تابع لأسامة بن لادن. وقد تبيّن أن ذاك المصنع ينتج الأدوية، ذي غارديان، 2 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

(74) بيان يونوكال: تعليق النشاطات المرتبطة بخط أنابيب الغاز الطبيعي المقترَح مدّه عبر أفغانستان، مسبّقة صحافية، 21 آب/أغسطس 1998؛ بيان يونوكال عن الانسحاب من مشروع خط أنابيب الغاز (سنتغاز) المقترَح إقامته في آسيا الوسطى، مسبّقة صحافية، 10 كانون الأول/ديسمبر 1998.

جيّداً عن أولئك الطالبان المخبولين وهو أنهم لا يتوانون عن إظهار أحقادهم الدفينة الدنيئة.

لكن أمراً واحداً كان واضحاً لأصدقائك في إنرون ويونوكال وهاليبورتن، سيد بوش، وهو أن الطالبان وأسامة بن لادن قد أعاقوا الأعمال بالفعل من خلال هذين العملين الإرهابيين، كما ألغى كلينتون الاتفاق. وهكذا، طالما استمرّ نفوذ الطالبان مقدّمين ملجأً لأسامة، فإن خط الأنابيب ذاك لن يتمّ إنشاؤه. فما يكون الحل إذاً؟

رئيسٌ جديد لا يكون عائقاً.

فكلينتون لم يكن ليسمح أبداً ليونوكال، هاليبورتن، وإنرون بالارتباط بأعمالٍ مع هؤلاء الإرهابيين.

لذا، أصبحت إنرون من أكبر المساهمين بحملتك الانتخابية لعزل محور كلينتون/غور. وتشيني الذي تمّ استئجاره لانتقاد نائبك في الرئاسة، انتهى بانتقاد نفسه[75]. ومن ثمّ قام بانتقاد مجموعة من أصدقاء والدك بسبب المآزق الرئيسية الأخرى وقلت لا بأس. وانتهيت من ثمّ رئيساً معيَّناً من قِبَل المحكمة العليا.

وبعد ذلك...

لم يكن قد مضى على تسلّمك الرئاسة شهراً واحداً عندما طرق الطالبان بابك. كانوا لا يزالون يريدون تلك البلايين من اتفاق خط الأنابيب. وبعد ستة أيام من قيام تشيني بإنشاء فريق المهام المتعلّقة بالطاقة، نشرت الـ لندن تايمز في تقريرٍ لها أن الطالبان كانوا يعرضون إجراء اتفاق مع الإدارة الجديدة التي ستشارك بطرد أسامة بن لادن من أفغانستان، وقد أبلغوك بالأمر[76]. وكان

---

(75) أليسن ميتشل، بوش مصمّم على تسمية تشيني شريكاً له على لائحة مرشّحي الحزب الجمهوري، ذي نيويورك تايمز، 25 تموز/يوليو 2000.

(76) زاهد حسين، الطالبان يقترحون صفقة سرّية على الولايات المتحدة لإبعاد بن لادن، لندن تايمز، 5 شباط/فبراير 2001؛ جوزف كان وديفيد إي. سانغر، الرئيس يقترح خطةً لتشجيع التنقيب عن النفط، ذي نيويورك تايمز، 30 كانون الثاني/يناير 2001؛ إريك شميت، تشيني يجمع فريقاً رائعاً، ذي نيويورك تايمز، 3 شباط/فبراير 2001.

الكل يبحث عن تعويضٍ قليل، وحدث أن عيّنتَ زلماي خليل زاد في إدارتـــك، وهو مستشار سابق ليونوكال. وخليل زاد، وهو حالياً عضو مجلس الأمن القومي الذي ترأسه غوندوليزا رايس، كان قد حضر غداء عمل أُقيم للطالبـــان خـــلال لقاءات يونوكال في تكساس[77]. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1996، أخبر تـــايم ماغازين أن الطالبان "ليسوا في وارد تصدير الثورة. كما أهم لا يكنّون العـــداء للولايات المتحدة"[78].

ولتلطيف الأجواء، كان الطالبان قد انضـــمّوا حـــديثاً إلى "الحـــرب علـــى المخدّرات" التي أطلقتها أمريكا. وبما أن أفغانستان كانت مسؤولة عن 75 بالمئة من غلّة الأفيون في العالم (المكوّن الرئيسي للهيروين)، كانت هذه أخباراً جيّدة لـــك. وحظّر الطالبان العناية بالأفيون، وبعد سفر وفد دولي إلى هذا البلد وإعلانه خاليـــاً من الأفيون، لم تتوانَ عن منح 43 مليون دولار "كمساعدة "إنسانية" للبلد المخرَّب. وكان يتعيّن توزيع المساعدة من قِبَل منظمات دولية. وهذا هو نوع المساعدة الـــتي طالما رفضت حكومتنا منحه لدول مثل كوبا ومجموعة من الـــدول الأخـــرى في السابق. ولكنه بات فجأةً أمراً ممكناً حيال الطالبان"[79].

بالطبع، كان للطالبان احتياطيات ضخمة من الهروين في المستودعات وقـــد استمرّوا ببيعها. فإذا كنت تسيطر تقريباً على السوق وتغرقه بمادة ما، ومن ثمّ تمتنع فجأةً عن توفير هذا المنتَج، حتى إن رجـــل أعمـــال فاشـــل مثلـــك، جـــورج، يمكنه التكهن بما قد يحصل. سترتفع الأسعار، وترتفع، وترتفع! وكمـــا جـــاء في تقريرٍ لـــ فورين بوليسي إن فوكس، هذا يعني أن كيلو من الهيروين يرتفع ثمنه من

(77) جو ستيفنز وديفيد بي. أوتاواي، القواعد الأفغانية تبقي المرشد قريباً من السلطة، ذي واشـــنطن بوست، 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

(78) كريستوفر أوغدن، خبرٌ جيد/خبرٌ سيّئ في اللعبة الكبيرة، تايم ماغازين، 14 تشرين الأول/أكتوبر 1996.

(79) بريستون مندهول، الغلال المالية لأفغانستان تتلاشى، MSNBC.com، 23 أيار/مـــايو 2001؛ روبن رايت، الولايات المتحدة تتعهّد بمبلغ 43 مليون دولار للتخفيف مـــن وطـــأة المجاعـــة في أفغانستان، لوس أنجلس تايمز، 18 أيار/مايو 2001.

44 دولاراً إلى 700 دولارٍ. وهو ربح صافٍ في جيبك الشرير الذي يكره الحرية إذا كنت الطالبان(80).

ووفقاً لتقارير متنوّعة، فقد التقى ممثّلو إدارتك مع الطالبان أو نقلوا لهم رسائل في صيف العام 2001. ما كانت تلك الرسائل، سيد بوش؟ هل كنت تناقش عرضهم بتسليم بن لادن؟ هل كنت تهدّدهم باستخدام القوة؟ هل كنت تحدّثهم بشأن خط الأنابيب؟ هل أفسدت وإدارتك فرصة جعل بن لادن في عهدة الولايات المتحدة، كما اقترح أحد عملاء الـ سي. آي. إي السابقين للـ واشنطن بوست؟(81) أيّاً كان الأمر، فقد استمرّت المحادثات حتى قبل أيامٍ قليلة من 11 أيلول/سبتمبر. قد لا يتمّ مشروع خط الأنابيب. وقد يخسر الطالبان غنيمتهم، والشركات التي دعمتك فقدت ملايينَ من الدولارات على الاستعدادات لإنشاء خط الأنابيب المُربح. ما الذي كان سيحدث بعد ذلك؟

حسناً، نعرف ما حدث. دمّرت طائرتان مركز التجارة العالمي، واصطدمت طائرة أخرى بالبنتاغون. وسقطت طائرة رابعة في بنسيلفانيا. وقرّرتَ حماية حرّيتنا

---

(80) مولي مور، إيران في حرب خاسرة ضد المخدرات؛ قرويّون مسلّحون يحرسون الحدود لقطع الطريق على أي عمليّة تسلّل من أفغانستان، ذي واشنطن بوست، 18 تموز/يوليو 2001؛ جيري سيبر، مبالغ مالية للطالبان تُعتبر سبباً لتدفق الأفيون، ذي واشنطن تايمز، 3 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ ما هو دور المخدرات/الهيروين في التزاع الأفغاني، فورين بوليسي إن فوكس، 5 كانون الأول/ديسمبر 2001.

(81) مايكل إليوت وآل، كان لهم مخطّط؛ قبل 11/9 بمدّة طويلة، ناقش البيت الأبيض مسألة نقل المعركة إلى مواقع القاعدة، تايم ماغازين، 12 آب/أغسطس 2002؛ كريس مونديكس، الولايات المتحدة تحاكم الطالبان وتعاقبهم، ذي فيلادلفيا إنكوايرر، 21 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ جورج أرني، الولايات المتحدة خطّطت لمهاجمة الطالبان، بي. بي. سي. نيوز، 18 أيلول/سبتمبر 2001؛ ديفيد لاي، هجوم وهجوم مضاد، ذي غارديان، 26 أيلول/سبتمبر 2001؛ جوناثان ستيل وآل، التهديد بالضربات الأمريكية بلغت مسامع الطالبان قبل أسابيع من الهجوم على نيويورك، ذي غارديان، 22 أيلول/سبتمبر 2001؛ الولايات المتحدة تُبلغ الطالبان: أنهوا العون المقدّم لبن لادن، ذي شيكاغو تريبيون، 3 آب/أغسطس 2001؛ بارتون غلمان، استراتيجية تتطوّر بحذر، ذي واشنطن بوست، 20 كانون الثاني/يناير 2002؛ ديفيد بي. أوتاواي وجو ستيفنز، دبلوماسيون يلتقون الطالبان بشأن بن لادن؛ يؤكّد البعض أن الولايات المتحدة فوّتت فرصتها، ذي واشنطن بوست، 29 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

بحرماننا من بعض حرّياتنا. وانقضّينا بعد ذلك على أفغانستان وجعلنا الطالبان وزملاءهم من شبكة القاعدة يفرّون - وكان ذلك أسهل بكثير من اعتقالهم. وفرّ معظم القادة الكبار.

وما لبثنا أن سلّمنا أفغانستان ليونوكال. والسفير الأمريكي الجديد إلى أفغانستان؟ مستشار يونوكال وعضو مجلس الأمن القومي زلماي خليل زاد. وقائد أفغانستان الذي عيّنته الولايات المتحدة مؤخّراً؟ عضو هيئة يونوكال السابق حميد قرضاي(82).

وبتاريخ 27 كانون الأول/ديسمبر 2002، وقّعت تركمانستان، أفغانستان وباكستان اتفاق إنشاء خط الأنابيب(83). وهكذا، سيتدفّق الغاز أخيراً من منطقة بحر قزوين وسيكون كل أصدقائك سعداء.

لكنّ شيئاً ما هنا لا نستشمّ منه خيراً، سيد بوش. ولكن لا يمكن أن يكون الغاز الطبيعي. فـ الغاز الطبيعي لا رائحة له.

سؤال رقم 7: ما كان بالتحديد ذاك الذي بدا على وجهك في أحد صفوف فلوريدا صبيحة 11 أيلول/سبتمبر عندما أخبرك رئيس أركانك: "أمريكا تتعرّض للهجوم"؟

بعد ظهر العاشر من أيلول/سبتمبر، طُرت إلى فلوريدا. وخلال إقامتك في منتجع سارازوتا الذي يؤمّه الأثرياء، تناولت طعام العشاء مع أخيك جب، ومن ثمّ ذهبت للنوم(84).

وفي الصباح، مارست رياضة الجري في ملعب الغولف وتوجّهت بعد ذلك إلى مدرسة بوكر الابتدائية بهدف القراءة للأولاد الصغار. غادرتَ المنتجع بين

(82) آيلن آر. براشر وآل، وسطاء القوة الأفغانية، ذي كريستشان ساينس مونيتور، 10 حزيران/يونيو 2002.

(83) باليا بوخارباييفا، خطة لإنشاء أنبوب غاز في أفغانستان بقيمة 5 بلايين دولار، ذي أسوشيتد بريس، 28 كانون الأول/ديسمبر 2002.

(84) طوم بايلز، في اليوم السابق تبدّل كل شيء، الرئيس بوش حرّك مشاعر الناس المحليين، سارازوتا هيرالد-تريبيون، 10 أيلول/سبتمبر 2002.

الثامنة والنصف والثامنة وأربعين دقيقة صباحاً، أي بعد ما بين عشر دقائق وعشرين دقيقة كاملة من معرفة مسؤولي الخطوط الجوية الفدرالية بأن طائراتٍ اختُطفت في الجوّ. ولم يتكبّد أحد عناء إطلاعك على الأمر[85].

وصلت إلى المدرسة بعد اصطدام الطائرة الأولى بالبرج الشمالي في مدينة نيويورك. وبعد ثلاثة أشهر، أخبرت تلميذاً في الصف الثالث خلال لقاء في دار البلدية في أورلاندو أنك كنت "جالساً خارج الصف تنتظر الدخول، ورأيتُ طائرة تصطدم بالبرج – كان التلفاز مُداراً بالتأكيد، واعتدت قيادة الطائرة بنفسي، وقلت، حسناً، هو ربّانٌ رديء. قلت، لا بد أنه حادثٌ رهيب. ولكني كنت منشغلاً جداً هناك بحيث لم يكن لدي الكثير من الوقت للتفكير بالموضوع..."[86].

وكرّرتَ الرواية نفسها بعد شهر في اجتماعٍ جرى في دار البلدية في كاليفورنيا[87]. والمشكلة الوحيدة في الرواية هي أنك لم ترَ الطائرة الأولى تصطدم بالبرج – ما من أحد رآها على شاشة التلفاز في نقلٍ مباشَر، كما أن الشريط لم يُبَث إلا في اليوم التالي[88]. ولكن لا بأس، فقد كنا جميعاً مربَكين ذاك الصباح.

دخلت الصف حوالى التاسعة صباحاً[89] واصطدمت الطائرة الثانية بالبرج

---

(85) سجل الرحلة 11 للخطوط الجوّية الأمريكية، ذي نيويورك تايمز، 16 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ دان بالز وبوب وودوارد، طريق أمريكا الوعر إلى الحرب، ذي واشنطن بوست، 27 كانون الثاني/يناير 2002؛ ألن ليفين وآل، الجزء الأول: الهجمات الإرهابية أدّت إلى قرارٍ عنيف: أمّنوا الأجواء، يو. إس. إي. توداي، 12 آب/أغسطس 2002.

(86) الرئيس يلتقي العمّال المستبدَلون في لقاءٍ في دار البلدية، السجل الرسمي للبيت الأبيض، 4 كانون الأول/ديسمبر 2001.

(87) الرئيس يدعم منتدى دار البلدية عن الاقتصاد في كاليفورنيا، السجل الرسمي للبيت الأبيض، 5 كانون الثاني/يناير 2002؛ هنا، صرّح بوش، "أول الأمر، عندما كنت داخلاً إلى الصف، رأيت هذه الطائرة تصطدم بالمبنى الأول. كان هناك تلفازٌ مُدار. وتعلمون، ظننت أنه خطأ الربّان وكنت مذهولاً بأن هناك من يمكنه ارتكاب خطأٍ رهيب مماثل. وكان هناك خطبٌ ما بالطائرة أو – بأيّة حال، أنا جالسٌ هناك... ".

(88) ستيفاني شوروو، ماذا رأى بوش ومتى رآه؟ بوسطن هيرالد، 21 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

(89) وليام لانغلي، ماذا جرى بالتحديد خلال ساعات بوش الضائعة، لندن تليغراف، 16 كانون الأول/ديسمبر 2001.

الجنوبي الساعة التاسعة وثلاث دقائق[90]. وبعد دقائق معدودة، وفيما كنت جالساً قبالة الأولاد في الصف تستمع إليهم يقرأون، دخل رئيس الأركان أندرو كارد الغرفة وهمس في أذنك. ويبدو أن كارد كان يخبرك بشأن الطائرة الثانية وبأننا "نتعرّض لهجوم"[91].

وفي تلك اللحظة بالذات دخلت في حالة من الشرود الذهني وقد بدوت كمن أصيب بشللٍ جزئي. لم تُظهر أي انفعالٍ، وبقيت جالساً في مكانك. جلست هناك لمدة حوالى سبع دقائق أخرى لا تفعل شيئاً. كان الأمر، أقل ما يكون، حظاً عاثراً. كان أمراً مروّعاً. بقيت جالساً هناك على كرسيّ الأولاد تستمع إليهم يقرأون، تستمع بهدوء لمدة خمس أو ست دقائق[92]. لم تبدُ قلقاً، لم تعبّر عن أسفك، لم تهرع من الغرفة برفقة مستشاريك أو العملاء السرّيين.

جورج، بمَ كنت تفكّر؟ ماذا كان يجري في رأسك؟ ماذا كان يعني ذاك الذي بدا على وجهك؟ من بين كل الأسئلة التي سألتُك، هذا السؤال أربكني كلّياً.

هل كنت تفكّر بأنه كان عليك الأخذ بالتقارير التي قدّمتها لك الـ سي. آي. إي الشهر الفائت بجدّية أكبر؟ فقد تمّ إعلامك بأن القاعدة كانت تخطط لشن هجمات داخل الولايات المتحدة وأنه من المحتمَل استخدام طائرات. وكانت هناك تقارير سابقة للمخابرات تتحدّث عن اهتمام القاعدة بمهاجمة البنتاغون[93]. هل كنت تقول لنفسك في تلك اللحظة: "حسناً، شكر لله لأنها لم تصطدم بالبنتاغون!"؟

أم أنك كنت مذعوراً فقط؟ لا بأس إن كنت كذلك، فقد كنا جميعاً على هذه الحال. لا ضير من ذلك. باستثناء أنك استلمت مهام القيادة العليا للقوات

(90) 11 أيلول/سبتمبر 2001: وقائع أساسية، وزارة الخارجية الأمريكية، 15 آب/أغسطس 2002.

(91) ديفيد أي. سانغر ودون فان ناتا، الابن، خلال أربعة أيام، بدّلت أزمة وطنيّة نمط رئاسة بوش، ذي نيويورك تايمز، 16 أيلول/سبتمبر 2001.

(92) المرجع نفسه.

(93) بوب وودوارد ودان إيغن، مذكّرة تعود لشهر آب/أغسطس ركّزت على الهجمات على الولايات المتحدة، ذي واشنطن بوست، 18 أيار/مايو 2002.

المسلَّحة مما يعني أنه يتوجّب عليك تولّي القيادة عندما نتعرّض للهجوم، وليس فقط الجلوس مسمَّراً في كرسيّ.

أو ربما كنت تفكّر حينها: "لم أكن أريد هذه المهمّة أولاً! كان من المفترَض أن تكون مهمّة جب؛ فهو من تمّ اختياره! لمَ أنا، أبي؟" لا عليك، نحن نتفهّم الأمر ولا نلومك. فقد بدوت كمن ضلّ الطريق وأراد فقط العودة إلى المترل. فجأةً، لم تعد الشخص الذي تودّ أن تكون، ولم تعد رئيساً تنفيذياً؛ بل من المفترَض بك أن تكون الرئيس/المقاتل. ونعلم ما الذي حدث في المرة الأخيرة عندما كان يُنتظَر منك تأدية واجبك بزيٍّ عسكري.

أو... ربما، فقط ربما، كنت جالساً هناك في كرسيّ ذاك الصف تفكّر بأصدقائك السعوديين – أفراد العائلة المالكة وآل بن لادن على حدّ سواء. هم أشخاصٌ عرفتهم جيّداً وقد لا يكونون بالمستوى المطلوب. هل تُطرح أسئلة حيال هذا الموضوع؟ هل تنشأ شكوك؟ هل يكون للديموقراطيين شجاعة التعمّق بماضي عائلتك مع هؤلاء الناس (لا، لا تقلق، هو أمرٌ بعيد الاحتمال!)؟ هل تظهر الحقيقة يوماً؟

وفي خلال ساعة من الزمن كنت على متن طائرة – لا في طريق العودة إلى واشنطن، دي. سي. لقيادة الأمّة في الدفاع عن نفسها وتشجيع مواطنين مرتعدين، ولا حتى في اتجاه قاعدة ماك ديل للقوات الجوّية في تامبا حيث القيادة المركزية للجيش[94]. لا، فقد هرعت – أوّلاً إلى لويزيانا، واجتزت من ثمّ البلاد إلى نيبراسكا إلى مخبأ سرّي[95]. كم كان الأمر مطمئناً لنا! ولأسابيع تلت، روّج رجالك لرواية زائفة بأن الإجراء كان لسلامتك الخاصة لأنك كنت المستهدَف من "القاعدة".

بالطبع، فإن المشكلة في هذه الرواية تتمثّل بأن أي مغفّل يعرف بأنه إذا استُخدمت الطائرات المخطوفة كصواريخ، فإن آخر مكان قد تلجأ إليه هو طائرتك كهدف يُدعى Air Force One تجوب فيها الفضاء.

---

(94) حدود الزمن في هجمات 11 ايلول/سبتمبر 2001 الإرهابية، ذي واشنطن بوست، 12 ايلول/سبتمبر 2001.

(95) المرجع نفسه.

ربما يوماً ما قد نعلم ما كان يجري. وبالنسبة لي وللملايين آخرين، كان كل ذلك ضرباً من ضروب الجبن. وأعتقد أنك اعتبرت الأمر كذلك في وقت متأخر من بعد ظهر ذاك اليوم، وكان ينبغي عليك العودة مسرعاً إلى البيت الأبيض حيث بإمكانك ممارسة مهامك الرئاسية[96]. ومنذ لحظة هبوط طائرة الهيليكوبتر بك في المرجة الجنوبية ذاك المساء، فإن "رئاستك" كانت أمراً لا يجرؤ أحدٌ على التساؤل بشأنه ثانيةً.

وبعد ليلتين، وفقاً لمقالة في نيويوركر كتبتها إلسا والش، خرجت إلى شرفة ترومن في البيت لأبيض للاسترخاء وتدخين سيكار. كانت ثمانٌ وأربعون ساعة رهيبة، واحتجت لاستنشاق الهواء واسترداد أنفاسك. وفي تلك اللحظة الحميميّة، طلبت من صديق مقرّب الانضمام إليك. وعندما دخل البيت الأبيض تعانقتما، ومن ثمّ اصطحبته إلى الشرفة حيث قدّمت له شراباً. وأشعلتما من ثمّ السيكار واتّجهت أنظاركما إلى النصب التذكاري لواشنطن. قلت له إن "لم نستمكّن من حملهم [عملاء "القاعدة" الذين قد يكونون متورّطين بالهجوم] على التعاون، سنسلّمهم لك". إني متأكّد بأنه قدّر هذا العرض. فقد كان صديقك العزيز "بندر بوش"، الأمير الوافد من العربية السعودية[97].

وبينما كان دخان الرماد يندفع موجات موجات ليغطّي سماء مانهاتن وأرلينغتون، كان دخان سيكار الأمير السعودي ينطلق عبر الهواء المنعش لليل واشنطن، دي. سي، وأنت إلى جانبه، جورج دبليو بوش.

هذه هي أسئلتي السبعة، سيد بوش - سبعة أسئلة أعتقد أنه يجب عليك الإجابة عنها. ولا يستحقّ الموتى الثلاثة آلاف وأحبّاؤهم الناجون أقلّ من ذلك، وإن أمّةً مؤلّفة من ملايين الأشخاص سترغب عاجلاً أم آجلاً بمعرفة الحقيقة وتطلب منك أن تكون واضحاً أو فلتغادر.

---

(96) المرجع نفسه.

(97) إلسا والش، كيف أصبح السفير السعودي البارع الذي لا غنى عنه في واشنطن، ذي نيويوركر، 24 آذار/مارس 2003.

الفصل الثاني

وطن الأكاذيب الكبيرة

ما هي أسوأ كذبة يمكن لرئيسٍ إطلاقها؟

" لم تكن لي علاقات جنسية مع تلك المرأة، الآنسة لوينسكي" .

أو...

"يملك أسلحة دمار شامل – الأسلحة الأكثر فتكاً في العالم – التي تشكّل تهديداً مباشَراً للولايات المتحدة، لمواطنينا وأصدقائنا وحلفائنا" .

فإحدى هذه الأكاذيب جعلت رئيساً ما متَّهماً. والكذبة الأخرى لم تجعل الكاذب الذي أطلقها يحصل على الحرب التي أراد فحسب، بل أمّنت أيضاً اتفاقات عمل ضخمة لأصدقائه، وأمّنت له عمليّاً نصراً ساحقاً في الانتخابات التالية.

بالتأكيد، كُذب علينا في السابق. أكاذيب كثيرة: منها الكبير، ومنها الصغير، ومنها ما حطّ من قدرنا في نظر العالم. "أنا لست محتالاً" كانت كذبة، وجعلت ريتشارد نيكسون يحزم أمتعته ويرحل. "إقرأ شفتيّ: لا ضرائب جديدة" لم تكن كذبة بقدر ما كانت وعداً أُخِلّ به، لكنها مع ذلك كلّفت بوش الأول رئاسته. "الكاتشاب هو من الخضار" لم تكن كذبة على الصعيد التقني، بل كانت مثالاً جيّداً لنظرة إدارة ريغن المُنهكَة للعالم.

وكذب رؤساء آخرون بشأن فييتنام، وكوريا، والهنود، وجعل كل الناس متساويين (وذلك بإبقائهم على عبيدهم الخصوصيين مقيَّدين بالأغلال في الفناء

الخلفي). أكاذيب لمئات السنين بقدر حمولة باخرة. وعندما تُكشَف أكاذيبهم، يتمّ إلحاق العار بهم، ومعاقبتهم أو عزلهم؛ أحياناً.

ويعود ربّما سبب بقاء بوش في سدّة الحكم لتطبيقه القول المأثور القديم بأنك إن أطلقت كذبةً كبيرة لمدّةٍ طويلة بما فيه الكفاية، فهي ستغدو الحقيقة عاجلاً أم آجلاً.

ومع بدء انكشاف الأكاذيب التي دفعت بنا إلى خوض حرب العراق، سعت إدارة بوش لتفادي تأثير هذه الأكاذيب على ديمومتها متمسّكةً بمناورتها الدفاعية الوحيدة: مواصلة تكرار الكذبة باطّراد حتى يتمّ إرهاق الشعب الأمريكي فيصيح "واعمّاه!" ويبدأ بتصديقها.

لكن لا شيء يمكنه إخفاء هذا الواقع غير القابل للجدل: الكذبة الأسوأ هي التي تُطلَق لإخافة الأمّهات والآباء بما يكفي لإرسال أبنائهم بعيداً للمشاركة بحربٍ لم يكن خوضها أمراً اضطرارياً لأنه لم يكن هناك أي تهديد حقيقي. وتضليل مواطني بلدٍ ما بجعلهم يصدّقون أن حياتهم في خطر، فقط لتتمكّن من إحراز مزيد من النقاط ("حاولِ قتل أبي!") أو لجعل أصدقائك الأثرياء أكثر ثراءً، لا بدّ وأنْ يكون عقابه القبوع في زنزانةٍ خاصة بهذا النوع من الأكاذيب في سجن جولييت.

وحوّل جورج دبليو بوش البيت الأبيض إلى بيت للأكاذيب الكبيرة، مطلقاً الكذبة تلوَ الأخرى بهدف الحصول على حربه الصغيرة القذرة. ونجح الأمر.

تعجبني الأكاذيب الكبيرة. مشويّة على نارٍ متّقدة، لذيذة الطعم، طافحة بالبصل والخس وبمقادير كبيرة من المكوّنات السرّية. هي كبيرة، أيضاً؛ أكبر من "بيغ ماك". ولا تحتاج حتى إلى القول "اجعلها من الحجم الكبير، من فضلك" لأنها كبيرة جداً في الواقع. لكنني أعرف أن الأكاذيب الكبيرة مضرّةٌ لي، لذا تخلّيت عنها.

ويحب جورج دبليو بوش الأكاذيب الكبيرة أيضاً. فأكاذيبه ضخمة، بحجم ولاية تكساس. يُعِدّها طاقمٌ كاملٌ من الأشخاص، ويقوم بتسليمها بعد ذلك. فيلتهمها الشعب الأمريكي، كذبةً تلوَ كذبة. أكاذيب كبيرة، لذيذة الطعم، يمكن

هضمها بسهولة! فكلّما أكل الناس منها كلّما طلبوا المزيد، وكلّما باتوا يفكّرون كالسيد بوش. فقد بدأوا يصدّقون كل ما يقوله لأن أكاذيبه الكبيرة لا يمكن مقاومتها.

وتتوافر أكاذيب بوش بكل الأشكال والأحجام والمواصفات. إسمحوا لي بأن أقدّم لكم القائمة اللذيذة التي أعدّها رئيس الكذبة خصّيصاً لكم. وأنا أدعوها "وجبات فرقة الجاز المخصَّصة لحرب العراق":

الوجبة الأولى: الكذبة الأساسية: "العراق يملك أسلحة نووية!"

إن الطريقة الفُضلى لإخافة شعبٍ ما هي البوح بوجود رجلٍ مخبول طليق يملك (أو يبني) أسلحة نوويّة. أسلحة نوويّة ينوي استخدامها ضدّكم.

وأعدّ جورج دبليو بوش العدّة منذ البدء لإخافتنا. ففي كلمته أمام الجمعيّة العامة للأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر 2002، قال بوش بثقةٍ تامّة إن "صدام حسين قد تحدّى كل هذه المساعي ويستمرّ بتطوير أسلحة الدمار الشامل. ولا يمكننا التأكد تماماً من امتلاكه أسلحة نوويّة إلا متى استخدم أحدها، لا سمح الله".

وبعد فترة قصيرة من الزمن، أخبر بوش حشداً من الناس في سينسيناتي بتاريخ 7 تشرين الأول/أكتوبر بأن "النظام العراقي إذا كان قادراً على إنتاج، شراء أو سرقة يورانيوم عالي الخصوبة بكمّية تزيد بقليل عن حجم كرة ليّنة واحدة، يمكنه الحصول على سلاحٍ نووي في أقلّ من سنة... وإزاء دليل واضح للخطر الكامن، لا يمكننا الانتظار حتى الاختبار الأخير - سلاحٌ مطلق للدّخان - قد يكون على صورة غيمة تتّخذ شكل الفطر".

كيف يمكن حمل الرأي العام الأمريكي على التراجع عن ممانعته خوض الحرب مع العراق؟ قُل فقط "غيمة فطرية" واسمع دويّ أعداد الناخبين المؤيّدين!

وبالإضافة إلى اليورانيوم من أفريقيا، قال بوش إن العراقيين "حاولوا شراء أنابيب ألومينيوم ذات مقدرة عالية وتجهيزات أخرى لأجهزة الطرد المركزي العاملة على الغاز، تستخدَم لتخصيب اليورانيوم بهدفٍ إنتاج أسلحة نوويّة".

هُراءٌ مُرعِب. تخيَّل كم سيكون الأمر أكثر رُعباً لو كان حقيقياً بالفعل. أما جوزف ويلسون، وهو دبلوماسي أمريكي عالي الشأن مع خبرةٍ تزيد عن 20 عاماً تخلّلها استلامه مناصب رفيعة في أفريقيا والعراق، فقد أُرسل إلى النيجر عام 2002 في مهمّةٍ تديرها الـ سي. آي. إي بهدف التحقيق بادّعاءات بريطانية بأن العراق حاول شراءً "يورانيوم أصفر" من النيجر. واستنتج أن الادّعاءات زائفة. وقال ويلسون في وقتٍ لاحق:

> وفقاً لخبرتي بشؤون الإدارة الأمريكية في الأشهر التي سبقت الحرب، لا خيار لي سوى الاستنتاج بأن بعض المعلومات المخابراتية المتعلّقة بالبرنامج العراقي للأسلحة النوويّة حُرِّفت لتضخيم التهديد القائم... وسألت [الـ سي. آي. إي] إذا كنت راغباً بالسفر إلى النيجر للتحقق من الرواية... وفي أوائل آذار/مارس، عدت [أدراجي] إلى واشنطن وسلّمت إيجازاً مفصَّلاً للـ سي. آي. إي.... وهناك بالتأكيد أربعة مستندات على الأقل في أرشيف حكومة الولايات المتحدة تؤكّد مهمّتي.

(وفي تموز/يوليو 2003، كان لويلسون ما يقوله أيضاً: "يعود القرار في الواقع للإدارة بتحريف الوقائع المرتبطة بمسألة كانت بمثابة تبريرٍ جوهري لخوض الحرب. ويفرض السؤال التالي نفسه، بأي شأنٍ آخر يكذبون؟").

تجاهل البيت الأبيض تقرير ويلسون مستمرّاً بالخداع. وعندما أصرّت الإدارة على روايتها المبتكَرة، قال أحد المسؤولين، وفقاً لـ ذي نيويورك تايمز: "الناس أُجفلوا وفكّروا، فلمَ تكرّرون هذا الهراء؟".

زُيِّفت المستندات القادمة من النيجر على نحوٍ فاضح بحيث إن وزير خارجية النيجر الذي "وقّع" أحدها خرج من الحكومة - في الواقع، لم يتسلّم مهامه الوزارية لأكثر من عقدٍ من الزمن، وقد تجاهله الكاذبون البريطانيون أو الأمريكيون الذين لفّقوا الرواية.

وأصبح "اكتشاف" أنابيب الألومينيوم تهديداً مفترَضاً أيضاً. وفي 27 كانون الثاني/يناير 2003 - اليوم الذي سبق خطاب بوش عن حالة الأمّة - أعلمَ محمد

البرادعي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرّية، مجلس الأمن الدولي بأن شهرين من عمليات التفتيش في العراق لم تؤدِّ إلى ما يشير إلى نشاطات محظـورة في المواقـع النووية العراقية السابقة. وإضافةً إلى ذلك، قال البرادعي إنّ أنابيب الألومينيوم "قد لا تكون مناسِبة لتصنيع أجهزة الطّرد المركزي ما لم يتمّ تعديلها".

ووفقاً لتقارير في الـ واشنطن بوست ونيوزويك، ومطبوعاتٍ أخرى، فـإن التأكيد على إمكانية استخدام الأنابيب لإنتاج أسلحة نوويّة كان قد ارتيـب بـه آنذاك من قِبَل مسؤولي المخابرات الأمريكية والبريطانية. وقال مفتشو الأمم المتحدة إنهم عثروا على إثباتٍ يشير إلى أن العراق خطّط لاستخدام الأنابيب لبناء صواريخ صغيرة، لا أسلحة نوويةٍ. ولم يكن العراقيون يحاولون شراء التجهيزات بالسـرّ - كان يمكن ولوج طلب الشراء الذي تقدّموا به على الإنترنت.

لكن السيد بوش لم يدَع الوقائع تقف في طريق إلقاء خطابه عن حالة الأمّـة بشكلٍ حازم، بتاريخ 28 كانون الثاني/يناير 2003، وعلى مسمَع ومـرأى اثـنين وستين مليون مشاهد: "... سعى صدام حسين مؤخّراً للحصول علـى كمّيـاتٍ كبيرة من اليورانيوم من أفريقيا"، أعلن بوش. "تخيّلوا أولئك الخاطفين التسعة عشر مع أسلحة أخرى ومخططاتٍ أخرى - هذه المرة يسلّحهم صـدام حسـين. فـلا يتطلّب الأمر سوى تمرير قارورة واحدة، علبة صغيرة واحدة، صندوق واحـد إلى هذه البلاد ليحلّ يومٍ من الرعب لم نشهد له مثيلاً. سنقوم بكل ما أوتينا من قـوّة للتأكّد من أن ذلك اليوم لن يأتي أبداً".

وفي 16 آذار/مارس، ظهر مساعد الرئيس، ديك تشيني، في برنامج لقاء مـع الصحافة وأطلع الأمّة على أن حسين "كرّس نفسه كلّياً لمحاولـة الحصـول علـى أسلحة نوويّة. ونعتقد أنه أعاد بناء أسلحة نوويّة في الواقع".

وبعد ثلاثة أيام ذهبنا إلى الحرب.

وفي ربيع وصيف العام 2003، فإن الانتقادات التي وُجِّهت للإدارة لاستنادها إلى أكاذيب حول قدرات العراق النوويّة بلغت في سخونتها حدّاً لم يـتمكّن فيـه الرئيس بوش نفسه من تجاهلها أو وضع حدّ للتساؤلات من خلال التفافـه علـى الوقائع. فقد حاول أوّلاً جعل مدير الـ سي. آي. إي. جورج تينيت كبش فداء.

"وافقت الـ سي. آي. إي. على خطاب الرئيس عن حالة الأمّة قبل إلقائه". وقد أُعطي تينيت الأمر للتصريح في تموز/يوليو بأنه "مسؤول عن الموافقة على الخطاب في وكالته. وكان للرئيس كلّ الحق بالاعتقاد بأن النص الذي قُدِّم له لا عيب فيه. ولم يكن يجب على الإطلاق إضافة الكلمات الست عشرة [المتعلّقة باليورانيوم الأفريقي] إلى النص الموضوع للرئيس". ومن ثمّ ظهرت المذكّرات التي تعود لشهر تشرين الأول/أكتوبر لتبرهن بأن الـ سي. آي. إي. بإدارة تينيت أشارت بالفعل إلى البيت الأبيض بالتخلّي عن هذا الادّعاء الزائف. والبيت الأبيض الذي أخذ بالنصيحة في بادئ الأمر ما لبث أن تجاهلها في ما بعد تكراراً، ولا سيما في الخطاب عن حالة الأمّة. وأصبح نائب غوندوليزا رايس، ستيفن هادلي، كبش الفداء التالي إذ قال إنه من وافق على أسلوب الخطاب الذي ألقاه بوش في شهر كانون الثاني/يناير. وبدت الادّعاءات واهية جدّاً بحيث إن بوش قام في النهاية، وفي مؤتمرٍ صحافي نادر أقامه بتاريخ 30 تموز/يوليو، بالإعلان أنه المسؤول الوحيد عن كلّ كلمة خرجت من فمه. والاضطرار لقول تلك الكلمات يجب أن يحمل الأمّة كلّها على التساؤل عمّا إذا كان يتوجّب على هذا الرجل أن يكون قائد العالم الحرّ أو مُطلِق أكاذيب كبيرة في واكو برغر كينغ.

الوجبة الثانية: كذبة بالجبن: "العراق يملك أسلحة كيميائية وبيولوجية!".

في خطابه الذي ألقاه في سينسيناتي بتاريخ 7 تشرين الأول/أكتوبر 2002، قدّم جورج دبليو بوش كذبةً طُهيت حديثاً: "يتساءل البعض عن مدى تطلّب هذا الخطر المُحدق بأمريكا والعالم اتّخاذ إجراءات عاجلة بشأنه. فالخطر بات كبيراً، وهو، في النهاية، سيزداد سوءاً مع الوقت. إن نحن علمنا بأن صدام حسين يملك اليوم أسلحة خطرة - ونعلم ذلك - ما جدوى تمهّل العالم بمجابهته وهو يغدو أكثر قوّةً ويطوّر أسلحة أكثر خطراً؟". ولم تمضِ شهورٌ قليلة حتى أضاف بوش الجبن: "تؤكّد مصادرنا بأن صدام حسين سمح مؤخّراً للقادة الميدانيين العراقيين باستخدام الأسلحة الكيميائية - الأسلحة نفسها التي أعلمنا الديكتاتور بأنه لا يملكها".

من قد لا يرغب بقصف ذاك الكاذب صدام بعد سماع هذا الكلام؟ وقد ذهب وزير الخارجية آنذاك كولن باول أبعد من ذلك قائلاً إن العراقيين لم يكونوا يعدّون أسلحة كيميائية فحسب بل كانوا في صدد استخدامها!

"أحد الأشياء الأكثر إقلاقاً التي انبثقت من ملف المخابرات غير الواضح حول الأسلحة البيولوجية في العراق هو وجود منشآت إنتاجية متنقّلة تُستخدَم لصناعة مكوّنات بيولوجية"، قال باول في الجمعية العامة للأمم المتحدة. "نعلم أن العراق يملك على الأقل سبعةً من هذه المصانع المتنقّلة المنتجة للمكوّنات البيولوجية".

واستمرّ بالتطرّق إلى تفاصيل مماثلة حتى... بدت وكأنها حقيقية!

...كان لواء لإطلاق الصواريخ يوزّع منصات إطلاق الصواريخ والرؤوس الحربية المحتوية على مكوّنات حربية... وخُبِّئت معظم المنصات والرؤوس الحربية في مساحات واسعة من أشجار النخيل وكان يتوجّب تحريكها كلٌّ على حدة ولمدّة أربعة أسابيع كيلا يتمّ كشفها.

وتقول مصادرنا إن العراق يملك حالياً مخزوناً من 100 إلى 500 طن من مكوّنات الأسلحة الكيميائية. وهي كمّية كافية لتعبئة 16.000 صاروخ وتهيئتها للاستخدام في ساحات القتال.

ولكن بعد اجتياح العراق، لم يتمكّن الجيش الأمريكي من العثور على أيٍّ من هذه "المختبرات المتنقّلة". وبرغم كل شيء، ومع هذه الأعداد الكبيرة من أشجار النخيل التي يمكن الاحتجاب تحتها، من يستطيع إلقاء اللوم على جيشنا لعدم تمكّنه من كشف النقاب عنها؟ لم نتمكّن كذلك من العثور على أيٍّ من الأسلحة الكيميائية أو البيولوجية بالرغم من أنه في 30 آذار/مارس 2003، كان وزير الدفاع دونالد رامسفلد قد قال في برنامج هذا الأسبوع على محطة أي. بي. سي: "نعرف أماكنها. هي في منطقتي محيط تكريت وبغداد، وفي الشرق والغرب والجنوب والشمال إلى حدّ ما". آه، حسناً، بات الأمر واضحاً! بات علينا لزاماً العثور عليها الآن! شكراً يا صانع القبّعات المسعور!

أخيراً، أعلن جورج دبليو. بوش في 5 حزيران/يونيو 2003 قائلاً: "عثرنا

مؤخَّراً على منشأتين متنقّلتين للأسلحة البيولوجية كانتا قادرتين على إنتاج مكوّنات بيولوجية. هذا هو الرجل الذي أمضى عقوداً في إخفاء معدات القتل الجماعي. كان يعلم بأن المفتّشين كانوا يبحثون عنها".

لم تدُم هذه الكذبة سوى يومٍ واحد. فقد نتج عن تحقيقٍ بريطاني رسمي حول "مقطورتين اثنتين" عُثر عليهما شمالي العراق ما يلي: "ليستا مختبرين حربيّين متنقّلين لإنتاج المكوّنات الجرثومية كما أعلن توني بلير وجورج بوش، بل كانتا مخصّصتين لإنتاج الهيدروجين المستخدَم لنفخ مناطيد سلاح المدفعية كما أصرّ العراقيون".

هذا ما كان، صهاريج لتعبئة المناطيد! أسلحة المناطيد الشاملة! وكان الأمر أكثر من مجرّد إحراجٍ بسيط للقادة الميدانيين الأمريكيين. فقد صرّح قائد قوة المارينز الأولى في العراق جايمس كونواي: "كان من المفاجئ لي – وما زال أمراً مفاجئاً – ألا نكشف النقاب عن الأسلحة، كما قلتَ، في بعض المواقع الأمامية الموزَّعة.... صدّقني، ليس لأننا لم نحاول بما فيه الكفاية.... قمنا عمليّاً بتفتيش كل مراكز التزويد بالذخيرة الحيّة بين الحدود الكويتية وبغداد، لكنها لم تكن هناك ببساطة".

لم يكن هناك ابداً أيّ أسلحة كيميائية أو بيولوجية – سوى تلك التي أعطيناه لصدام في الثمانينات من القرن الماضي، تلك التي استخدمها ضد الأكراد وتلك التي استخدمها ضد الإيرانيين بعد أن زوّدناه بصورٍ من الأقمار الاصطناعية تمكّنه من اكتشاف تحرّكات الجنود الإيرانيين. كنّا نعلم لَمَ كان يريد تلك الصور، وبعد أقلّ من سنة على وضع الأمم المتحدة تقريراً حول تعرّض الإيرانيين للغازات السّامة، أعدنا العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع نظامه.

فقط عندما تعزلون هذه الكذبة عن الادّعاءات المُسكرة ترون أن هذا الرجل كان يملك بالفعل أسلحة دمار شامل في إحدى المراحل – بمحاملة الولايات المتحدة وحلفائنا. وفي ما يلي قائمة بالمكوّنات الكيميائية، وفقاً لتقريرٍ صادرٍ عن مجلس الشيوخ الأمريكي عام 1994، والتي سمحنا للشركات الأمريكية ببيعها لصدام حسين بين عامي 1985 و1990. فقد سلّمنا صدام:

- **باسيلوس إنتراسي (Bacillus Anthracis)**: الإنتراكس هو داءٌ معدٍ غالباً ما يكون مميتاً نتيجةً لابتلاعنا الجراثيم. يبدأ فجأةً بارتفاع الحرارة، والتنفّس بصعوبة، وألمٍ في الصّدر. ويؤدّي الداء عمليّاً إلى تسمّمٍ في الدم، ونسبة التعرّض للموت عالية. وبتطوّر حالة التسمّم، قد يبدو العلاج بالمضادات الحيويّة غير ذي فائدة، ربما لأن السموم تبقى بالرغم من موت الجرثومة.
- **كلوستريديوم بوتولينوم (Clostridium Botulinum)**: هو مصدر جرثومي لسمّ البوتولينون الذي يسبّب التقيّؤ، الإمساك، العطش، الوهن العام، ألم الراس، الحرارة، الدّوار، الرؤية المزدوجة، تمدّد بؤبؤ العين، وشلل العضلات بما فيها إمكانية الابتلاع. غالباً ما يكون مميتاً.
- **هيستوبلاسما كابسولاتوم (Histoplasma Capsulatum)**: يتسبّب بداءٍ مشابه بأعراضه الخارجية لداء السلّ الذي قد يؤدّي إلى ذات الرّئة، اتّساع الكبدً والطحال، فقر الدم، داء شبيه بالإنفلونزا، والتهاب جلدي حاد يتّسم بعُقيدات حمراء مؤلمة تظهر عادةً على قصبة السّاق. وعادةً ما تؤثّر العدوى المفعَّلة على الرئتين، الدماغ، الأنسجة الفقرية، القلب، الصِّفاق، ومحيط الكلي.
- **بروتشيللا ميليتنسيس (Brucella Melitensis)**: هي جرثومة قد تتسبّب بتعبٍ متواصل، فقدان الشهيّة، تعرّق غزير خلال النوم، ألم في المفاصل والعضلات، أرق، غثيان، وضرر في الأعضاء الرئيسية.
- **كلوستريديوم برفرينغنز (Clostridium Perfringens)**: وهي جرثومة سامّة بدرجة عالية تتسبّب بموت الأنسجة جرّاء الغاز السّام (مُوات غازي). وتُنتج الجرثومة السّموم التي تنشط في عضلات الجسم، قاتلةً الخلايا ومؤدّيةً إلى موت موضعي للأنسجة مما يفسح المجال أمام نموٍّ متزايد للجرثومة نفسها. وفي النهاية، تدخل هذه السّموم والجراثيم مجرى الدم مؤدّيةً إلى اعتلالٍ عام.

وكذلك، فقد أُرسلت شحنات عديدة من الإيشيريشيا كولي (Escherichia coli) والمواد الجينية، إضافةً إلى الحمض النووي البشري والجرثومي، إلى وكالة الطاقة الذرّية العراقية مباشرةً.

هذا، ولم تكن السجلات المتعلّقة بالمبيعات الأمريكية المتحدة للمواد البيولوجية للعراق "متوافرة" قبل العام 1985. وقد أشار التقرير الصادر عن مجلس الشيوخ أيضاً إلى أن "هذه المواد البيولوجية المستورَدة لم تكن إمكاناتها مخفَّفة أو مُضعَفة وكانت قادرة على التكاثر". وكانت المادتان الأوليان، الإنتراكس والبوتولينوم، الركن الأساسي لبرنامج الأسلحة البيولوجية العراقية بفضل الولايات المتحدة الأمريكية.

وكما جاء في تقرير وليام بلوم في ذي بروغريسيف: "أشار التقرير أيضاً إلى أن الصادرات الأمريكية للعراق تضمّنت المواد التي تتشكّل منها المكوّنات الحربية البيولوجية، وخططاً لإقامة منشآت للإنتاج الكيميائي والبيولوجي الحربي، والتجهيزات لملء الرؤوس الحربية الكيميائية".

وهناك مواد بيولوجية عديدة أخرى كان بالإمكان استخدامها في الأسلحة البيولوجية التي أُرسلت إلى العراق خلال الثمانينات من القرن الماضي ووُثِّقت في التقرير الصادر عن مجلس الشيوخ عام 1994 ومن خلال مراكز مراقبة الداء.

وكل ما سبق ذكره مصدره شركات أمريكية، وقد أُرسلت بإذن من حكومة الولايات المتحدة خلال سنوات حكم ريغن/بوش. ومن بعض هذه الشركات American Type Culture Collection, Alcolac International, Matrix-Churchill Corp., Sullaire Corp., Pure Aire, Gorman-Rupp.

وكانت الشركات الأمريكية مسؤولةً أيضاً عن تسليم التقنيات ذات "الاستخدام – المزدوج" للعراق، بما فيها أجهزة كمبيوتر ذات قدرات عالية، أجهزة ليزر، وأدوات أخرى تساعد على صناعة أسلحة نوويّة ومكوّناتها. وكما جاء في تقرير لوس أنجلس ويكلي عام 2003، فقد أظهرت جلسات السّماع التي أقامها مجلس الشيوخ، والسجلات الحكومية أن من بين هذه الشركات:

- **هيولت – باكرد (Hewlett-Packard)**: عملت مع العراق من العام 1985 وحتى العام 1990، مقدّمةً أجهزة كمبيوتر لشعبة من الحكومة العراقية تعمل على صواريخ سكود وبرامج نوويّة. وأرسلت الشركة أيضاً أجهزة كمبيوتر لوكالتين حكوميّتين تُشرف على برامج الأسلحة النوويّة والكيميائية. وتشمل

مبيعات أخرى مكوّنات أجهزة رادار وتجهيزات اتصال بالشيفرة.

- **أي تي إند تي (AT&T)**: دُفع لها عام 2000 لتطوير منتجات شركة أخرى، هواواي Huawei. وبين عامي 2000 و2001، كان العراق يدفع لهواواي لتحسين مظهر أنظمة دفاعها الجوي.
- **بكتل (Bechtel)**: من العام 1988 وحتى العام 1990 كانت تساعد العراقيين على بناء منشأة بتروكيميائية ضخمة بالتعاون مع شركة عراقية معروفة بارتباطاتها العسكرية.
- **كاتربيلار (Caterpillar)**: ساعدت العراق على بناء برنامجه النووي في الثمانينات من القرن الماضي ببيعه جرّارات بقيمة 10 مليون دولار.
- **دوبون (Dupont)**: عام 1989، باعت نفطاً خاصاً للعراق بقيمة 30.000 دولار تمّ استخدامه في البرنامج النووي العراقي.
- **كوداك (Kodak)**: وفي العام 1989 أيضاً، باعت تجهيزاتٍ بقيمة 172.000 دولار استُخدمت في برامج الصواريخ في العراق.
- **هيوز هليكوبتر (Hughes Helicopter)**: باعت ستّين طائرة مروحيّة للعراق عام 1983، وقد أدخل العراقيون عليها تعديلاتٍ لاستخدامها في المجال العسكري.

وككلّ، وبين عامي 1985 و1990، صدّقت وزارة التجارة على بيع تكنولوجيات ذات استخدام مزدوج بقيمة 1.5 بليون دولار شملت مكوّنات كيميائية وبيولوجية، وأجهزة كمبيوتر، وتجهيزات لأنظمة أسلحة تقليدية ونوويّة. وفي الفترة نفسها، حُوِّلت إلى العراق سفن هوائية، وطائرات هليكوبتر، وقطع تابعة لها بقيمة 308 مليون دولار.

لكن الولايات المتحدة كانت تقوم بأكثر من مجرّد تسليم صدام حسين ما يخوّله بناء أسلحة كيميائية، وبيولوجية ونوويّة. فقد كان البيت الأبيض على عهد ريغن/بوش يسعى جاهداً لتأمين مزيدٍ من القدرة العسكرية للديكتاتور العراقي.

وفي آب/أغسطس 2002، كشف ضبّاطٌ عسكريّون ذوو مراتب عالية

لـ ذي نيويورك تايمز صورةً أكثر وضوحاً عن المساعَدة الأمريكية. فقد ظنّ رجالنا المحبوبون في واشنطن دي. سي أن تزويد المخابرات العراقية بمعلومات ونصائح عن التخطيط لخوض المعارك في الحرب ضد إيران هي فكرةٌ ممتازة، بالرغم من علمهم الأكيد بأن العراق كان قد استخدم أسلحة كيميائية، وسيستمرّ باستخدامها، في هذه المعارك.

تصوّروا، فقد اتّخذت الإدارة القرار بأنه لا يمكن للعراق أن يخسر الحرب الإيرانية – العراقية، وأنها ستقوم بكل ما يلزم "في إطار القانون" لضمان انتصار صدام حسين المخبول. وذهب ريغن بعيداً جدّاً فوقّع على توجيهاتٍ تتعلّق بالأمن القومي وتدعم هذا التعهّد.

وفي شهادةٍ خطيّة أُدِّيت تحت القَسَم تعود للعام 1995، كشف المؤلّف المساعد لهذه التوجيهات هاورد تيشر، وهو عضو في مجلس الأمن القومي في إدارة ريغن، مزيداً من التفاصيل عن تورّط أمريكا:

> ترأّس مدير الـ سي. آي. إي، كايسي، شخصياً الجهود المبذولة لضمان حيازة العراق على أسلحة عسكرية، وذخائر حربية، وعربات بما يكفي لتجنّب خسارة الحرب الإيرانية – العراقية. وبحسب [توجيهات الأمن القومي]، دعمت الولايات المتحدة فعليّاً الجهد الحربي العراقي، مزوّدةً العراقيين ببلايين عدّة من الدولارات على صورة قروضٍ، وموفّرةً المساعدة المخابراتية العسكرية والنصح للعراقيين، ومراقبةً بشكلٍ وثيق مبيعات أسلحة العالم الثالث للعراق للتأكّد من حصول العراق على الأسلحة المطلوبة.

وإحدى "مبيعات أسلحة العالم الثالث" تلك كانت ذات أهمّية خاصّة. تخيّل مدى صدمتنا عندما تمّ اكتشاف أن أصدقاءنا السعوديين الاستبداديين الصالحين حوّلوا للعراق "عرَضاً" 300 قنبلة أمريكية الصنع من طراز إم كاي – 84 زنة الواحدة منها ألفي رطل. ومع ذلك، كان مساعدو ريغن ماكرين بما فيه الكفاية لتحويل الأسلحة، في غالب الأحوال، من خلال دولٍ أخرى دون التمكّن من تقفّي أثرها.

ولم يكن مساعدوه فقط من تورّط. فقد قرّر ريغن وبوش1 تلطيخ أياديهما شخصياً. ووفقاً لشهادة تيشر الخطيّة:

عام 1986، وجّه الرئيس ريغن رسالة سرّية لصدام حسين يُعلمه فيها بأنه يجب على العراق رفع وتيرة حربه الجوّية وقصف إيران. سلّم هذه الرسالة نائب الرئيس بوش من خلال الرئيس المصري حسني مبارك.

وحتى بعد استخدام صدام أسلحة الدمار الشامل لقتل شعبه الخاص بالغازات السّامة – وهو حدثٌ ما زال يرخي بظلاله على بوش وزملائه بعد عقدٍ ونصف من الزمن – كانت إدارة ريغن غير قلقة. وحاول الكونغرس الأمريكي فرضٍ عقوبات على بلاد حسين، لكن البيت الأبيض أبطل الفكرة. وأسبابهم؟ وفقاً لوثائق غير سرّية تابعة لوزارة الخارجية، فإن من شأن العقوبات الاقتصادية إلحاق الضرر بالفرص التي ستكون متوافرة لأمريكا بهدف توقيع عقودٍ "لإعادة إعمارٍ ضخمة في مرحلة ما بعد الحرب" ما إن تضع الحرب الإيرانية – العراقية أوزارها.

أسلحة دمار شامل؟ آه أجل، كان يمتلكها في ما مضى. كل ما كان علينا القيام به هو التحقق من الإيصالات وإحصاء الأرباح كما هي مُدرَجة في الحساب المصرفي التابع لداعمي الحملة الانتخابية لـ ريغن/بوش.

الوجبة الثالثة: كذبة بلحم الخنزير المقدَّد: "للعراق روابط بأسامة بن لادن والقاعدة".

وكأن امتلاكه القنبلة الذرّية، وغاز الأعصاب، والطاعون الدَّبلي في زجاجة، لم يكن كافياً له، دخل صدام حسين فجأةً في تعاونٍ وثيق مع مصدر كل الإرهابيين، أسامة بن لادن! أنا أكيد من أنه كان لكُم ردّة الفعل نفسها التي كانت لي عندما سمعتم: "ما هي درجة السوء التي سيؤول إليها؟ متى يمكننا التخلص من هذا الشخص الغريب صدام؟".

فبعد ساعات فقط من هجمات 11 أيلول/سبتمبر، كان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد قد اكتشفٍ المسؤول أو على الأقل، من كان يريد معاقبته. ووفقاً لمحطة سي. بي. إس. نيوز التلفزيونية، أراد رامسفلد أكبر قدرٍ من المعلومات عن

الهجمات، وأمر فريق البحث عن الوقائع التابع له قائلاً: "قوموا بكل ما يلزم... ألقوا نظرة شاملة. كل ما له علاقة أم لا". وكان جهاز المخابرات التابع له يشير إلى علاقة بأسامة Osama (يدعوه Usama)، ولكنه كان يريد المزيد لأن أهدافاً أخرى تجول في ذهنه. كان يريد المخابرات "جيّدة بما فيه الكفاية لضرب صدام حسين في الوقت نفسه. وليس فقط أسامة بن لادن".

أقول Osama، وأنت تقول Usama... ورامسفلد يقول فقط كلمته السحرية "صدام"، وقبل أن تحزرها يكون الكلّ قد لفظوها أيضاً! وقال الجنرال المتقاعد ويسلي كلارك إنه تلقّى اتصالاتٍ هاتفية في 11 أيلول/سبتمبر وفي الأسابيع التالية من أشخاصٍ تابعين لمؤسسات أبحاث، ومن أشخاصٍ عاملين في البيت الأبيض، طالبين منه استخدام موقعه كناقد للـ سي. إن. إن "للربط" 11 أيلول/سبتمبر بصدام حسين. فأجاب أنه بإمكانه القيام بذلك إن استطاع أحدٌ ما تقديم الدليل. و لم يستطع أحد ذلك.

وخلال الاستعداد للحرب في خريف العام 2002، استمرّ بوش وأفرادٌ من إدارته بتكرار الادّعاء دون ذكر التفاصيل (معروفة أيضاً بـ "الوقائع") بحيث يبقى ودّياً وبسيطاً ويسهل تذكّره. وجاب بوش البلاد في جولاتٍ انتخابية لصالح مرشّحي الحزب الجمهوري لعضوية الكونغرس، غارساً في أذهان الشعب الأمريكي الرابط الزائف صدام/أسامة. إليكم ما حمل أسبوعٌ واحد من كذبٍ متتالٍ:

"[حسين] هذا هو شخصٌ لا يتحمّل أمريكا. هو شخصٌ كانت له اتصالات مع القاعدة".

– جورج دبليو. بوش، ألاموغوردو، نيو مكسيكو، 28 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

"هو تهديدٌ لأمريكا وتهديدٌ لأصدقائنا. هو أكثر من تهديد سيّما وقد بلغ مسامعنا أمر تلهّفه، مرّةً أخرى، لتطوير سلاحٍ نووي. فقد كانت له صلات مع القاعدة".

– جورج دبليو. بوش، دنفر، كولورادو، 28 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

"هو رجلٌ لا يمكنه تحمّل ما نمثّل. هو يكره الواقع، كما هو حال القاعدة، بأننا نحب الحريّة. أرأيتم، لا يمكنهم تحمّل ذلك. هو شخصٌ كانت له صلات مع الشبكات الإرهابية الظلامية هذه.

- جورج دبليو. بوش، أبردين، ساوث داكوتا، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

"تلك هي طبيعة هذا الرجل. نعلم أنه أقام صلاتٍ مع القاعدة".

- جورج دبليو. بوش، بورتسماوث، نيو هامشاير، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.

"نعلم أنه كانت له صلات مع القاعدة".

- جورج دبليو. بوش، تامبا، فلوريدا، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.

"هو رجلٌ كانت له اتّصالات مع القاعدة. هو رجلٌ يشكّل تهديداً خطراً بصور متعدّدة، لكنه يتمسّك بهذه الصورة: هو من الأشخاص الذين قد لا يحبّون شيئاً أكثر من تدريب الإرهابيين وتزويدهم بالأسلحة بحيث يتمكّنون من مهاجمة ألدّ أعدائه دون ترك أي بصمات. هذا الرجل تهديدٌ فعلي للعالم".

- جورج دبليو. بوش، سانت بول، مينيسوتا، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.

"هو رجلٌ لا يتحمّل أمريكا وما نؤمن به. هو رجلٌ يكره بعض حلفائنا الذين نقيم معهم أكثر العلاقات وثاقةً. هو رجلٌ كانت له صلات مع القاعدة".

- جورج دبليو. بوش، سانت لويس، ميسوري، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.

"هو من نوع الرجال الذين نتعامل مع ما يشكّلونه من تهديد. هو رجلٌ يكره أمريكا، يكره أصدقاءنا، ولا يمكنه تحمّل ما نؤمن به. كانت له اتّصالات مع القاعدة".

- جورج دبليو. بوش، بنتونفيل، أركانساس، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.

"هو رجلٌ لا يتحمّل أمريكا، لا يمكنه تحمّل ما نمثّل، لا يمكنه تحمّل بعض أصدقائنا وحلفائنا الذين نقيم معهم أوثق العلاقات. هو رجلٌ كانت له صلات بالقاعدة".

– *جورج دبليو. بوش، دالاس، تكساس، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.*

وللتأكّد من عدم إخطاء الهدف، إستمرّ بوش بحملته حتى النهاية في الخطاب الذي ألقاه بتاريخ 28 كانون الثاني/يناير 2003 عن حالة الأمّة: "دليلٌ من مصادر مخابراتية، اتّصالات سرّية، وإفادات لأشخاص هم قيد الاحتجاز القضائي حالياً تُظهر أن صدام حسين ساعد الإرهابيين وحماهم، بمن فيهم أعضاء القاعدة"، قال بوش مُصرّاً.

وبعد الخطاب مباشَرةً، أشار إحصاءٌ أجرته الـ سي. بي. إس. إلى ارتفاع الدعم للتحرّك العسكري الأمريكي.

وبعد أسبوع، وفي الخامس من شباط/فبراير، ردّد وزير الخارجية كولن باول ادّعاءات بوش في خطاب مطوَّل أمام مجلس الأمن الدولي. وبعد عرضٍ تفصيلي لتخلّف العراق عن الاستجابة لعمليات التفتيش عن الاسلحة، انتقل إلى ما يربط صدام بأسامة: "ولكن، ما أودّ لفت انتباهكم إليه اليوم هو الرابط المحتمَل الأكثر شؤماً بين العراق وشبكة القاعدة، وهو رابطٌ يجمع بين المنظمات الإرهابية التقليدية والوسائل الحديثة للقتل".

لكن لحم "الدليل" الذي أشارت إليه الإدارة كان قد بدأ يفسد. وخلال ذاك الأسبوع الأول نفسه من شهر شباط/فبراير، أشار تقريرٌ للمخابرات البريطانية سُرِّب للـ بي. بي. سي. إنه لم يكن هناك روابط بين صدام وأسامة. فقد حاول فاعلا الشر تكوين صداقة في ما مضى، لكنّ الأمر انتهى إلى ما يشبه سلسلة الأحداث في Blind Date (موعد بين شخصين لم يلتقيا قبلاً) – كرها بعضهما البعض. ووفقاً للتقرير، فإن أهداف بن لادن "تتناقض إيديولوجياً مع العراق الحالي".

ومما يدعو للسخرية أن مصنع السموم والمتفجّرات التابع للقاعدة كان قائماً شمالي العراق – منطقة يسيطر عليها الأكراد وتجوب أجواءها الطائرات الحربية

الأمريكية والبريطانية منذ أوائل التسعينات من القرن الماضي - وقد ادّعى بوش وفريقه أن صدام كان مسؤولاً عنه. وكانت منطقة شمالي العراق خارج متناول صدام، ولكنها في متناولنا. وكان الموقع تابعاً بالفعل لأنصار الإسلام، وهي مجموعة أصوليّة مقاتلة قام قائدها بإطلاق لقب "العدو" على صدام حسين. وإن جولةً على أرجاء الموقع كانت كفيلة بأن تُظهر لمجموعة واسعة من الصحافيين الدوليين أن لا أسلحة يتمّ تصنيعها هناك.

لكن أيّاً من هذه الوقائع لم يكن ليبدّل المواقف ولا سيّما موقف الرئيس بوش إذ قال: "يجب أن يكون الأمر صحيحاً!". أجل، فقد أدّت هذه الكذبة دورها حيث إن استطلاعات للرأي أُجريت في الأشهر التي سبقت الحرب في العراق أظهرت أن حوالى نصف الأمريكيين قالوا إنهم يعتقدون أن لصدام حسين روابط بشبكة أسامة بن لادن. حتى إنه قبل إلقاء بوش خطابه عن حالة الأمّة عام 2003 وتقديم باول "الدليل" للأمم المتحدة عن علاقة صدام بأسامة، أظهر استطلاعٌ للرأي أن نصف المستفتَين كانوا يفكّرون خطأً بأن واحداً من الخاطفين أو أكثر في 11/9 كانوا مواطنين عراقيين. ولم يكن على بوش تكبّد عناء تلفيق هذه الرواية أيضاً.

ونجحت إدارة بوش في إطالة أمد إحدى أكبر الأكاذيب في التاريخ، مسببةً إرباكاً فكريّاً لدى الشعب الأمريكي في شأن ما إذا كانت هناك صلة بين صدام وأسامة أم لا. فمتى أقدمت على إقناع الناس بالنظرية القائلة أن لصدام يداً بالقتل الجماعي الذي أودى بحوالى 3.000 شخص على الأراضي الأمريكية، يكون الأمر كافياً لرفع الأعلام وانطلاق الجنود إلى الجبهة حتى وإن لم تصمد كذبة أسلحة الدمار الشامل.

بالطبع، فإن المشكلة مع هذه الكذبة - عدا عن كونها اختلاقاً عيّاباً متعمَّداً - هي أن أسامة بن لادن يعتبر صدام كافراً. فقد ارتكب حسين خطيئة إقامة عراقٍ علماني عوضاً عن دولة مسلمة يدير شؤونها رجال دين مسلمون متعصبون. ففي ظل حكم صدام، كان في بغداد كنائس، ومساجد، وحتى أيضاً كنيس لليهود. وقام صدام باضطهاد وقتل عدّة آلافٍ من الشيعة في العراق بسبب التهديد الذي شكّلوه على حكمه العلماني.

وفي الواقع، فإن السبب الأكبر لعدم ميل صدام وأسامة أحدهما إلى الآخر هو السبب نفسه الذي أوقف ميل آل بوش إلى صدام: اجتياح الكويت. فبوش وشركاه أحسّوا بالخطر الذي كان يشكّله صدام لأمن نفطنا في الخليج، وأحسّ أسامة بخطر قدوم الجنود الأمريكيين إلى العربية السعودية والأراضي المسلمة المقدَّسة. هنا تكمن المشكلة الكبرى لبن لادن معنا – وكل ذلك بسبب صدام!

وكان صدام وأسامة عدوّين لدودين ولم يكن بإمكانهما وضع كراهيّتهما المتبادَلة جانباً، وإن بهدف التحالف لإلحاق الهزيمة بالولايات المتحدة، واستحالة توحيد الجهود عندما يتعلّق الأمر بتدمير الشيطان الأكبر بوش – هو كرهٌ كبير جدّاً!

الوجبة الرابعة: كذبة غنيّة بالمخللات والبصل: "صدام حسين هو الشرّير الأكبر في العالم!".

حسناً، كان سيّئاً. سيّئاً جدّاً. فقد استخدم الغازات السّامة ضد الأكراد والإيرانيين، وعذّب الشيعة والسنّة وأعداداً أخرى من الناس لا تُحصى ولا تعَدّ، وجعل شعبه يموت جوعاً، خلال فرض العقوبات على العراق، ويعاني أنواع الحرمان بينما كان يختزن الأموال ويكدّس المؤن في قصوره العديدة (إضافةً إلى حديقة حيوانات أليفة لإبنيه الراشدَين).

هي أعمالٌ شنيعة حقّاً والعالم كان مُصيباً بمحاكمته ودعم أي جهودٍ يتبنّاها الشعب العراقي لإقصائه.

لكن الولايات المتحدة لم تُبالِ أبداً بمدى سوء معاملة صدام الديكتاتور لشعبه الخاص. وفي الواقع، نحن نحبّ الديكتاتوريين! فهم يساعدوننا على الحصول على ما نريد ويقومون بعملٍ عظيم بإبقاء دولهم خاضعة لمصالحنا المتّحدة التي تغزو العالم.

ولنا تاريخ طويل باعث على الفخر بدعم وتقوية المخبولين وأنظمتهم طالما ساعدنا الأمر على حكم العالم. فهناك أصدقاؤنا السعوديون القدماء، وهناك صدام، وهناك من ثمّ تلك الأماكن حيث بذرنا حَبّ مصالحنا:

- **كمبوديا:** بعد توسيع نطاق حرب فييتنام سرّاً لتبلـغ كمبوديـا في أواخـر الستينات، ومن ثمّ مراقبة هذه الدولة التي كان قد هلك قسمٌ كبير من أبنائها تقع تحت سيطرة بول بوت وخميره الحمر، اختارت الولايات المتحدة أن تدعم هذا المخبول لسبب بسيط وهو أنه أبدى استعداده للعمل ضـد الشـيوعيين الفييتناميين الذين قاوموا أمريكا الجبّارة حتى ألحقوا بها الهزيمة. وما لبـث أن تسلّم مقاليد الحكم وأباد الملايين من أفراد شعبه.
- **الكونغو/زائير:** قامت علاقاتٌ جيّدة بين الـ سي. آي. إي. وموبوتو سيسي - سيكيو مؤدّيةً إلى سنوات من العنف الرهيب يستمرّ حتى اليوم. وخوفاً من القائد الوطني باتريس لومومبا، ساعدت أمريكا موبوتو على تسلّم السـلطة، وأشرفت على اغتيال لومومبا، ومن ثمّ قدّمت المساعدة لسحق الثورات التالية. وكان حكم موبوتو ديكتاتورياً، فحظّر النشاطات السياسية، وقتـل شـعبه، وحكم البلاد حتى العام 1997 بمساعدة مستمرّة مـن الولايـات المتحـدة (والفرنسيين الغادرين أيضاً). وبموافقة الحكومات الأمريكية المتعاقبة، تدخّل في الأزمات التي شهدتها الدول الأفريقية المجاورة.
- **البرازيل:** لم يكن الرئيس جوواو غولار المنتخَـب ديموقراطيـاً وذو الميـول اليسارية مطابقاً للمواصفات التي اختارتها واشنطن للدولة الأكبر في أمريكـا الجنوبية. وبالرغم من تعهّده بالتضامن مع الولايات المتحـدة خـلال أزمـة الصواريخ الكوبية، كانت أيام غولار معدودة. ومفضّـلةً حكمـاً فاشسـتياً صديقاً على الديموقراطية، حثّت الولايات المتحدة على حدوث انقـلابٍ في البرازيل مؤدّياً إلى 15 عاماً من الرعب، والتعذيب، والقتل.
- **إندونيسيا:** هذه الدولة الأرخبيل القائمة جنوبي شرق آسـيا هـي أحـد حلفاء أمريكا المفضّلين، وحدث أن قام فيها حكمٌ قمعيٌّ آخر. وهي أيضاً الدولة المسلمة الأكثر عدداً في العالم. وفي العام 1965، تمّـت الإطاحـة برئيسٍ آخر منتخَب ديموقراطياً بمساعدة حكومة الولايات المتحـدة الـتي أحلّت مكانه ديكتاتوراً عسكرياً آخر. وترأّس الجنرال سوهارتو حكومـة متطرّفة حكمت البلاد لثلاثة عقود. وقُتل حوالى نصف مليـون شـخص

خلال السنوات التي تلت تسلّم سوهارتو السلطة دون أن تحمل الولايات المتحدة على التوقف عن الموافقة سلَفاً على ضمّ إندونيسيا لتيمور الشرقية بشكلٍ غير شرعي في السبعينات من القرن الماضي. ومات حوالى 200.000 شخص هناك.

بالطبع، هناك العديد من الأمثلة الإضافية، من ديكتاتوريين قمنا بدعمهم، إلى حكومات منتخَبة ديموقراطياً وضعناها في حالةٍ من التشوّش الكامل أو تخلّصنا منها تماماً (غواتيمالا وإيران في الخمسينات والتشيلي في السبعينات من القرن الماضي هم أمثلة إضافية عن مدى حبّنا للحرّية من خلال المساعدة على الإطاحة برؤوس الدولة الذين تمّ اختيارهم من قِبَل مواطنيهم).

وفي أيامنا هذه، فإن الصين التي هي النموذج الأكبر في العالم عن صدام هي ديكتاتوريتنا المفضّلة. وتفرض الحكومة قيوداً صارمة على وسائل الإعلام، والإنترنت، وحقوق العمّال، والحرّية الدينية، وأي محاولات للتفكير الحرّ. وفي إطار نظامٍ قضائي يتجاهل كلّياً أي حكمٍ للقانون ويتقيّح فساداً، فإن الصين هي مكان مثالي لتقوم الشركات الأمريكية بالأعمال. وهناك أكثر من 800 مطعم لدجاج كنتاكي المقلي في الصين، وحوالى 400 مطعم ماكدونالد و100 مطعم بيتزا هات. وكوداك هي على وشك احتكار سوق مبيعات الأفلام.

والشركات العديدة التي أقامت فروعاً لها هناك لا تعمل فقط على تسويق بضائعها وسلعها. فاللاتوازن التجاري البالغ 103 بليون دولار بين الصين والولايات المتحدة هو العجز الأكبر القائم بين دولتين والذي لم يشهد العالم له مثيلاً. فنحن نستورد بمعدّل ستة أضعاف ما نصدّر، ولـ وال-مارت مساهمة كبيرة في هذا الإطار إذ تبلغ قيمة وارداتها من السلع الصينية 12 بليون دولار، جاعلةً شركة أول سينو - أمريكن All Sino-American من أكبر الشركاء التجاريين في الصين - متقدّمةً على روسيا وبريطانيا العظمى.

وهناك عددٌ وافر من الشركات الأخرى التي تستفيد أيضاً من العمالة الرخيصة التي توجّهها الدولة الصينية، مثل جنرال موتورز وبوينغ و... تبّاً، ما عليك سوى نزع بنطالك وسروالك وتفحّص رقعة التعريف أو تفكيك جهاز

التلفزة لديك. وبينما تحقق الصين أرباحاً طائلة من صادراتها وتحقق الشركات الأمريكية أرباحاً طائلة من العائدات التي تؤمّنها وارداتها، يتخبّط الاقتصاد الأمريكي ويترقّب الشعب الصيني الشاحنات القاتلة التي قد تصل في أي لحظة وتقبض عليهم، وتريحهم من بؤسهم.

وإذا كان معيار اجتياح دولةٍ أخرى هو "تحرير الشعب من نظامٍ قمعي"، يُستحسن بنا إذاً الإسراع وفرض خدمة عسكرية إلزامية على كل رجلٍ وامرأة تخطّى الثامنة عشرة من العمر لأننا – بحق الله – سنكون لدينا عملٌ كثير! وبما أننا غزونا العراق "لتحرير العراقيين"، يمكننا مواصلة مهمّتنا في دولٍ أخرى عملنا على تهديدها بشكلٍ رائع. وقد يكون بإمكاننا إذ ذاك العودة إلى أفغانستان، ومن ثمّ إلى بورما، البيرو، كولومبيا، سييرا ليون، وحطّ الرحال في مكانٍ ما يكون وقعه حسناً، على الأقل، على مسامعنا، شاطئ العاج.

وقبل حرب العراق، عندما كان الرأي العام الأمريكي مخدوعاً بوابلٍ من الأكاذيب لا نهاية لها، لطالما كانت فكرة "تحرير الشعب العراقي" تتمّةً للخطاب السياسي وليس الموضوع الأساسي فيه. ولم تتصدّره أبداً تبريرات ذهابنا إلى الحرب في ذلك الوقت بالذات. لِمَ؟ من الواضح أن أولئك الذين اختاروا حروبنا لا يهتمّون كثيراً بتحرير الشعوب من الأنظمة القمعيّة. فهم يتكلّمون عن "أمننا"، و"مصالحنا" هي أكثر أهميّة بالنسبة إليهم. وكلّنا نعلم بأن "مصالحنا" لم تعُد بالخير على أحد إلا علينا. فنحن لا نتقاسم الثروة – سواءً كانت نقديّة أم إيديولوجية – ونغطّي مؤخّراتنا فقط ونزيد من رفاهتنا. هو أمرٌ واضح، من "رفاهة العمل" إلى استغلال العمالة الرخيصة، إلى حبّنا التاريخي للديكتاتوريين، إلى رفضنا إعفاء العالم الثالث من ديونه. وقْع التحرير حسنٌ على مسامعنا، ولكنه لا يستأهل الموت لأجله أو التضحية بمقدارٍ ضئيل من المال لأجله. غازٌ رخيص، ثيابٌ رخيصة، أجهزة تلفزة رخيصة؟ أجل... هذا أمرٌ مناسب أكثر!

حتى إن مثير الحرب الاحترافي ومستشار بوش بول ولفوويتز أدرك الحقيقة الكاملة كما ظهر في سجلٍّ تابعٍ لوزارة الدفاع يحتوي على مقابلة صحافية مع فانيتي فير تعود لأيار/مايو 2003:

الحقيقة هي أنه ولأسباب تتعلّق كثيراً ببيروقراطية الحكومة الأمريكيـــة، وقـــع اختيارنا على مسألةٍ وحيدة يمكن للكلّ التسليم بها على أنها سببٍ جـــوهري وهي أسلحة الدمارٍ الشامل... وكان هناك دائماً اهتمامات أساســـية ثلاثـــة. أحدها هو أسلحة الدمار الشامل، والثاني هو دعم الإرهاب، والثالـــث هـــو معاملة الشعب العراقي بطريقة إجرامية. وفي الواقع، أظن أنكم قد تقولـــون إن هناك اهتماماً رابعاً طاغياً ألا وهو الرابط بين الاهتمامين الأوّلين...

والثالث هو بحدّ ذاته سببٌ لمساعدة العراقيين، كما سبق وقلت، ولكنه لـــيس سبباً لتعريض حياة الأطفال الأمريكيين للخطر، وبالتأكيد ليس كما فعلنـــا في السابق.

لا يستأهل المخاطرة؟ إذاً، لَمَ قمنا به؟

لا شك أن ولفووويتز انحرف عن النص الرئيسي. أمّا و لم يتمّ العثـــور علـــى أسلحة دمار شامل و لم يظهر أي عنصر تابع للقاعدة في مناطق العراق التي يســـيطر عليها صدام حسين، كما أنه لم يتمّ التثبّت من ذاك الخطر الداهم الـــذي يشـــكّله صدام على أمن أمريكا، سارعت إدارة بوش ووسائل الإعلام الدّمى التابعة لـــه إلى تغيير كذبتهم. "لا، ترون، لم نكن هناك بهدف العثور على أسلحة نوويّـــة، كنـــا هناك لتحرير شعب العراق! أجل، هذا هو السبب الذي حملنا على قصف المنطقـــة وإرسال 150.000 جندي لاجتياحها!".

تعلم كيف أنه في بعض الأحيان يعطونك الكذبة الخطأ وقد استبدلوا كذبتك بكذبة شخصٍ آخر؟ عليك إذ ذاك اتّخاذ القرار بأكل الكذبة الأخرى أو إرجاعها والحصول على الكذبة التي طلبْت.

وبعد فضح أمر "المبرّرات" الأساسية للحرب على أنها أكاذيب، منحت هذه الكذبة الجديدة مؤيّدي الحرب من ديموقراطيين وليبراليين إمكانية المراوغة والتملّص عندما أخذوا يبحثون عن غطاءٍ لهم. كيف أمكنهم أن يكونوا بهذا الغباء إذ صدّقوا ادّعاءات بوش المتعلّقة بأسلحة الدمارٍ الشامل والروابط القائمة من خـــلال 11/9؟ "مهلاً، لم نكن أغبياء – إليكم كل هذه المقابر الجماعية التي كشفنا النقاب عنـــها.

لهذا السبب دعمنا الحرب - لوقف هذه الوحشيّة وهذا الظلم!" صرخ الديموقراطيون.

هذا صحيح. قولوها مرّتين بعد، طقطقوا بكعوب أحذيتكم وقولوا لأنفسكم بأن الوطن هو المكان الأفضل، الوطن هو المكان الأفضل، الوطن هو المكان الأفضل. لهذا السبب، حملنا للعراقيين - جزءاً صغيراً من الوطن. الطريق الأمريكي. الديموقراطية. لذلك نحن هناك. هذا ما سنعطيهم.

وعلى برنامج نايتلاين مؤخّراً، كان هناك مقابلة مع امرأة عراقية مؤيّدة للولايات المتحدة وتدرّس اللغة الإنكليزية. وقالت إن الأمور سيّئة جدّاً منذ الاجتياح العراقي، وأنها تتمنّى أحياناً لو أن صدام ما زال في السلطة. عشرون عاماً قضوها في ظل حكم ديكتاتورٍ وحشي - وبعد تسعين يوماً فقط قضوها في ظل الأمريكيين - ها هم يريدون عودة صدام! كم أصبحنا ضيوفاً سيّئين!

يبدو أن رجال الدين المخبولين ينجحون في ملء الفراغ الذي تركه صدام، وهو زمن "لا فارق بين الرئيس الجديد والرئيس القديم" في العراق. وتعمد إدارة بوش باستمرار إلى تأجيل موعد إعادة تسليم السلطة في البلد للشعب العراقي الذي قاموا بتحريره. لمَ هذا الأمر؟

لأنهم يعرفون أنه إذا أُجريت الانتخابات اليوم فإن الشعب سيصوّت ديموقراطياً للتوقّف عن ممارسة الديموقراطية وتسليم البلد لأصوليٍّ متطرّف. والنساء كنَّ قد بدأنا يعشنَ حالةً من الخوف على حياتهنّ إن هنّ لم "يتحجّبنَ"، ويواجه كل من يبيع الكحول أو يعرض أفلاماً لعقوبة الإعدام. الحرّية! الديموقراطية! التحرير!

لا أطيق صبراً لمعرفة من سيكون التالي الذي سيقومون بتحريره في العالم!

الوجبة الخامسة: كذبة مع مقالي الحرّية [وجبنٍ أمريكي]: "الفرنسيون ليسوا إلى جانبنا وقد يكونون أعداءً لنا!".

عندما تكون في توريت تلفّق الأكاذيب، يمكن لكثيرٍ من الأشياء أن تحدث. فعلى سبيل المثال، تقوم برواية أكاذيب عديدة، وتنسى أية كذبة تقوم بروايتها أو أيّة واحدة يُفترَض بك روايتها أو من الذي ترويها له أو عمّا إذا سبق ورويتها لهذا

الشخص أو ربّما رويتها له قبلاً باختلافٍ بسيط وتبذل قُصارى جهدك لتطابق الروايات، ومن ثمّ عليك النّيل من كل من ينضمّ للاستماع إلى سلسلة أكاذيبك، وقبل أن تدرك الأمر، تجد نفسك عالقاً في دوّامةٍ من الأكاذيب وأن لا سبيل لك للخروج منها إلا بإلقاء اللّوم على شخصٍ آخر.

فلتكن فرنسا.

وعندما تحتاج إلى كبش فداء أو توبيخ ولد جديرٍ بالتوبيخ، ليس أمامك أفضل من دولة فرنسا. وهذا ما سعى وراءه النقّاد من أتباع بوش، متّهمين الفرنسيين بأنهم "محور المراوغة". وحدث كل ذلك لصرف انتباه الرأي العام الأمريكي عن الخائنين الحقيقيين في واشنطن.

فقد قرّرت فرنسا ألا تدعم أي استعجال لقيام حربٍ في العراق. وحاولَت إقناع الولايات المتحدة بأن تدَع المفتّشين عن الأسلحة يقومون بعملهم. وكان وزير الخارجية الفرنسية دومينيك دو فيلبان بليغاً في كلمته التي ألقاها في الأمم المتحدة مع بدء الحرب إذ قال:

الأمر أكيد ولا لبس فيه: الخيار هو في الواقع بين رؤيتين للعالم. في مقابل أولئك الذين يختارون استخدام القوة، ظانّين بأنهم قادرون على حلّ تعقيدات العالم من خلال تحرّكٍ وقائي مفاجئ وسريع، نعرض تحرّكاً عازماً لا يلين يتطلّب مزيداً من الوقت. ولضمان أمننا في الوقت الحاضر، يجب أخذ كل أبعاد المشكلة بعين الاعتبار: الأزمات المتعدّدة الجوانب وأوجهها المتعددة في آن، بما فيها الثقافية والدينية. ما من شيء يمكن أن يدوم في العلاقات الدولية يمكن بناؤه دون حوار واحترامٍ للآخر، دون ما تقتضيه المبادئ وتُقرّ به، ولا سيما عندما يتعلّق الأمر بالديموقراطيات التي يجب أن تكون مثالاً يُحتذى. وتجاهل هذه الأمور هو مجازفة بتحمّل مخاطر سوء الفهم، واتّباع المنحى الراديكالي، وتفعيل العنف. وهذا الأمر صحيحٌ في الشرق الأوسط بصفة خاصة، وهي منطقة التمزّقات والنزاعات القديمة حيث يجب أن يكونَ الاستقرار هدفاً رئيسياً لنا.

وخلال حرب الخليج الأولى، لقيت الولايات المتحدة دعم ائتلاف فعلي مؤلّف من حلفاء أقوياء. ولكن عندما يتعلق الأمر بحرب الخليج - التتمّة، لم تكن معظم هذه الدول متلهّفةً جدّاً للتحالف. و لم يؤيّد بوش وفريق دبلوماسييه المتفوّقين سوى تسعة وأربعين عضواً "ائتلاف الراغبين المستعدّين". ومعظم هؤلاء كانوا دولاً (مثل تونغا، أزربيجان، وبالاو) التي تحلّ دوماً في المرتبة الأخيرة لدى اختيار المشاركين في ألعاب كرة الطائرة التي تنظّمها الأمم المتحدة، ولن تتمّ دعوتها أبداً إلى الحفلة الراقصة (حتى من قِبَل أقربائها اليائسين). فهي ممتنّة بطريقةٍ تثير الشفقة لو أن أحداً يقوم بدعوتها. (راجع الوجبة السادسة).

وقد يخطر ببالكم أنه لو كان هناك تهديد جدّي بأن يقوم صدام حسين باستخدام ترسانته الكبيرة من أسلحة الدمار الشامل أو اجتياح دولةٍ أخرى، لسارعت دولٌ عديدة لإيقاف المجنون، ولا سيّما تلك الدول الأقرب إلى العراق.

أنتم لا تعصون أوامر الولايات المتحدة وتفلتون من العقاب! وأنتم بالتأكيد لا تخبرون كل شخص أننا نلفّق الأكاذيب - ولا سيّما عندما نكون نحن من يكذب. وهكذا، نشط بوش، وصانعو سياسته، والناطقون باسمه بمهاجمة مؤيّدي التوجّه الفرنسي.

وكان هناك دبلوماسي معسول اللسان، هو كولن باول، يقول على محطة الـ بي. بي. سي: "كانت مرحلةً صعبةً جدّاً لدى قيامنا بدراسة عملية التصويت للقرار الثاني ذاك ولم نكن واثقين بأن فرنسا كانت تلعب دوراً مساعداً". وعندما سُئل باول عما إذا كانت فرنسا ستُعاقَب لعدم دعمها الموقف الأمريكي من الحرب، قال وزير الخرجية ببساطة: "نعم".

أما دونالد رامسفلد فاتّخذ منحىً مغايرَ - منحىً أكثر إهانة - لدى إجابته عن سؤال حول وجهة النظر الأوروبية من الحرب: "تحسبون أن أوروبا هي ألمانيا وفرنساً فقط. أما أنا فلا. برأيي هما يشكّلان أوروبا القديمة". (يفضّل رامي على ما يبدو اعتبار أن أوروبا - أو أوروبا الجديدة، كما يدعوها - مؤلّفة فقط من الأعضاء الأساسيين في الائتلاف مثل ألبانيا، إستونيا، هنغاريا، لاتفيا، وسلوفاكيا).

وفي ما يتعلّق بالرئيس الفرنسي جاك شيراك، أخبر بوش توم بروكاو من الـ إن. بي. سي: "أشكّ أنه سيأتي إلى المزرعة في وقت قريب". (كان شيراك منسحق الفؤاد بالتأكيد لإمكانية تقصيره عن القيام بزيارةٍ إلى كراوفورد، تكساس).

لكن العقاب الأشدّ قسوةً على الإطلاق جاء على لسان صحافيٍّ مجهول الهويّة في البيت الأبيض – متّهماً المرشّح الديموقراطي للرئاسة المفعَم بالأمل (وهو الجندي الذي شارك بحرب فييتنام وقُلّد أوسمة) السناتور جون كيري بأنه يبدو "فرنسياً".

واقترح النائب الجمهوري جيم سكاكستون عن ولاية نيو جيرسي سنّ قوانين في مجلس النواب لمنع الشركات الفرنسية من الحصول على عقود أمريكية لإعادة إعمار العراق. أما زميلته الجمهورية جيني براون–ويت عن ولايةٍ فلوريدا فابتكرت طريقةً أفضل إذ تقدّمت بمشروع قانون يقضي بإعادة رفاة الجنود الأمريكيين، الذين قضوا خلال الحرب العالمية الثانية ودُفنوا في فرنسا، إلى الولايات المتحدة. "يجب أن تُدفن رفاة أبطالنا الشجعان في أرض الوطن وليس في دولةٍ أدارت لنا ظهرها"، قالت براون – ويت.

وقامت مجموعة مناهضة للنظام الضرائبي بنشر إعلانات ضد عضوين جمهوريين في مجلس الشيوخ الأمريكي عارضا اقتراح بوش خفضَ الضرائب. وتُظهر الإعلانات كلاً من السناتورين واقفاً إلى جانب علمٍ فرنسي مرفرف كُتبت عليه الجملة التالية: "قاد الرئيس بوش بشجاعة قوات الحرّيةً لكن بعضاً ممّن يُدعَون حلفاء كفرنسا اعترضوا طريقهم. وفي الوطن، اقترح الرئيس بوش تخفيض الضرائب بهدف خلق فرَص عمل وتعزيز الاقتصاد. لكن بعضاً ممّا يُدعَون جمهوريين... اعترضوا طريقه".

وقال المعلّق على شبكة فوكس نيوز، سين هانيتي، لمشاهديه: "لو كنت مخططاً للقيام برحلةٍ إلى فرنسا هذا الصيف لألغيتها. سأقول لكم السبب. ما قام به جاك شيراك عندما كنا بحاجة إليه، وكيف شوّه سمعتنا والمدى الذي بلغه لأسباب شخصية أنانيّة، وازدواجيّته، بلغت حدّاً لا يمكن الصفح عنده. أنا آسف، أريد فقط الطلب من كل أمريكي البقاء بعيداً عن فرنسا، اذهبوا إلى بريطانيا العظمى".

لم يمرّ وقت طويل على تقديم هذه الوجبة الفرنسية من الأكاذيب حتى ابتلع الشعب الأمريكي الطُّعم. فسُكب النبيذ الفرنسي في الشوارع، وفي المراحيض في أحد مطاعم نيو جيرسي. وتمّ تجنّب المطاعم الفرنسية. وألغى من كانوا يخططون لقضاء عطلتهم في فرنسا مخططاهم - بالرغم من انخفاض قيمة الحجز بنسبة 30 بالمئة. واستبدلت قاعة الطعام التابعة للكونغرس تسمية "مقالي فرنسية" على قائمة الطعام بـ "مقالي الحرّية"، تبعاً لما قام به مالك مطعمٍ في ولاية نورث كارولاينا الذي اقتدى بجهودٍ بُذلت خلال الحرب العالمية الأولى لإعادة تسمية الكرنب بـ "كرنب الحرّية". وقامت المطاعم في كل أنحاء البلاد بالإجراءات نفسها، وكما أوضح رئيس سلسلة مطاعم فادراكرز: "كل ضيف يدخل مطاعمنا طالباً 'مقالي الحرّية' إنما يُظهر دعمه لأولئك الذين يصونون حرّياتنا الأكثر أهمّية، ولا سيما التحرّر من الخوف". (دون ذكر التحرّر من الوقائع: ما نعرفه بالمقالي "الفرنسية" مصدره بلجيكا).

ومنذ أكثر من 200 عام، ردّد باتريك هنري شعار المعركة التي امتازت به الثورة الأمريكية "أعطني الحرّية أو أعطني الموت!". أما اليوم فبإمكانه التعبير عن حماسته الوطنية بتبديل اسم السّلع التي يطلبها.

وتعرّض أحد المتاجر التابعة لسلسلة متاجر فرانش كلينرز القائمة في وادي سان خواكين، كاليفورنيا، والتي يملكها لبناني، إلى لصق شعاراتٍ مناهضة لفرنسا على جدرانه، كما أُحرق متجرٌ آخر. كما أن فندق سوفيتل في مانهاتن الذي يملكه فرنسيون والذي استبدل العلم الفرنسي المرفرف في الخارج بلافتة كُتب عليها Old Glory.Fromage.com، وهو موزّع أجبان فرنسية، كان قد تلقّى مئاتٍ من التهديدات العدائية عبر البريد الإلكتروني.

وفي لاس فيغاس، استُخدمت عربة قتالية مصفّحة مجهّزة بسلاحين أوتوماتيكيّين ومدفع من عيار 76 ميليمتراً لسحق لبنٍ فرنسي، وخبز فرنسي، وقناني نبيذ فرنسي، ومياه بيرييه، وفودكا غراي روز، وصور لشيراك، ودليل لباريس، وأفضل من كل ذلك، نسخات فوتوغرافية للعلم الفرنسي. ولم ينتظر مصنع الخردل الفرنسي الذي يملكه بريطانيون ردّة الفعل؛ فعلّقوا خارجاً مسبّقة

صحافية جاء فيها أن "الشيء الفرنسي الوحيد في الخردل الفرنسي هو الاسم فقط!".

وفي كل مكانٍ من الولايات المتحدة، لم تؤمّن البرامج القاضية بإقامة طلاب فرنسيين لدى عائلاتٍ أمريكية ما يكفي من المضيفين الأمريكيين، وذلك للمرّة الأولى منذ سنوات.

والمراوغ الوحيد الذي نجا من هذا الغضب الشديد كان طاهي المعجّنات في البيت الأبيض – وهو رجلٌ عُهد إليه بتحضير وجبات رئيسنا بالرغم من كونه فرنسياً. وإن ممارسة حلفائكم الخداع من خلال إعادة تسمية الأطعمة وهدر كمّيات كبيرة من النبيذ الثمين هو أمرٌ جيّد، لكن جورج دبليو بوش ما زال بحاجة إلى الخبز بالشوكولا – فهو يمنحه قوة (بالفرنسية Fortitude)، لا بل "قوة الحرّية".

بالطبع، كان من السهل السعي وراء فرنسا. فالعديد من مواطنيها كانوا "فظّين" حيالنا، وكان لها هذا الماضي بالكف عن مقاومة الطغاة. وبينما كان لفرنسا مقاتلون مقاومون شجعان، ومات عددٌ كبيرٌ من المواطنين الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية، فقد قرّرت، عوضاً عن مقاتلة الألمان حتى النهاية، التعاون مع المحتلّ ولا سيّما عندما كان يتعلّق الأمر بجمع اليهود والشيوعيين وإرسالهم للموت في معسكرات الاعتقال.

وإضافةً إلى ذلك، كان للفرنسيين ماضٍ بعدم رؤية الأمور بطريقةٍ صائبة. وعلى غرار خط ماجينو، بُنيت سلسلة من التحصينات على امتداد الحدودٍ الفرنسية – الألمانية قبل الحرب العالمية الثانية بهدف الدفاع عن فرنسا من الألمان المجتاحين. وكانت المشكلة الوحيدة في أنهم بنوا التحصينات في المنطقة التي لم يتمّ الاجتياح الألماني عبرها، وتمكّن الألمان من التوغّل في العمق الفرنسي قبل أن يكون بإمكانك القول "أيها النادل، مزيداً من الجبن النتن من فضلك!".

وهناك من ثمّ عامل الغيرة ببساطة. فمعظم الأمريكيين يعلمون أن الفرنسيين هم أكثر ثقافةً وذكاءً ومطالعةً من الأمريكيين العاديين. ونحن لا نحبّ التسليم بأن الفرنسيين هم الذين ابتكروا الأفلام، والسيارة، وسمّاعة الطبيب، وطريقة بريل، والتصوير الفوتوغرافي، والأكثر أهمّية من كل ذلك، طبع الانطباعات في الذاكرة.

حملوا لنا التنوّر، والتنوّر الفريد مهّد الطريق لتقبّل واسع لكل الأفكار والمبادئ التي قامت أمريكا عليها. وعندما نكتشف أن على الفرنسيين العمل خمسٍ وثلاثين ساعة فقط في الأسبوع وأن كل شخص يحصل على إجازة سنوية مدفوعة تتخطّى الأسابيع الخمسة، فكل ما يمكننا فعله هو توجيه ملاحظات تثير الشك بنقاباتهم وبكيفية الاستمرار بجعل بلدهم أكثر انغلاقاً.

لذا، كانت فرنسا البلد المثالي لإزعاجه. وكانت عمليّة إرباك مسلّية. وإذا كنت شركة لنقل الأخبار بالكابل، لَم تقضي وقتاً بلا ثمن في إرسال التقارير الاستقصائية عمّا إذا كان العراق يملك بالفعل أسلحة دمار شامل، بينما يمكنك كتابة موضوع عن مدى فساد الفرنسيين؟

وهكذا، وبعد أن بدأت الأكاذيب بالانكشاف، شرع عددٌ قليل من الناس بإعادة النظر بما أُخبروا به عن الفرنسيين وما قام به هؤلاء لأجلنا في الواقع.

وثبت في النهاية أن الأمر كان بمثابة محاسبة الفرنسيين عمّا فعلوا بنا.

ويكاد معظم الأمريكيين لا يذكرون من الذي فاز بمباراة البولنغ في السنة الماضية، ناهيك عن القصة الحقيقية عن كيفية إقامة هذه الدولة.

وكلّنا يعلم بشأن حفلة الشاي Tea Party ورحلة بول ريفر الليلية، لكننا نحب أن ننسى أنه لم يكن بإمكاننا أبداً ربح الحرب دون الفرنسيين. تبّاً، حتى إننا لا نريد التفكير بحقيقة أن والد ريفر كان... فرنسياً (ولم يكن Revere - كان Rivoire!). ولكن، كانت الحرب الفرنسية والبريطانية على كندا هي التي دفعت سكّان المستعمرات لتخطّي حدودهم. وقد فرضت عليهم السلطات الملَكية دفع الضرائب على الطوابع والشاي لمساعدتها على دفع ثمن حربٍ لم يشارك بها سكّان المستوطنات. وعندما بلغ الغضب والإحباط الاستعماري ذروته وقرّر سكّان المستعمرات الانفصال، تيقّنوا تماماً من أنهم غير قادرين على القيام بالمهمة بمفردهم. فلجأوا إلى الفرنسيين، ووافق الفرنسيون على المساعدة في إذلال البريطانيين. فأرسلوا الجنود، والسفن، و90 بالمئة من كمّية البارود التي استخدمنا، وعشرات الملايين من الدولارات.

وانتهت الحرب في يوركتاون باستسلام البريطانيين لواشنطن، والفرقة

الموسيقية تعزف وتغنّي "إنقلب العالم رأساً على عقِب" - لكن البريطانيين كـانوا يستسلمون للفرنسيين في الواقع. واحتُجز الجنود البريطانيون داخل صناديق من قِبَل البحرية الفرنسية، وكان هناك في نهاية الأمر جنودٌ فرنسيون أكثر عدداً من سكّان المستعمرات.

وفي الواقع، لطالما كانت فرنسا الصديق الأفضل للولايات المتحدة. فحـوالى ثلث الاستثمارات الفرنسية الخارجية المباشرة موجـودة في الولايـات المتحـدة. والفرنسيون هم خامس أكبر مستثمر في بلدنا، ويوظّفون حوالى 650.000 شخص في الولايات المتحدة. كما أن لجنة رئسها إليانور روزفلت وكان رونيه كاسّان نائباً للرئيس وضعت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وكما كانت الحـال في فييتنـام، تقاسمنا تاريخاً قذراً في العراق حيث كانت شركة النفط العراقية - وتملكها شركات نفط أمريكية، وبريطانية، وهولندية، وفرنسية كبرى - تستثمر نفط العراق.

ومع ذلك، اتّهم الأمريكيون الفرنسيين بكل أنواع الخيانة عندما كان يتعلّـق الأمر بالعراق. وكانت هناك ادّعاءات بأن الفرنسيين كانوا يعارضون الحرب فقط للحصول على مكاسب اقتصادية في عراق صدام حسين. وبالفعل، فإن الأمريكيين هم من كانوا يحقّقون أرباحاً كبيرة. ففي العام 2001، كانت الولايـات المتحـدة الشريك التجاري الأكبر للعراق، مستهلكةً أكثر من 40 بالمئة من صادرات النفط العراقي. هي عبارة عن صفقة تجارية مع الديكتاتور العراقي بقيمة 6 بليون دولار. وبخلاف ذلك، فإن 8 بالمئة من صادرات نفط العراق سـلكت طريـق فرنسـا عام 2001.

وقادت فوكس نيوز مهمّة اتّهام شيراك بالاتكال على صدام حسين، عارضةً مشاهد قديمة تُظهر الرجلين معاً. ولم يكن يهمّ أن الاجتماع كان قـد جـرى في السبعينات من القرن الماضي. ولم تترعج هذه الوسيلة الإعلامية من عرض المشاهد، مراراً وتكراراً، والتي يظهر فيها صدام حاملاً مفتاح ديترويت أو التي تُظهر دونالد رامسفلد مسافراً إلى بغداد في الثمانينات من القرن الماضي لزيارة صدام في بغـداد ومناقشة تطوّر الحرب الإيرانية - العراقية. وتلك المشاهد التي يظهر فيها رامسفلد معانقاً صدام لم تكن جديرة بالعرض بشكلٍ متواصل. أو ربّما لمرّة واحدة. حسناً،

ربما مرّة واحدة. وها هي أوبراه على الهواء. فعندما أظهرت رامسفلد مولَعاً بصدام، صدر لهاثٌ متلهّف من جماعة الحاضرين المتواجدين في الاستوديو. وفي كل يوم، كان الأمريكيون العاديّون يُصدَمون بالتيقّن أن الشرير كان في الواقع شرّيرنا. شكراً أوبراه.

وكم أننا ننسى سريعاً أن الفرنسيين هم من حملوا مجلس الأمن الدولي في اليوم التالي للحادي عشر من أيلول/سبتمبر على إدانة الهجمات مطالبين بأن تأخذ العدالة مجراها في مسألة الضحايا. وكان جاك شيراك القائد الأجنبي الأول في السفر إلى أمريكا بعد الهجمات لتقديم دعمه وتعازيه.

وإحدى علامات الصداقة الحقّة هي عندما يشعر صديقك بالشجاعة الكافية ليُعلمك عندما تكون فاقداً السيطرة على نفسك. هذا هو نوع الصداقة الذي يجب أن تأمل بالحصول عليه. وهذا هو نوع الأصدقاء الذي كانت تمثّله فرنسا – إلى أن تنكّرنا لصديقنا الأفضل، متشبّثين بالكذبة تشبّث المقالي بالحرّية.

الوجبة السادسة: كذبة كومبو مع خسٍّ إضافي: "ليست الولايات المتحدة من سيذهب فقط إلى العراق. هو ائتلافٌ من الراغبين المستعدّين!".

هذه هي كذبتي المفضّلة لأنني لا أستطيع الكفّ عن الضحك كلّما فكّرت به.

فبهدف إضفاء شيءٍ من الارتياح على الموقف الدولي من غزونا للعراق، أعلن بوش أننا لسنا الوحيدين في الشعور بهذه الطريقة حيال صدام: "دولٌ عدّة عاقدة النيّة والعزم على مواجهة التهديد المُحدق بالسلام، ويجري حالياً تشكيل ائتلافٍ لدعم المطالب العادلة للعالم. ولم يرتقِ مجلس الأمن إلى مستوى مسؤولياته، لذا فنحن سنرتقي إلى مستوى مسؤولياتنا".

بالطبع، من الأفضل على الدوام مقاسمة كذبتك مع الأصدقاء. وكلّما كانوا أكثر عدداً كلّما كان الأمر أفضل، على أن تتمّ المشاركة بالتضحية على قدم المساواة. فأيّاً من الدول لن ترى دون غيرها فتيانها وفتياتها يموتون. وليس على مواطني أي دولةٍ دون أخرى تحمّل العبء الكامل لبلايين الدولارات المرصودة لخوض المعركة ومن ثمّ إعادة بنائها. وأيٌّ من الدول لا تريد رؤية مدنها وولاياتها

تُفلس وديونها تتزايد، فقط لإزاحة ديكتاتور حقير واحد. لذا، فلنشـكّل ائتلافـاً يتشارك في حمل العبء – يا لها من فكرة محبَّبة.

لكن هناك مشكلة واحدة: نكاد لا نجد أحداً يريد الانضـمام إلى "ائـتلاف الراغبين المستعدّين" هذا. ولكن من كانت الدول ذات الأطوار الغريبة التي وقّعت على جنون بوش؟ فلنلقِ نظرة على القائمة. فهي تبدأ بـ...

أفغانستان.

حسناً، فلنتوقّف هنا. أفغانستان؟ ما ستكون مساهمتها بالتحديد؟ الأحصـنة؟ عشرة عصيّ وحجر؟ أوليس لهم مشاكلها الخاصة في الوقت الحاضر؟ أو هل كان لديها أمير حرب واحد أو اثنان يمكنهما مساعدتنا في العراق؟ فقد طلبتُ من وزارة الخارجية تزويدي بلائحة بالمساهمات التي قدّمتها أفغانستان في المجهود الحربي، لكن حتى الآن لم يستجب أحد.

وضارب الكرة التالي في فريق "ائتلاف الراغبين المستعدّين" هو لاعبٌ آخـر من الوزن الثقيل: ألبانيا. هل هي ألبانيا نفسها حيث الصناعة الرئيسية هي تـأمين استمرارية الزراعة والمزارع، وحيث يتوافر هاتفٌ واحد لكل ثلاثين شخصاً؟ دعونا نكمل...

أستراليا. إليكم دولة بكل معنى الكلمة! باستثناء ما أشارت إليه استطلاعات الرأي قبل بدء الحرب وهو أن مواطنيها يعارضون الحرب بفارق 70 بالمئـة. إذاً، كيف دخلوا القائمة؟ لوّح جورج دبليو بوش لرئيس الوزراء الأسترالي جون هاورد بإمكانية توقيع اتفاق تجارة حرّة. إن كنت غير قادر على الانضمام إليهم أو أنهم لن ينضمّوا إليك، ارشِهم.

أما نيوزيلاندا، جارة أستراليا، والتي رفضت الانضمام إلى الائتلاف فاستُثنيت من المحادثات التجارية. يا للمفاجأة!

عودة إلى "الراغبين المستعدين": أزربيجان (سنحصل على نفطهم في المرحلـة التالية، لذا لا خيار آخر لها)، بلغاريا (متى كانت بلغاريا إلى جانبك، أنّى لـك أن تخسر؟ إضافةً إلى أنه تعيّن عليّ كتابة "بلغاريا" مرّتين في الكتاب نفسه!)، كولومبيا

(أوقفنا تلك الحرب الأخرى التي نتقاتل فيها هناك)، جمهورية التشيك (يا للحرج! فقد أدخلناكم إلى الناتو في كافة الأحوال!)، الدانمارك (هذا الأمر وحده من شأنه تجريدهم من أهليّة الانضمام إلى العضوية السكاندينافية - لم أظن أبداً أنها تنتمي إليها بأي شكلٍ من الأشكال. فلندَع فنلندا تنل العضوية حيث تنتمي!)، السلفادور (لم نضمّها للاشيء)، إرتريا (أين تقع هذه بالله عليكم؟)، أستونيا (أرأيتِ فرنسا، بعض المتعاونين مع النازيين يحبّوننا!)، إثيوبيا (إرسال زمرة من الأطفال الجائعين للمساعدة هو أفضل ما يكون!)، جورجيا، هنغاريا، إيطاليا (هذه هي الدولة الثانية بالفعل لجهة معارضة 69 بالمئة من شعبها للحرب)، اليابان (لا أصدّق ذلك! هل يعلم الشعب الياباني الذي عارض 70 بالمئة منه الحرب بأنهم مُدرَجون على القائمة؟)، كوريا الجنوبية، لاتفيا (مزيداً من المتعاونين مع النازيين)، ليتوانيا (مزيداً من المتعاونين أيضاً مع النازيين!)، مقدونيا، هولندا (تعاطٍ للمخدرات يغطيه القانون بشكلٍ مفرط؟)، نيكاراغوا، الفيليبين (ربما قد يجدر بهم إمضاء وقتهم بالعمل على إلحاق الهزيمة بعناصر "القاعدة" المتواجدين في بلدهم)، بولندا (ألم يسمعوا البابا يقول إن الحرب كان عملاً خاطئاً؟)، بالاو...

بالاو؟

بالاو هي مجموعة من جزر شمالي المحيط الهادئ يبلغ تعداد سكانها عشرين ألفاً ويكادون لا يملأون حديقة ماديسون سكوير العامّة. هم يملكون بالفعل - كما أشارت إليه ذي واشنطن بوست - التّبيوكة اللذيذة وجوز الهند المنعش، ولكن، وللأسف، لا جيش لهم. وبما أن بالاو هي جزء من "ميثاق لاتّحادٍ حر" مع الولايات المتحدة، يمكن للبالاويين تأدية خدمتهم العسكرية في إطار القوات المسلّحة الأمريكية. هناك حالياً حوالى 250 بالاوي يقاتلون في صفوف العم سام.

أن لا نكون نملك جيشاً لا يمنعنا بالطبع من أن نكون في ائتلاف الراغبين المستعدّين. وممّن لا جيش لهم، نذكر أيضاً آيسلند، كوستا ريكا، جزر المارشال، جزر السولومون، ومايكرونيزيا. ولكنهم لن يودّعوا أولادهم الذاهبين للموت! هذه مهمّتنا! نريدهم فقط أن يكونوا راغبين مستعدّين للقيام بذلك!

مهلاً! مهلاً! خبر موجَز!عرضت بولندا بالفعل إرسال 200 جندي! شـكراً لرغبتك واستعدادك!

وبالرغم من أن المغرب يفتقر إلى تقديم يد العون عسكرياً، فقد عرضوا بالفعل إرسال 2.000 سعدان للمساعدة على تفجير الألغام الأرضية في العراق. ولكنهم لم يفعلوا، وإن لم تسلّموا السعادين لن يكون بإمكانكم الانضمام إلى ائتلاف الراغبين المستعدّين، وبالتالي جني الفوائد. بأيّة حال، لا يحتاج الائتلاف للسعادين وقد عثر على قردٍ لقيادته.

ولكن، أظن أني فقدت السيطرة على زمام الأمور هنا. لنرَ من تبقّى: رومانيا، سلوفاكيا، إسبانيا (فقط 13 بالمئة من الإسبان كانوا لصالح الحرب، هذا إذا كـان الاجتياح مدعوماً من الأمم المتحدة) و... ابقَ علـى الخـط... تركيـا. رفـض السياسيون الأتراك مبلغ 26 بليون دولار في مقابل إقامة الجنود الأمريكيين قواعـد لهم في تركيا. ربما كانوا منتبهين لاستطلاعات الرأي التي أظهرت أن 95 بالمئة من الأتراك يعارضون اجتياح العراق.

وتأتي المملكة المتحدة في المرتبة الأخيرة (أفضل صديقٍ لنا في العـالم كلـه!) وأوزباكستان. ففي المملكة المتحدة، دعم 9 بالمئة فقط مـن البريطـانيين عمـلاً عسكرياً ضد العراق إذا كان على الولايات المتحدة وبريطانيا الذهاب وحدهما إلى الحرب. وانقسم البريطانيون بالتساوي حول مسألة من يكون "التهديـد الأكـبر للسلام العالمي"، وقد نال كل من بوش وحسين نسـبة 45 بالمئـة مـن عمليـة التصويت. لَمَ يورّط توني بلير نفسه إذاً في هذه القضية؟ تُرى، بِمَ وعده بوش؟

وهكذا بات لدينا ائتلافٌ من الراغبين المستعدين ويشكّلون حوالى 20 بالمئـة من سكان العالم. ولكن، حتى إن هذا الأمر مخيّب للآمال بما أن معظـم مـواطني أعضاء الأئتلاف يعارضون الحرب في العراق - مّما يجعلهم "ائتلافاً للمكـرَهين" أو بصوابيّةٍ أكبر، "ائتلافاً للمكرَهين، المرتَشين والخائفين".

ولاستكمال المحضر فقط، في ما يلي بعضٌ من الدول العديدة التي لم تـرد أن تشارك في هذا الإخفاق التام، والتي تشكّل "ائتلاف غير الراغبين":

الجزائر، الأرجنتين، النمسا، بلجيكا، البرازيل، كندا، التشيلي، الصين، كوبا، مصر، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، الهند، إندونيسيا، إيران، إرلندا، إسرائيل، الأردن، المكسيك، نيوزيلاندا، نيجيريا، النروج، باكستان، روسيا، جنوب أفريقيا، السويد، سويسرا، سوريا، تايلاندا، الإمارات العربية المتحدة، فنزويلا، فييتنام، اليمن، زامبيا، زيمبابواي – و103 دول أخرى.

ومن يريدهم؟ جبناء! فاشلون! مراوغون!

الوجبة السابعة: كذبة أصغر، وجبة أولاد: "نقوم بالمستَطاع كيلا يفقد أي مدني حياته"

تعلّمنا الكثير في التسعينات من القرن الماضي عن كيفية خوض الحرب مع أكبر حدّ أدنى ممكن من الخسائر في صفوف الجنود الأمريكيين. هذا ما تحصل عليه من ليبرالي في البيت الأبيض. فقد أقفل كلينتون القواعد، وخفّض عدد الجنود، ورصد الأموال لاكتشاف طرقٍ لقصف الناس من مسافات بعيدة. دون هرجٍ ومرج، دون ضوضاء. ومع الوقت، انتهى بيل إلى أنه لا خيار لنا سوى آلة قتالية واحدة خفيفة نظيفة تعتمد التقنيات المتطوّرة "المورِّطة".

وأحد مشاريع الدفاع لكلينتون المفضَّلة لدي كان ذلك القائم في ليتلتون، كولورادو، على الطريق المؤدّي إلى مدرسة كولومبين الثانوية. هناك، تقوم لوكهيد مارتن، أكبر صانع للأسلحة في العالم، ببناء صواريخ تحمل إلى الفضاء الأقمار الاصطناعية الجديدة المميَّزة التي حدّدت وجهة القذائف الصاروخية التي استهدفت بغداد. وعندما أطلق بوش هجومه النّاري العنيف على العاصمة العراقية (ويقطنها 5 ملايين شخص) خلال حرب الخليج الثانية، لم يكن بالإمكان القيام بذلك دون صواريخ لوكهيد الجوّالة تلك. وهذا القصف الموجَّه بدقة فائقة استهلّ عصراً جديداً من العمل الحربي. وكان دقيقاً بهامش خطأ قليل جداً، كما كان بالإمكان تنظيمه من مركز القيادة العسكرية في تامبا، فلوريدا. واستُخدمت الأقمار الاصطناعية نفسها لقصف أفغانستان بعد 11 أيلول/سبتمبر. وخلال حملتي القصف هاتين، قُتل حوالى 9.000 شخص، وفقاً لبعض التقديرات؛ أي ما يوازي ثلاثة

أضعاف عدد المدنيين الذين قضوا في 11 أيلول/سبتمبر، و8.985 أكثر من عدد الذين قضوا في مدرسة كولومبين الثانوية.

ويتفاخر البنتاغون بالكماليّة التي باتت تتّصف بها أنظمة التوجيه الآن، وبأنه لن يتمّ التضحية بأي مدني إذا ما استُهدفت المنشآت العسكرية فقط.

قل ذلك لعائلة رازق الكاظم الخفاجي الذي فقد زوجته، ستة أبناء، والده، والدته، وشقيقين في هجومٍ واحد.

"الله ينتقم لنا من أمريكا"، قال للصحافيين منتحباً وسط الركام والأشلاء.

يا لك من ناكرٍ للجميل!

وكان هناك بعد ذلك الصبي الذي فقد أهله وذراعيه عندما ضرب صاروخٌ مترله. وبينما كانت الدموع تنهمر على وجنتيه، توسّل إلى الصحافيين لمساعدته في العثور على ذراعيه.

أو تلك الوالدة التي بدأت بالنحيب مصعوقةً، وما لبثت أن أُغمي عليها ما إن شاهدت جذع امرأة شابّة ومن ثمّ رأسٍ مقطوعٍ مهشّم - رأس ابنتها - وقد تمّ انتشالهما من حفرةٍ ينبعث منها الدخان. وحدثت الحفرة نتيجةً لسقوط أربع قنابل استهدفت مطعماً "كان بالإمكان" أن يكون صدام حسين متواجداً فيه. وعوضاً عن ذلك، أزالت القنابل ثلاثة منازل، قاتلةً أربعة عشر شخصاً من ضمنهم سبعة أولاد وابنة المرأة.

ربما تظن بأن العراقيين قد يكونون ممتنّين لقطع أوصال أفراد عائلاتهم ليكون الأمريكيون آمنين من صدام ومن أسلحة الدمار الشامل التي قد يكون يمتلكها، والكف عن حالتهم هذه من بكاء وإصابة بالدوار.

وبالرغم من ذلك، كان هناك أمرٌ واحدٌ واضح. فللمرّة الثانية منذ 11 أيلول/سبتمبر، كان المسؤولون الأمريكيون يهرشون فروة رؤوسهم متسائلين كيف أن فاعل شرٍّ أساسي آخر أفلت منهم.

وبينما كان أولئك المسؤولون الأمريكيون أنفسهم يقتلون المدنيين العراقيين، تركوا للآخرين مهمّة تعداد القتلى. وأعلنت مجموعة أبحاث بريطانية - أمريكية في

لندن أن عدد القتلى المدنيين الذين سقطوا خلال الحرب يتراوح بين 6.806 و7.797 شخصاً. هو كمٌّ كبير من الحوادث العرَضية عندما تتكلّمون عن أسلحة "موجَّهة بدقّة". بالطبع، لا يحبّ البنتاغون التكلّم عن مهمّات البحث والتدمير أو عن القنابل العنقودية.

فكل قنبلة عنقودية زنتها 1.000 باوند (500 كلغ) تُطلق ما بين 200 و300 قنبلة صغيرة يمكن بدورها نثر المئات من الشظايا فوق منطقة توازي عدّة ملاعب لكرة القدم مساحةً. ووفقاً لتقديرات خاصة بالبنتاغون، فإن القنابل الصغيرة التي قد تكون على صورة ألعاب صغيرة الحجم للأولاد أخفقت بالانفجار بمجرّد اللمس، وذلك بمعدَّل يتراوح بين 5 و20 بالمئة، وهكذا بقيت ملقاةً على الأرض حتى يلتقط ولدٌ إحداها.

وبالطبع، فإن اعتبار القلوب الدامية في هيومن رايتس واتش استخدام القنابل العنقودية في المناطق المدينية "انتهاكاً لحقوق الإنسان"، وحيث تبقى خطرة لسنوات، لا يعني أننا لا نُبالي بالإصابات المدنية. لا، فنحن سنتحقّق من أن وسائل إعلامنا لا تزدري العراقيين الفقراء من خلال عرض صورٍ مثيرة للاشمئزاز تُظهر أولاداً مشوّهين يتناولون طعام الغداء. نعِد بعرض جثّتي نجلي صدام حسين، عدَي وقُصي، فقط، المشوَّهتين بفعل الطلقات النارية. مرّة واحدة، مرّتان، مئات المرات. هذا كل ما في الأمر.

ولأن العديد من جنودنا قُتلوا منذ أن أعلن بوش الحرب، فإن الجنود يبدون وثّابين عصبيّي المزاج، وهو أمرٌ يمكن فهمه. فكل مدني يبدو قاتلاً محتمَلاً. لذلك، قُتل العديد من العراقيين الأبرياء بطلقات جنودنا. تماماً كعشرات النّساء والأولاد الذين قتلهم الجنود الأمريكيون عندما لم تتوقّف السيارة التي كانت تُقلّهم عند نقطة تفتيش. فقد ظنوا على ما يبدو أنهم كانوا يتلقّون أمراً أمريكياً بتخطّي الحاجز والتوقف جانباً. آسف بشأن ذلك، قال الجنرال ريتشارد مايرز.

ولن تتحسّن هذه الأجواء أبداً ما دمنا نحن المحتلّون وهم المتسائلون عن مكان الكهرباء.

الوجبة الثامنة: كذبة "نحن هناك لحماية حقول النفط في العراق!".

هذه الكذبة صحيحة.

الوجبة التاسعة: كذبة مزدوجة بالجبن وفحم الكوك: "تقل الإعلام الأمريكي لكم الحقيقة حول العراق!".

إذا كنتم راغبين بالترويج لمجموعةٍ من الأكاذيب، أنتم بحاجة لحملة إعلانية ملائمة. وتدفع المؤسسات مبالغ كبيرةً لذلك النوع من الحملات الإعلانية، لكن لم يكن يتوجّب على إدارة بوش دفع سنتٍ واحد عندما تضافرت جهود وسائل الإعلام التي يُفترَض أن تكون ليبراليةً معٍ مكتب البيت الأبيض في محطة فوكس نيوز لشنّ حملةٍ دعائية موالية للحرب كان من المستحيل تقريباً تجنّبها.

وقد نجحت – حتى إن النباتيّين كانوا يلتهمون هذه الأكاذيب. ومُرفَقة بموسيقى وطنية، موسيقى التوجّه إلى الحرب، وبصورٍ مستوحاة من العلم الأمريكي، واعتذارات عن بشاعة ما يتمّ عرضه، كانت المشاهد قاسية: وداعاتٌ دامعة لعائلاتٍ فخورة يتوجّه أبناؤها الجنود إلى ما وراء البحار؛ شاباتٌ أمريكيات أسطوريات ينقذهنّ شبّان أمريكيون جريئون؛ قنابل ذكيّة تقوم بعملٍ تدميري بنجاحٍ فائق؛ عراقيون ممتنّون يُطيحون بتمثال صدام؛ أمريكا موحَّدة تقف إلى جانب رئيسنا المصمِّم والعازم.

وكانت هناك من ثمّ المشاهد المنقولة مباشَرةً من الصحراء العراقية القاسية حيث الصحافيون الذين "دُمجوا" بالقوات الأمريكية الأرضية مُنحوا مهلةً لإرسال تقاريرهم دون تدخّلٍ من البنتاغون (كما كان يُفترض بنا الاعتقاد). والنتيجة؟ كثير من الروايات عن العمل والصعوبات والمخاطر الميدانية التي تواجهها قواتنا المسلّحة – ولا شيء في الواقع عن سبب وضع هؤلاء الشبان الممتازين في طريق الأذيّة والضرر. حتى إنه كانت هناك معلومات أقلّ عمّا كان يحدث لشعب العراق.

لذا، وما لم تتجاهل الأخبار الأمريكية كلّها وتشاهد فقط الـ بي. بي. سي أو الـ سي. بي. إس أو لو جورنال الفرنسية (مع عناوينها الفرعية باللغة الإنكليزية المناسبة لمجموعةٍ من القرّاء الأمريكيين المتكاسلين بما يكفي لتعلّم لغةٍ أخرى بسبب

نوعية الثقافة التي يكتسبونها)، فإنك قد تجد نفسك بسرعة مؤمناً بأن كل هذه التضحية كانت لأجل قضيّة مُحقّة.

وما كان بالتحديد سبب الحرب مع العراق؟ فقد صدّقنا الأكاذيب كلّياً بحيث إن استطلاعات الرأي أظهرت أن نصف الأمريكيين يظنّون خطأً أن العراقيين هم من اختطفوا طائرات 11 أيلول/سبتمبر، وأن حوالى النصف يعتقدون أن الولايات المتحدة عثرت على أسلحة دمار شامل في العراق، علماً بأنه لم يتم العثور على أيٍّ منها. وعبّر ربع المستفتَين عن اعتقادهم بأن صدام شنّ هجوماً كيميائياً أو بيولوجياً ضد قوات "الائتلاف"، وهو أمرٌ لم يحدث أيضاً.

وكان بالإمكان فهم حالات سوء الإدراك القائمة على نطاقٍ واسع. فقد كان من المستحيل تقريباً سماع وجهة نظر أحدهم يُسائل أو يعارض الأسس التي ارتكزت عليها إدارة بوش للترويج للحرب على شاشات التلفزة الأمريكية.

وقامت مجموعة "فير" FAIR التي تراقب الإعلام بدراسة نشرات الأخبار المسائية لست شبكات تلفزيونية أمريكية ومحطات إخبارية لمدة ثلاثة أسابيع، بدءاً من 20 آذار/مارس 2003 - اليوم التالي لبدء القصف الأمريكي على العراق. وتفحّصت الدراسة انتماءات ووجهات نظر أكثر من 1.600 مصدر ظهروا على الشاشة في تقارير حول العراق. وكادت النتائج تكون مفاجئة:

- المشاهدون الذين بدت لهم المصادر موالية للحرب هم أكثر ممّن بدت لهم المصادر مناهضة للحرب بمعدّل 25 ضعفاً.
- المصادر العسكرية كانت أكثر من المصادر المدنية بمعدّل الضعفين.
- 4 بالمئة فقط من المصادر التي ظهرت خلال الأسابيع الثلاثة كانت منتسبة إلى جامعات، مؤسسات أبحاث أو منظمات غير حكومية.
- من أصل 840 مصدر أمريكي كانوا مسؤولين سابقين حكوميين أو عسكريين أو أنهم كانوا ما يزالون مسؤولين، أربعة فقط كانوا معارضين للحرب.
- لم تتعدَّ آراء الناس المناهضين للحرب عتبة الجملة الواحدة، وكانت تُجرى المقابلات الصحافية في الشارع مع أشخاصٍ لا يتمّ التعريف عنهم. وإن أيّاً من

المحطات التلفزيونية الست التي تمّت دراستها لم تعرض مقابلة صحافية حيث يكون فيها مناهضو الحرب يتبادلون (أطراف) الحديث مع المضيف وهم جالسون في الاستوديو.

وفي بعض الحالات، اعترف الصحافيون بملء إرادهم بالافتقار إلى الموضوعية بشكلٍ مروّع. واستشهدت دراسة "فير" بدان راذر، أبرز الوجوه على الـ سي. بي. إس نيوز، خلال ظهورٍ له في برنامج لاري كينغ على الـ سي. إن. إن، إذ قال: "انظر، أنا أمريكي. وعندما يكون وطني في حالة حرب، أريده أن ينتصر أيّاً يكن مفهوم "الانتصار". والآن، لا أحاول إعطاء دليل، وأنا غير قادر على ذلك، بأن التغطية لا تخلو من التحيّز. فقد عانيت شخصياً من حملات التحيّز هذه".

وخلال الأسابيع الثلاثة للدراسة، عثرت FAIR على تصريحٍ واحد "مناهض للحرب" في برنامج سي. بي. إس إيفنينغ نيوز الذي يُعدّه راذر ويقدّمه. وكان هذا التصريح لي في مركز أكاديمي أواردس حيث كنت أتكلّم عن "الحرب الزائفة" التي يشنّها "صديقنا (رئيسنا) الزائف".

وعلى شاشة فوكس نيوز، كان لـ نيل كافوتو ما يقوله على الهواء ردّاً على أحد الانتقادات: "لا ضير من اتخاذ مواقف واضحة هنا... ترون أن لا فارق بين حكومةٍ تقمع شعبها وأخرى لا تقمعه، أما أنا فأرى الفارق".

وعبّرت إم. إس. إن. بي. سي عن وطنيّتها من خلال "الأشجع في أمريكا" - وهي لوحةٌ عُلّقت عليها صور عسكريين يشاركون في الحرب، وقد أرسلها أصدقاء هؤلاء وعائلاهم ليتمّ عرضها. أما براين وليامز من الـ إن. بي. سي والـ إم. إس. إن. بي. سي فقال ما يلي عن قتل المدنيين العراقيين: "المدنيون مستخدَمون ليكونوا أهدافاً عسكرية متعمَّدة. وعمليات القصف التي تعرّضت لها دريسدن وطوكيو خلال الحرب العالمية الثانية كانت تستهدف قتل المدنيين وترهيب الناجين. هنا رأينا النقيض يحدث".

(وقّعت القوات المسلَّحة مؤخّراً عقداً بقيمة 470 مليون دولار مع مايكروسوفت، وهي أحد مالكي إم. إس. إن. بي. سي إلى جانب إن. بي. سي. وإن. بي. سي مملوكةٌ بدورها من جنرال إلكتريك، أحد أكبر موقّعي العقود في

المجال الدفاعي في البلاد. وتقدَّر قيمة عقود هذه الشركة لإنتاج محرّكات الطائرات العسكرية ببلايين الدولارات. لكن دراسة FAIR وجدت أن وجهات نظر إن. بي. سي هي أكثر معارَضة للحرب - كذبٌ إضافي بنسبة واحد بالمئة - من شبكات التلفزة الأمريكية الأخرى).

وإليكم المزيد القليل من الأكاذيب العديدة التي أطلقتها شبكات التلفزة الأمريكية والصحف حول الحرب في العراق:

جاء في تقريرٍ للـ إي. بي. سي بتاريخ 26 نيسان/أبريل 2003 أن "القوات المسلحة الأمريكيةً وقعت على موقعٍ للأسلحة على بعد 130 ميلاً شمال غربي بغداد، وكانت نتيجة اختبار وجود مكوّنات كيميائية فيه إيجابية. ومن المواد التي عُثر عليها هناك براميل تتّسع لـ 1455 غالوناً، واثنتي عشرة قذيفة صاروخية على الأقل، و150 قناعاً واقياً للغازات".

واتّضح في ما بعد أن لا وجود لأسلحة كيميائية في الموقع وأن التقارير السابقة كانت مغلوطة بالكامل. ولم تُذِع الـ إي. بي. سي تصحيحاً أو تراجعاً عن الخبر الذي بثّته.

وساهمت الـ نيويورك تايمز في إبقاء أسلحة الدمار الشامل مدار حديثٍ من خلال الموضوع التالي الذي نشرته بتاريخ 8 أيلول/سبتمبر 2002 وهو بعنوان: "الولايات المتحدة تقول إن حسين كثّف طلبه للحصول على مكوّنات القنبلة النوويّة":

قال مسؤولو إدارة بوش اليوم إنه بعد أكثر من عقدٍ من الزمن على موافقة صدام حسين على التخلّي عن أسلحة الدمار الشامل، ضاعف العراق طلبه للحصول على أسلحة نوويّة، وانطلق في مهمّة بحث عالمية عن المكوّنات الضرورية لصناعة قنبلة نوويّة. وفي الأشهر الأربعةً عشر الأخيرة، سعى العراق إلى شراء آلاف من أنابيب الألومنيوم المعَدَّة لاستخداماتٍ خاصة. وقد أعرب المسؤولون الأمريكيون عن اعتقادهم بأن الهدف من وراءٍ هذه الأنابيب هو استخدامها كمكوّناتٍ لأجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم.

القصة؟ مغلوطة.

وأتحفتنا ذي واشنطن بوست بالقصة المُلفتة حول جسيكا لينش، وهي الجندية الشابة التي تمّ تحريرها من مستشفى عراقي بعد إصابتها إصاباتٍ بالغة خلال معركة في الصحراء العراقية:

> قال مسؤولٌ رسمي إن جسيكا لينش التي تمّ تحريرها يوم الثلاثاء من مستشفى عراقي قاتلت بشراسة وقتلت عدداً من الجنود الأعداء... وواصلت لينش، البالغة من العمر تسعة عشر عاماً والعاملة في وحدة الإمداد، إطلاق النار على العراقيين حتى بعد معاناها من جروحٍ عديدة نتيجة لإصابتها بطلقاتٍ نارية، وقد شاهدت عدداً من الجنود الآخرين التابعين للوحدة نفسها يسقطون قتلى حولها خلال قتالٍ جرى في 23 آذار/مارس... وأضاف المسؤول إنها "كانت تقاتل حتى الموت. لم تُرِد أن يتمّ الإمساك بها حيّةً".

ونشرت ذي نيويورك تايمز تفاصيل مأساوية إضافية عن عمليّة التحرير البطولية:

> قامت القوات الخاصة التابعة للأسطول البحري، والمدعوّة سيلز، بسحب الجندية لينش التي أُصيبت بطلقاتٍ نارية عندما كانت تقوم بعمليات دخول وخروج في دائرة المعارك... وكانت لينش سجين الحرب الأول التي تمّ سحبها من أيدي العدو منذ الحرب العالمية الثانية، وكانت المرة الأولى التي يتمّ فيها إنقاذ امرأة...

وما لبثت الرواية أن أصبحت أكثر تعقيداً كما جاء في ذي نيويورك تايمز بعد شهرين:

> يبدو أن الجنديّة الشابة الشجاعة لم تقاتل كرامبو عندما سلكت وحدة الإمداد التابعة لها طريقاً خاطئاً ووقعت في كمينٍ عراقي. وقد لا تكون أُصيبت أو أُقحمت في اشتباكاتٍ لا يمكن التأكّد من حدوثها، ويبدو على الأرجح أنه لم تتمّ إساءة معاملتها في مستشفى عراقي. ولم يشق منقذوها الأبطال طريقهم عبر أروقة المستشفى مستخدمين القوة؛ وفي الواقع، كان طاقم المستشفى توّاقاً لتسليمها.

وقد لقيت لينش في الواقع عناية طبّية خاصة من قِبَل طاقم المستشفى لمعالجة جروحها التي لم يكن أيٌّ منها ناتجاً عن معركة. وغنّت لها ممرّضة عراقية لتنام في الليل، وقُدِّم لها مزيدٌ من العصير والحلوى. وحاول طاقم المستشفى تسليمها للسلطات الأمريكية، وكانوا في الواقع ينتظرون وصولهم. وكانت القوات العراقية قد أخلت المنطقة.

وبينما كانت لينش تتماثل للشفاء في مستشفى في الولايات المتحدة، كان مراسلو شبكات التلفزة يتعثّرون ببعضهم البعض للحصول على روايتها بشكلٍ حصري. حتى إن الـ سي. بي. إس قدّمت لها صفقةً كاملة تشمل كتاباً، حفلة موسيقية والأفلام المتوقَّعة على الـ سي. بي. إس. نيوز، اشتراكاً بمحطتي سي. بي. إس إنترتاينمنت وإم. تي. في، وبرنامج سايمن إند تشاستر - كل ذلك تحت المظلة المتّحدة لشركة فياكوم كورب العملاقة.

وليس من المهمّ معرفة نهاية حكاية جسيكا لينش بعد روايتها، فمن المؤكّد أنه سيكون هناك ناجون أكثر من العدد الفعلي للعالم. وأنا أشعر بالأسف حيالها، وهي امرأةٌ شابة خاطرت بحياتها طوعاً للدفاع عن الولايات المتحدة، وانتهى بها الأمر أن يتمّ استخدامها بهذه الطريقة وقد أُقحمت في ردهةٍ تعمّها فوضى الأكاذيب.

الوجبة العاشرة: كذبة بحجم كبير: "لم نكذب. ونحن لا نكذب الآن لتغطية الأكاذيب التي أطلقناها سابقاً".

بعد أن شرع عددٌ قليل من وسائل الإعلام بالقيام بمهامّهم وفضح أكاذيب إدارة بوش، وبعد أن كافح بوش للعثور على من يلقي عليه ملامة كل هذه الأكاذيب (أيٍّ كان)، وبعد أن قالت غالبية الشعب الأمريكي إنه لم يتمّ إخباره بالحقيقة الكاملة حول العراق، تصوّر بوش وشركاه أنه من الأفضل لهم الهروب إلى الأمام ووضع حدّ لهذه الأزمة بشكلٍ نهائي.

وهذا ما قاموا به: كبّروا أكاذيبهم!

وتُدعى هذه الاستراتيجية التأثير التراكمي - إذا ما ضُبطتَ تكذب، ما عليك

سوى الاستمرار بالإنكار وتلفيق الأكاذيب مهما كانت.

وأوجز ريتشارد براير هذا المفهوم في برنامج لايف أون ذي سانسيت ستريب الذي يقدّمه وقوفاً. واقترح براير أنه لدى ضبط الزوجة زوجها في السرير مع امرأة أخرى، يجب عليه إنكار كل شيء، مع أن زوجته تقف هناك وتشاهده عرياناً في السرير مع امرأةٍ أخرى. ليس عليك سوى إنكار أنك تقوم بممارسة الجنس، قال براير، وإنكار وجود امرأة في سريرك: "ماذا الآن، هل ستصدّقني أنا – أم تصدّق عينيك الكاذبتين؟"

وإحدى أولى الأكاذيب الملفّقة عن الكذبة (الكذبة التربيعية) ظهرت في شباط/فبراير الماضي عندما أعلن كولن باول قائلاً: "زملائي، كل بيان أُصدره حالياً مدعومٌ بمصادر، مصادر موثوقة. هي ليست تأكيدات. نحن نزوّدكم بوقائع واستنتاجات مرتكزة على معلومات مخابراتية موثوقة".

وقبل أيامٍ فقط، لم يكن باول أكيداً إلى هذا الحد. فخلال اجتماعٍ لمسؤولي الـ سي. آي. إي لاستعراض الأدلّة المتوافرة ضد صدام حسين، قذف باول الأوراق في الهواء وقال: "لن أقوم بقراءة هذا الهراء".

وكان لديه سبب وجيه لعدم الثقة "بالمخابرات". فقد استُقيت مجموعة كبيرة من المعلومات، التي ارتكز عليها باول، من مصادر غير موثوقة على الإنترنت، بما فيها وثيقة لطالب حائز على شهادة جامعية وضعها استناداً إلى وثائق تعود إلى اثني عشر عاماً. ونُقلت بعض المقاطع برمّتها لدرجة أن أخطاءً مطبعية لم يتم تصحيحها. لكن باول وصف كل هذه الأكاذيب بأنها "موثوقة".

وما لبث آري فلايشر، الناطق باسم البيت الأبيض، أن برّر الأمر بطريقته قائلاً: "ارتكز بيان الرئيس على اليورانيوم الأصفر المزعوم من النيجر. وبما أن التقرير حول اليورانيوم لم تثبت صحّته في النهاية، فإن هذا الأمر ينعكس تلقائياً على بيان الرئيس برمّته".

ماذا؟

سنترك الشرح لسيّد الأكاذيب نفسه، جورج دبليو بوش: "أظن أن المعلومات

المخابراتية التي حصلت عليها هي معلومات غير موثوقة جدًّا. والخطابـــات الـــتي ألقيت كانت مدعومة بمعلومات مخابراتية موثوقة. وأنا مقتنعٌ تماماً اليوم، كما كنت عندما ألقيت الخطابات، بأن صدّام حسين قام بتطوير برنامجٍ أسلحة دمار شامل".

وأضاف آري فلايشر قائلاً: "اتّخذ الرئيس القرار المناسب. وأعتقد، بصراحة، أن معظم البلاد اتّخذت القرار المناسب أيضاً".

ربما في بلاده، ولكن ليس في بلادي. وسرعان ما قام وزير الـــدفاع دونالـــد رامسفلد بصياغة مزيدٍ من الأكاذيب خلال لقائه مع الصحافة: "ثبت في النهاية أن ما قاله الرئيس صحيح تقنيّاً... ولكن، وبصورة إجمالية، هل نعتقد بـــأنهم كـــانوا يملكون أسلحةً كيميائية وبيولوجية ويُعِدّون برنامجاً نوويّاً؟ الجواب هو نعم، وأعتقد أن الأمر هو كذلك".

هل تتابعون الأمر بانتباه؟ قبل أن تشعروا بالدوار، لنعُد إلى غوندوليزا رايـــس لاستيضاح الأمور بشكلٍ كامل. فقد كان لها ما تقول لوولف بليتزر من الـــ سي. إن. إن: "وولف، دعني أبدأ بالقول إنها مجرّد ست عشرة كلمة تحوّلت إلى مســـألة كبيرة جداً... أعتقد أننا الآن في العراق، ونُجري مقابلات مع علماء، ونـــتفحّص المستندات بعناية ونجد، مثلاً، أنه كان لديه من يقوم بطمر أجهزة الطرد المركـــزي في فناءاتهم...".

ولفتت تلك الكذبة انتباه بليتزر، وكانت رايس مُجبَرة على الإقـــرار بـــأن "دليلها" كان عمره اثني عشر عاماً: "قبل حرب الخلـــيج الأولى – حســـناً، عـــام 1991".

وكأن شيئاً لم يكن، ظهرت رايس أيضاً ذلك اليوم في برنامج واجـــه الأمّـــة حيث أصرّت على أن "خطاب الرئيس عن حالة الأمّة جاء فيه ما هو صـــحيح... نختار الكثير من المعطيات ونعطيها للكتّاب الذين يضعون الخطابات مع ترك هامشٍ في عمليّة وصف الأمور... وإذا لاحظتم، جاء في خطاب الرئيس 'في أفريقيا'. هو مكان غير محدَّد. وجاء فيه أنه يسعى إليها – وليس حصل عليها أو نالها. ويـــذكر الخطاب المستند البريطاني".

هي أكاذيبٌ فوق أكاذيب. العديد من الأكاذيب... قد تصيب المرء بالغثيان.

عديدٌ من الأكاذيب، حتى إن شاهداً على كذبة على المستوى العالمي هو جون دين، المساعد السابق لنيكسون، حُمِل على التعليق قائلاً: "من المهم التذكير بأنه لدى استقالة ريتشارد نيكسون كان على وشك تلقّي تهمة التقصير والخيانة من قِبَل مجلس النواب لإساءة استخدام الـ سي. آي. إي. والـ أف. بي. آي".

لَمَ لا تكون هناك عواقب نتيجةً لإخبار كل هذه الأكاذيب؟ لَمَ لم يزل جورج دبليو بوش مقيماً في بيتنا الأبيض؟ أين هي مقالات الاتّهام؟

كم يتطلّب الأمر من أكاذيب إضافية بحيث يصبح الكونغرس مليئاً بها؟

الفصل الثالث

النفط بخير، إذاً كل شيء بخير

في الليلة الماضية رأيت حلماً. وفي الواقع رأيت عدداً من الأحلام. وفي أحدها كنت أكسو ظهر الجمل بحلوى التوفوتي الدبِقة. ووجدت نفسي في حلمٍ آخر ألعب الغولف مع فريد كوبلز الرائع بينما كان جالساً في عربة التسوّق خاصتي ملقياً مقاطع من الباغافاد غيتا داخل أحد متاجر تارغت في مودستو، كاليفورنيا. أعلم، أعلم، أنا بحاجة إلى مساعدة.

كانت ليلةً من تلك الليالي المزعجة عندما تكون قد شاركت بحفلةٍ صاخبة خارج المترل، وباتت ملامسة رأسك للوسادة ضرباً من ضروب الاستماع إلى محطة دايركت تي. في. دون أن تتمكّن من بلوغ جهاز التحكّم عن بُعد لإطفاء التلفاز. كنت أحتفل خارج المترل مع أصدقاء وأحبّاء بمقتل عدَي وقصَي حسين. لا يمكنك أبداً التقليل من أهمّية تواجدك مع أولئك المقرَّبين إليك عندما تكون حكومتك قادرة على محاصرة أشخاصٍ لا تحبّهم في الزاوية وقتلهم رمياً بالرصاص. لكن بضع جرعات من المشروب، بينما كلّ الموجودين في الحانة ينشدون: "عُدَي! عُدَي! عُدَي!" وأنا أصيح في وجههم ليكفّوا عن ذلك، كان أمراً يتطلّب مزيداً من الجهد، وحتى بالنسبة إلي. ولم أشارك بحفلةٍ صاخبة مماثلة مذ قامت ولاية تكساس بإعدام ذاك الشاب المعوَّق.

بأيّة حال، لنعُد إلى حلمي الأساسي. كان حقيقياً لدرجة أنه بدا وكأنه مقتطَف من قصة سكروج. وفجأةً، وُجدت في المستقبل. كان العام 2054، وكان

عيد مولدي المئة. وبسبب مشاركتي ربما بتعاونية الغذاء الصحي أو بسبب ما آخر، كان العالم يُفلت من أيدي بن إند جيري لأنني كنت متمتّعاً بصحة جيّدة.

في هذا الحلم، تلقّيت زيارةً مفاجئة من حفيدتي الرائعة، آن كولتر مـور. لم يكن لدي أي فكرة عن كيفية حصولها على هذا الاسم وكنت خائفاً جـدّاً مـن السؤال. وأعلمتني بأنها تقوم بتحضير مشروع تاريخي شفهي طُلب منها، وهـي في الصف السادس، وأرادت أن تطرح عليّ بضعة أسئلة. لكن لم تكن هناك أضـواء، ولم تكن تملك جهاز كمبيوتر، والمياه التي كانت تشرب لم تكن موضوعة في قنينة. وإليكم الحوار الذي دار بيننا على قدر ما أذكر...

آن كولتر مور: مرحباً جدّي! أحضرت لك شمعة. لسببٍ ما حصلنا على واحـدة إضافية مع حصّتنا الشهرية. تصوّرت أنه قد لا يكونُ هناك ضـوءٌ بمـا فيـه الكفاية.

مايكل مور: شكراً، آني. والآن أرجو أن تتركي لي ذلك القلم بعد أن تفرغي من استخدامه بحيث أتمكّن من إشعاله والحصول على بعض التدفئة.

آ: **آسف يا جدّي الرائع، ولكن إن أنا أعطيتك إياه، عندها لن يعود لديّ مـا أكتب به لما تبقّى من العام. في أيامك الغابرة، ألم يكن لديك أشياء أخـرى تستعملها عندما كنت تكتب شيئاً ما؟**

م: بلى، كان لدينا أقلام وأجهزة كمبيوتر وكان لـدينا آلات صـغيرة يمكنـك التحدث من خلالها فتحصلين على ما تقوليه مكتوباً.

آ: **ماذا حلّ بتلك الأشياء؟**

م: حسناً، عزيزتي، لقد احتجنا إليها لصناعة البلاستيك.

آ: **آه، أجل، البلاستيك. هـل كـان الكـلّ يحـب البلاسـتيك في تلـك الأيام؟**

م: كانت مادة سحريّة، ولكنها كانت مصنوعة من النفط.

آ: **فهمت. ومنذ أن نضب النفط كان علينا استخدام هذه الأقلام.**

م: هذا صحيح. يا ابنتي، كلّنا نفتقد النفط، أليس كذلك؟

آ: **عندما كنت شابّاً، هل كان الناس أغبياء بالفعل لظنّهم بأنه يوجد من النفط ما يكفي للأبد؟ أم أنهم لم يهتمّوا بنا إطلاقاً؟**

م: بالطبع اهتممنا. ولكن، في تلك الأيام، أقسم قادتنا على كومةٍ من الأناجيل أن هناك الكثير من النفط، وبالطبع، رغبنا بتصديقهم لأننا لم نكن لنفوّت كل ما كان يلهينا من فرحٍ ومرَح.

آ: **إذاً، عندما بدأ النفط يفرغ منكم وأدركتم أنه في وقتٍ قريب لن يتبقّى منه شيء، ماذا فعلتم؟**

م: حاولنا السيطرة على زمام الأمور فسيطرنا على تلك الأجزاء من العالم التي كان يوجد فيها معظم النفط والغاز الطبيعي المتبقّي. وجرى خوض حروبٍ عديدة. وفي الحروب الأولى، في الكويت والعراق، كان على قادتنا تلفيق الأعذار مثل، "هذا الرجل السيّئ يملك أسلحة سيّئة" أو "يجب تحرير أولئك الناس الصالحين". كنا نحب تلك الكلمة "تحرير".

لكن القتال لم يكن لأجل تلك الأسباب في الواقع. كان بسبب النفط على الدوام. و لم يكن بإمكاننا التكلّم بصراحة في تلك الأيام.

ل م تكلّفنا السنوات الأولى العديد من الأرواح، لذا بدا أن كل شيء سيستمرّ بشكلٍ طبيعي. لكن تلك الحروب أمّنت لنا بعض النفط لسنواتٍ قليلة.

أ: **سمعتُ أنك عندما وُلدتَ كان هناك الكثير من النفط بحيث إنكم صنعتم منه كل شيء. وأن معظم هذه الأشياء تُستخدم مرةً واحدة وتُرمى بعد ذلك. فمنذ سنتين، حصل أمي وأبي على أذوناتٍ ليقوم الزبّال برفع النفايات. قالت لي أمي بأن هذا الأمر جعلهما ثريّين. فقد عثروا على كمّية من الأكياس البلاستيكية التي لم تتحلّل بعد، وبداخلها كثيرٌ من الأشياء المصنوعة من البلاستيك. لا شك أنكم كنتم أذكياء للمحافظة على كل تلك الأغراض بإتقان في تلك الأكياس.**

م: حسناً، أشكرك، لكن الأمر لم يكن سوى ضربٍ من ضروب الحظ. أنت محقّة بأننا صنعنا كل شيء من النفط من خلال تحويلةٍ إلى بلاستيك. مواد تنجيد الأثاث، أكياس البقالة، ألعاب، قنانٍ، ثياب، أدوية، حتى إن حفاضات الأطفال

كانت مصنوعة من النفط. وكانت قائمة ما صُنِّع من النفط ومنتجاته الجانبية لا نهاية لها: الأسبيرين، آلات التصوير، طابات الغولف، بطاريات السيارات، السجاد، الأسمدة، النظارات، الشامبو، الغراء، أجهزة الكمبيوتر، مستحضرات التجميل، مواد التنظيف، التلفونات، المواد الحافظة للأطعمة، كرات القدم، مبيدات الحشرات، حقائب السفر، طلاء الأظافر، مقاعد المراحيض، الثياب الداخلية، معجون الأسنان، الوسادات، العدسات الليّنة، الإطارات، الأقلام، أسطوانات سي. دي، الأحذية الخفيفة - كل ما يخطر ببالك مشتقٌّ بطريقة ما من النفط. كنّا مستهترين بالمواد الخام. كان بإمكاننا الشرب من قنينةٍ بلاستيكية ومن ثمّ رميها. كان بإمكاننا حرق غالون من النفط للتوجه بسيارتنا إلى المتجر طلباً لبعض الحليب (الذي كان معبّاً بقنّينة بلاستيكية أيضاً). وفي كل عيد ميلاد، كانت جدّتك تضع هدايا مصنوعة بمعظمها من البلاستيك تحت شجرة ميلاد بلاستيكية (لكنها تبدو حقيقية). وصحيحٌ أيضاً أننا كنا نضع نفاياتنا بأكياس من البلاستيك ونطرحها خارجاً.

آ: **من أين للناس فكرة حرق النفط؟ لماذا تحرقون شيئاً لا تملكون إلا القليل منه؟ هل كان الناس يحرقون الماس أيضاً آنذاك؟**

م: لا، لم يكن الناس يحرقون الماس. فالماس كان يُعتبَر ثميناً. والنفط كان يُعتبَر ثميناً أيضاً، لكن أحداً لم يهتمّ للأمر. حوّلناه فقط إلى بنزين واستهلكناه كلّما كانت الفرصة سانحة!

آ: **كيف كانت الحال عندما لم تكونوا قادرين على التنفّس بسبب الهواء الملوَّث الناتج عن حرق ما كنتم تدعونه بنزين؟ ألم يجعلكم هذا الأمر تدركون أن كل ما يُشتق من النفط لم يكن من المفترَض إحراقه؟ ربّما كانت رائحته وسيلةً طبيعية ليقول لكم، "لا تُحرقوني!".**

م: تلك الرائحة! من خلالها كانت الطبيعة تُخبركم بأمورٍ خاطئة. بمَ كنا نفكّر؟ ماذا كنّا نغنّي؟

آ: **ماذا؟**

م: لا تبالي.

آ: لكنها كانت تسمّمكم. ولم يكن لديكم مراكز للتنفّس كما هو شأننا اليوم. ماذا كنتم تفعلون إذاً؟

م: لم يكن على الناس سوى تنشّقه مسبّباً العذاب والموت لملايين الناس. لم يشأ أحد القول بأن تلوث الهواء ناتجٌ عن إحراق الوقود المستخرَج من باطن الأرض، وكان يجعل التنفس أمراً صعباً، ويحمل الأطباء على القول إننا مصابون بداء الرّبو أو الحساسية. وقد تظنّين أن ركوب سيارة هو شبيه بما تفعلونه في المتاحف هذه الأيام، لكن الأمر كان مختلفاً تماماً في تلك الأيام إذ كان معظم الناس يقومون برحلات يومية تمتدّ مسافة عشرين، ثلاثين، وأربعين ميلاً لبلوغ مراكز أعمالهم، وكانوا يكرهون الساعات التي يقضونها عالقين داخل سياراتهم. فقد كان هذا الوضع يعكّر صفو مزاجهم.

آ: إذاً كنتم تحرقون كل هذا النفط الثمين بينما كنتم تكرهون أنفسكم. حظ عاثر.

م: مهلاً، لم أقل إننا كنا نكره أنفسنا. كنا نكره القيادة، لكن معظم الناس ظنّوا أن الأمر جديرٌ بتحمّل المشقات لأنهم لا يريدون الإقامة في المدن التي يعيش فيها أناسٌ مختلفون.

آ: ما لا أفهمه هو أنه ما دامت كل هذه المتعة في متناولكم، تقودون وتستهلكون كل ما يوجد لديكم من نفط، لَم لم تخططوا للانتقال إلى وقود آخر قبل أن ينفد منكم النفط فتتمكنون إذ ذاك من الاستمرار بالتمتّع؟

م: الشعب الأمريكي كانوا من الناس الذين يواظبون على القيام بالأمور بطريقةٍ واحدة و لم يرغبوا أبداً بالتغيير.

آ: ماذا يعني أمريكيون؟

م: دعينا لا ندخل في هذا الموضوع.

آ: أستاذي في الصف السادس أخبرنا بأن أحد قادتكم كان يعتقد بأن "خلايا الوقود الهيدروجيني" ستحلّ مكان بترين السيارات،

لكن الأمر لم يحصل. كان هذا جنوناً! كل ولد يعرف اليوم أنه من الصعب الحصول على الهيدروجين. طبعاً، هو موجود في الماء H2O، لكنه يتطلّب الكثير من الطاقة لاستخراجه – والطاقة هي ما كان ينقصكم. ملاعين!

م: أنت محقّة، آن، فقد كنّا جميعاً مهتمّين بما تقوله شبكات التلفزة لأننا كنا نصدّق دائماً ما يُخبرنا به قادتنا. حتى إننا صدّقناهم أيضاً عندما قالوا إن "الهيدروجين هو المادّة التالية – طاقة لا تنضب غير مسبِّبة للتلوث ستحلّ قريباً مكان النفط!" وأنفقنا أموالاً طائلة على قواتنا المسلّحة لضمان ولوجنا منابع النفط إلى درجة أننا أهملنا مدارسنا، جاعلين كل طالب يغدو أكثر غباءً – وهكذا، لم يُدرك أحد أن الهيدروجين لم يكن حتى وقوداً! وزادت الحال سوءاً بحيث إن معظم المتخرّجين لم يكونوا يعلمون ما تعنيه الصيغة الكيميائية للمياه H2O.

وما لبثت الأمور أن ازدادت سوءاً. وأخذ النفط ينفد منا، ولم يكن هناك هيدروجين لسياراتنا، فازداد غضب الناس. ولكن بعد فوات الأوان. عندها، بدأ الموت البطيء.

آ: **أعلم، بدأ الطعام ينفد.**

م: في تلك الأيام، بدا استخدام النفط لإنتاج الغذاء فكرةً جيّدة. وما يبدو مضحكاً اليوم أن أحداً لم يدرك أن الإنتاج الكمّي للأغذية المطلوبة لإبقاء عددٍ كبيرٍ من الناس على قيد الحياة لم يكن بالإمكان المحافظة عليه لمدة طويلة. وربما كان هذا الأمر خطأنا الأسوأ على الإطلاق. فالأسمدةً الاصطناعية، ومبيدات الحشرات والنباتات، فضلاً عن كل أنواع الجرارات والتجهيزات الزراعية، كانت تعتمد على الوقود المستخرَج من باطن الأرض. وعندما تضاءل إنتاج النفط، ارتفع سعر الأغذية بارتفاع سعر الوقود. وكان فقراء العالم أوّل من مات جوعاً. ولكن، ما إن أدرك الناس ما كان يجري حتى هوجمت المتاجر والمستودعات، وكون المرء غنيّاً لا يعني أن يكون لديه ما يكفي من الطعام.

ولجعل الأمور أكثر سوءاً، لم يكن بإمكان الناس الحصول على عمل، وتدفئة منازلهم، وشراء الكهرباء، عندما بدأ الموت البطيء. كان هناك بعض الخبراء الذين تكهّنوا بأن إنتاج النفط العالمي سيتضاءل عام 2015، وقد سُخِر منهم – ولكنهم كانوا محقّين. وبدأت أسعار الوقود تزداد ارتفاعاً وحدّةً – لكن الأوان قد فات كثيراً على التخطيط لعمليّة تحوّلٍ سلِسة إلى وسيلةٍ أخرى للحصول على الطاقة. وكانت الكارثة وشيكة.

آ: **جدّي، لَمَ تدفع عربة التسوّق وفيها لاعب غولف؟**

م: آه، آسف. هذا المشهد من حلمي الآخر. فريد، أيها الـ *&%#، غادر في الحال!

آ: **لديّ نظرية عمّا يجري. سمعت أن جيلكم كان يحب الشمس ويتمدّد تحت أشعّتها كل الوقت نائماً. أعتقد أن سبب استهلاككم لكل النفط الرخيص تمكّنكم من تدفئة الأرض، والتخلّص من الشتاء، وتمكّن كل شخصٍ من التمتّع بسمرةٍ لافتة ليبدو هادئاً.**

م: لا، في الواقع، كنّا نخاف الشمس حتى الموت. فمعظمنا كان يعمل داخل مبانٍ ذات نوافذ داكنة، تحتوي على آلاتٍ لتنقية الهواء وتصفية المياه. وعندما كنّا نغامر بالخروج، كان علينا دهن أنفسنا بالمراهم الواقية للشمس ووضع نظّاراتٍ داكنة وقبّعات لحماية رؤوسنا. ولكننا كنّا نكره البرد أكثر من كرهنا الشمس. وكان الجميع ينتقلون إلى الولايات الدافئة حيث الثلج نادرٌ، ويقضون أيّامهم في منازل ومكاتب مكيّفة، ويتجوّلون في سيارات مكيَّفة. وبالطبع، كان هذا الأمر يتطلّب مزيداً من البترين، ممّا جعل العالم أكثر سخونةً، وحمل الناس على استخدام المكيّفات أكثر فأكثر.

آ: **لَمَ ابتكروا القنابل النوويّة إذا كانوا يريدون أن يقتلوا بواسطتها كل الناس دفعةً واحدة، وكان لديهم في الواقع القنابل المرتكزة على النفط؟ وعندما حوّلوا القنابل النوويّة إلى مصانع تعمل بالطاقة النوويّة، ألم يكونوا مدركين أن أحدها قد ينفجر ويحرق كل شيء؟**

م: منذ مئة عام، أُخبرنا بأن من شأن انشطار نوويّ توليد الكهرباء "بأسعار منخفضة". ولم يحدث هذا الأمر مطلَقاً. والرئيس بوش الثاني... أو الرئيس بوش الثالث ربما... حسناً، لم يكن بالتأكيد الرئيس بوش الرابع... أحد آل بوش البغيضين أولئك ضاعف إنتاجية المصانع العاملة على الطاقة النوويّة، ولكن بعد أن قام عاملٌ ساخط في مصنعٍ مماثل بملء شاحنته بالسماد والمواد المنظِّفة وانقضّ بها على مركز عمله، مدمِّراً بلدة صغيرة مجاورة، تمّ التخلّي عن المشروع بسرعة.

آ: يقول أبي إنه في أيامكم كان هناك أكثر من ستة بلايين شخص في العالم. وأحياناً ينتابني الفزع، ولكني أحاول ألا أفكّر بالزمن الذي مات فيه كثيرٌ من الناس من الجوع والمرض في كل أنحاء العالم. وفي المدرسة، سمعت أنه يوجد اليوم في العالم حوالى نصف بليون شخص. يبدو لي الفارق كبيراً. ولكني أقلق قليلاً وأحياناً من أن الموت البطيء قد يستمرّ. ماذا تظن؟

م: لا تقلقي. انتهى الموت البطيء. أنتِ بأمان الآن. استمرّي فقط بنبش كل هذا البلاستيك وستكونين بخير.

آ: جدّي، كيف بقيتَ على قيد الحياة؟

م: كنا جدّتك وأنا نسافر ما وراء البحار عندما بدأ الموت البطيء الشهير. فقد نجونا لأننا عثرنا في مكانٍ ما من المنطقة النفطية الكبيرة على كهفٍ فيه الكثير من الغذاء والهواتف الخليويّة وعلبة فيديكس. لم يكن بإمكاني التصديق أبداً أنه بإمكان أحد ما البقاء على قيد الحياة في كهف بهذا الحجم ولا يمكن كشفه. لكننا كشفناه، تماماً كذلك الذي استخدم الكهف قبلنا. والأمر الغريب الوحيد هو أنه كان هناك آلة لغسل الكلي. واستمرّيت بالتفكير بأنه لا يمكن...

آ: قال أبي إنه أمِل أن تقوم وجدّتي بنقلنا إليه بحيث يمكننا كلنا أن ننعم بالدفء. فبالرغم من أنني غاضبة منك لأنك استخدمت كل النفط دون أن تدّخر لنا غالوناً واحداً، قد يكون من الألطف أن تكون لنا عائلة هنا

نلتمس الدفء تحت لحافها عندما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر ولا يمكننا حمل الجيران على القدوم من مكان بعيد. ومتى أصبح الطقس أكثر برودةً جعلنا حيوانين ينامان إلى جانبنا، وبالرغم من أنني كنت أشعر بدفء أكبر، غير أن الرائحة النّتنة كانت تمنعني من النوم. وقالت أمّي إنك قُمت أحياناً بتدفئة أرجاء المكان لتتمكّن فقط من التنقّل دون ارتداء سترةٍ أو تناول مشروب. هل يمكنك أنت وجدّتي القدوم والإقامة معنا؟

م: لَم، أجل، أرغب بذلك بالطبع. ولكنني أخشى أمراً واحداً وهو أننا بهذا العمر تخرج منا رائحة كريهة ايضاً.

آ: **قالت أمّي إنك كنت يوماً ما شهيراً لبضعة دقائق فقط عندما هتفت بشيءٍ ما خلال إحدى حروب النفط. وكل ما لدينا الآن هو هذه الصورة القديمة وتظهر فيها فاتح الفم مشيراً إلى شيء. وأنت تستخدم إصبعين! لمَا كنت غاضباً؟ هل كان النفط؟**

م: حسناً، لن تدعني جدّتك أقوم بمناقشة هذا الأمر طالما بقيت على قيد الحياة. فقد كانت مرتدية أجمل الملابس ذاك المساء وكل شيء وكانت تبدو جميلةً جداً و... أعطني تلك الصورة، يا فتاتي الصغيرة! أشعر بصداعٍ قوي في رأسي!

آ: **بالطبع. إليك بها. شكراً جدي! وكلمات أخيرة؟ كادت شمعتك تذوب كلّياً.**

م: تعلمين، بينما أنظر إليها الآن أعود بالذاكرة إلى السنوات العشر بين عامي 2005 و2015 التي كانت الأكثر حرجاً لجنسنا البشري على هذا الكوكب. فقد حاول العديدون منّا تحذير الآخرين من خطر نفاد النفط، لكنّ قليلين استمعوا. كانوا أشخاصاً صالحين، أشخاصاً يهتمّون ببعضهم البعض، بأولادنا وبالأرض. ناضلنا، لكن ليس بما فيه الكفاية. فقد كانت قدرة قوى الطمع الأناني على القتال أكبر. وبدت مصمِّمة على التحطيم وقد نجحت تقريباً. أنا آسف. نحن آسفون. ربما يمكنكم معالجة الأمور بشكلٍ أفضل.

كنت قد بدأت أغدو أكثر ميلاً للوعظ بحساسية مفرَطة عندما استيقظت من حلمي أتصبّب عرَقاً بارداً، وأتمتم شيئاً ما عن فاتورة لتنظيف الثياب في توليدو فات موعد تسديدها. وجلست منتصباً في السرير، وأدركت آنذاك أن الأمر كان مجرّد حلم، وأن شيئاً من هذا السخف لا يمكن أي يحدث، ومن ثمّ استلقيت على ظهري، والتحفت الحِرام الكهربائي اللطيف والدافئ، وعدت للنوم وحلمت أحلاماً جميلة بحلوى التوفوتي تلك...

الفصل الرابع

إجفالٌ في الولايات المتحدة

لا وجود لتهديد إرهابي.

عليكم الهدوء، والاسترخاء، والاستماع بانتباهٍ كبير، وترداد ما أقول:

لا وجود لتهديد إرهابي.

لا وجود لتهديد إرهابي!

لا... وجود... لتهديد... إرهابي!

هل تشعرون بتحسّن؟ ليس تماماً، أليس كذلك؟ أعلم، أعلم، هو أمرٌ صعب. من المدهش أن أمر الاعتقاد بأن البلد والعالم يعجّ بالإرهابيين لم يتطلّب وقتاً طويلاً لترسيخه عميقاً في أذهاننا. فالمجانين يندفعون مسعورين لتنفيذ مهمّتـهم الشـريرة المتمثّلة بالقضاء على كل كافر أمريكي حيّ!

بالطبع، ليس من السهل علينا مشاهدة عملية قتل جماعي لـ 3.000 شخص بأمّ أعيننا وقد أُزيلوا عن الوجود. فهذا المشهد كفيل بأن يقنع حـتى الأشـخاص الأكثر تشكّكاً بأن هناك في الخارج من لا يحبّنا ويريد أن يبيد أكبر عددٍ منّا.

لِمَ يكرهوننا؟ قائدنا عرف السبب بعد أيامٍ فقط من 11 أيلول/سبتمبر عندما خاطب الأمّة: "يريدون منّا أن نكف عن الطيران وأن نكف عن الإيمان بمبادئنـا. لكن هذه الأمّة العظيمة لن تخاف فاعلي الشرّ".

والآن، عندما أقول إنه لا وجود لتهديد إرهابي، لا أعني بذلك أن لا وجـود

لإرهابيين أو لا وجود لحوادث إرهابية أو أنه لن تكون هناك حوادث إرهابية في المستقبل. هناك إرهابيون، وقد اقترفوا أعمالاً شرّيرة، ومن المأساوي أنهم سيرتكبون فظاعات في المستقبل غير البعيد. أنا متأكّدٌ من ذلك.

ولكن وجود عددٍ قليل من الإرهابيين لا يعني أننا في ما يشبه حالةً من الخطر المبالَغ فيه. ومع ذلك، فإنهم عندما يتكلّمون عن الإرهابيين يخال المرء أن الإرهابيين هم بالملايين، وأنهم في كل مكان، وأنهم لن يغادروا أبداً. ووصف تشيني هذا الوضع بـ "الأمر العادي الجديد"، وهو "سيصبح حالة دائمة في حياة الأمريكيين". ليس عليهم سوى التفاؤل.

دعوها حرباً على "الإرهاب". ما مدى دقّة شنّ حربٍ على اسم؟ فالحروب تُشَنّ ضد دول، وأديان، وشعوب. فهي لا تُشَنّ ضد أسماءٍ أو مشاكل، وقد فشلت كلّ محاولة لشنّها - "الحرب على المخدرات"، "الحرب على الفقر".

ويودّ قادتنا أن نصدّق بأنها حرب عصابات يخوضها آلافٌ من الجنود الإرهابيين الأجانب المختبئين في وطننا. لكنه ليس الواقع، وقد حان الوقت لمراجعة حقيقيّة. فالأمريكيون نادراً ما يكونون أهدافاً للإرهاب الدولي، وإن كانوا كذلكً فليس على أرض الوطن إجمالاً.

ففي العام 2000، كان احتمال تعرّضك للقتل بصفتك أمريكي من خلال هجومٍ إرهابي في الولايات المتحدة معدوماً كلّياً. وفي العام 2002، كان احتمال موتك بحادثٍ إرهابي معدوماً أيضاً. وفي العام 2003، ابتداءً من تاريخ وضع هذا الكتاب، ما هو العدد الإجمالي للناس الذين يُتوقّع موتهم في الولايات المتحدة جرّاء أعمال إرهابية؟ صفر. حتى إن احتمال موتك في العام 2001 المأساوي في هذا البلد بصفتك مواطناً أمريكياً، ومن خلال عملٍ إرهابي، كانت بنسبة 1 في الـ 100.000.

وفي العام 2001، كان هناك احتمال أكبر لتموت من الإنفلونزا أو ذات الرّئة (بنسبة 1 في الـ 4.500)، من الانتحار (1 في الـ 9.200)، ضحيّة لعملية قتل (1 في الـ 14.000) أو بحادث سيارة (1 في الـ 6.500). لكن هناك دائماً احتمال

التعرّض للقتل كلّما قدت سيارتك بتهوّر قاصداً مراهقاً مصاباً بالسعال لشراء كعكة محلاة مقليّة بالدّهون ومسبِّبة لأمراض القلب. ويشير معدّل الانتحار وحده إلى أنك كنتَ خطراً أكبر على نفسك من أي إرهابيٍّ آخر. وكل هذه الأسباب فاقت الإرهاب مدعاةً للموت دون أن يتمّ تجاوز قوانين أو قصف دولٍ أو إنفاقات طارئة شهرية ببلايين الدولارات أو إرسال وحداتٍ من الحرس الوطني أو إنذاراتٍ برتقالية أو تقارير مستمرّة من مراسلي الـ سي. إن. إن. المتواجدين في أرض المعركة، دابّةً فينا الذّعر. ولم يكن هناك أي استجابة من العامّة بل لا مبالاة ورفض، أو، في أفضل الأحوال، قبول بأن هذه المآسي كانت جانباً من جوانب الحياة.

ولكن لدى حدوث وفيّات عديدة في وقت واحد، وبوحشيّة مماثلة، ومن خلال مشاهد حيّة على شاشات التلفزة، فإن أيّ إحصائيات منطقية مماثلة لتلك التي ورد ذكرها يمكنها الحؤول دون ردّة فعلٍ عميقة لدى معاينة رعبٍ حقيقي كما فعلنا في 11 أيلول/سبتمبر. فقد انتهينا إلى الاعتقاد بأننا نتعرّض للأذيّة، وأن أيّ فردٍ منّا موجود في أيّ مكانٍ من هذا البلد الشاسع قد يموت في أي وقت. لا داعي للقلق إذ إن احتمالات حدوث ذلك هي معدومة في الواقع. واستحوذت البلاد حالةٌ من الهلع الشديد؛ وأنا أعاني من هذه الحالة، وأنتم كذلك، لا بل أيضاً الجنرالات ذوي الرّتب العالية الذين يتباكون الآن علناً.

هذا صحيح، فقد أدركتني هذه الحالة أيضاً. أُمضي جزءاً من السنة في مدينة نيويورك، وأتساءل كل يوم إن كان هو اليوم الذي سيسقط فيه الحذاء الآخر في مأساة أخرى. أسمع صوت حركاتٍ مفاجئة مدوّية، وأجفل. أرى طائراتٍ تحلّق على علوٍّ منخفض وأرمقها بنظراتٍ من الشك. أتفحّص كلّ من يجلس إلى جانبي عندما أسافر جوّاً، وأحمل معي دائماً السلاح على متن الطائرة. هذا صحيح؛ أحمل سلاحاً. سلاحٌ قانوني: كرة بايسبول في حقيبة اليد أهداني إيّاها رودي جولياني عندما صوّرنا فيلم تي. في. نايشن في نيويورك. وتحمل الكرة تواقيع كافة أعضاء فريق نيويورك يانكيز للعام 1994. أتصوّر أنه بإمكاني تسديد رمية قويّة بسرعة 50 ميل في الساعة في اتجاه ذاك الذي سيحاول اقتحام باب قمرة القيادة. (كرة

البايسبول تعمل بشكلٍ جيّد أيضاً عندما توضع في جورب طويل؛ فهي تكتسب زخماً واصطداماً عنيفاً – ضربةٌ قاضية على الرأس!). ورباطات الأحذية أيضاً تشكّل أداةً جيّدة للخنق عندما أشدّها بيدي حول عنق ذلك الإرهابي. مهما كلّف الأمر، وأيّاً تكن النتائج، لن أسقط دون قتال.

ترون، أنا أيضاً تبدّلت حياتي. أظنّ أنكم عرفتم وعملتم مع شخصٍ ما لقي حتفه على متن إحدى هاتين الطائرتين فتبدّلت حياتكم.

كيف بلغتُ هذه الحالة أنا المحسّ بالسلام الداخلي؟ تبّاً، أنا مذعور، تماماً كأيّ شخصٍ آخر. الخوف العقلاني هو عنصرٌ حاسم لقدرتنا على البقاء والاستمرار. والإحساس بالخطر الفعلي والتصرّف بموجب هذا الإحساس هو غريزةٌ أفادت جنسنا البشري كثيراً عبر التاريخ.

لكن الخوف اللاعقلاني قاتل. فهو يجعلنا نضلّ طريق البقاء. ويحملنا على تناول السلاح عندما نسمع صوتاً ما في منتصف الليل (وتنتهي بإطلاق النار على زوجتك وهي في طريقها إلى الحمّام). ويحملنا كذلك على رفض العيش بقرب شخصٍ آخر من عِرقٍ مختلف. ويسمح لنا بالتخلّي تلقائياً عن الحرّيات المدنية التي تمتّعنا بها لأكثر من 200 عام، لأن "قائدنا" أخبرنا بوجود "تهديد إرهابي" ببساطة.

والخوف أساسي إلى حدّ بعيد، وهو مع ذلك مرنٌ إلى هذا الحدّ بحيث يمكننا جعله الصديق الأفضل أو العدوّ الألدّ. وعندما يُستخدم كسلاح ضدّنا، نكتشف أنه يملك القدرة على تدمير الكثير ممّا بتنا نحبّه في طريقة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ووفقاً لإدارة بوش والروايات التي غرسوها في وسائل الإعلام، فإن الإرهابيين هم في كل مكان. وكل يوم يبدو أنه يحمل تحذيراً جديداً. إنذارٌ جديد! تهديدٌ جديد!

- *إحذَر مجسّمات الطائرات المزوَّدة بالمتفجرات!* جاء في نشرة فرض القانون التابعة للـ أف. بي. آي أن عملاء الوكالة واجهوا "تهديداً إرهابياً" من "سلاحٍ غير تقليدي" أشبه بـ "الغاز الصقيل". فبعد وضع اليد على علبة

صغيرة كانت مع باني مجسّمات للطائرات، وإرسالها على متن طائرة عسكريّة مزوّدة بتجهيزات استثنائية إلى قاعدة متخصّصة تابعة للجيش الأمريكي، أقرّ باني النماذج المفعَم بالحماس بأنه ألصق على علبة صغيرة فارغة ما يشير إلى أنها "غاز صقيل" على سبيل المُزاح. وبالرغم من ذلك، أطلقت الحكومة إنذاراً للحذَر من مجسّمات الطائرات التي يمكنها حمل متفجرات واقتحام المباني، وظهر على شاشات محطات الأخبار، في أواسط تموز/يوليو 2003، خبراء يحذّروننا من الخطر المميت.

- *قد يكون الناس متوارين بالقرب من خطوط سكك الحديد استعداداً لإخراج القطارات عن مسارها!* حذّرت الـ أف. بي. آي وكالات فرض القانون في مختلف أنحاء الولايات المتحدة من هجومٍ محتمَل ضد شبكات النقل، ولا سيّما السكك الحديدية، في تشرين الأول/أكتوبر 2002. وقال مسؤولو "المخابرات" إنهم رأوا صوراً التقطتها "القاعدة" لمحرّكات القطارات ونقاط تقاطع سكك الحديد. (آمل ألا يكونوا قد رأوا قامتي التي تشبه قامة ليونيل في الدّور التحتاني!)

- *حاذروا قنابل الأحذية!* تقول الـ أف. بي. آي إن المادّة المتفجّرة المستخدمَة في صنع قنابل الأحذية، تي. أي. تي. بي، لا يمكن اكتشافها حالياً بواسطة الماسحات العادية المتوافرة في المطارات، ويقول خبراء المتفجرات إنه يمكن لأيّ شخصٍ يحمل شهادة بالكيمياء صنعها في مختبَرٍ أساسي. وآخر مرّة شاهدت فيها النار تندلع بأحذية أحدهم كانت خلال حفلة موسيقية لـ إي. إل. أو. أُقيمت عام 1978 في قاعة الاستماع التابعة لـ آي. إم. أي. في فلينت. أحد الذين كانوا يفرطون في الشرب أسقط بعض الشراب المسكر على حذائه، وقام شخصٌ آخر إلى جانبه بإشعال عود ثقاب ورميه أرضاً، فاشتعل رباط حذائه!

- *ابحثوا عن أشخاص مشتبَه بهم يتسكّعون قرب محطات الغاز!* إليكم الآن شيئاً لا نراه أبداً. غير أن عاملاً يقظاً في محطة أوكلاهوما للمحروقات اتّصل بالسلطات عندما توقّفت سيارتان كبيرتان مقفلتان وشاحنة معدات أمام

المحطة. وفي خلال دقائق، حاصرت الشرطة والـ أف. بي. آي. وأسلحتهم مُشهَرة فرقة الروك غودسبيد يو! بلاك أمبيرور. وبعد ساعات من إطلاق سراحهم، أخبر المغنّي إفريم ميناك سياتل ويكلي: "لحسن حظّنا أننا فتيانٌ بيض من كندا".

- *قد تشعل "القاعدة" حرائق هائلة في الغرب الأمريكي*! جاء في أريزونا ريبابليك أن مذكّرة صادرة عن الـ أف. بي. آي. حذّرت وكالات فرض القانون من أن "القاعدة" قامت بتطوير مخطط لإشعال حرائق في الغابات خلال منتصف فصل الصيف في كولورادو، مونتانا، يوتا، ويومينغ، تدفع "المواطنين الأمريكيين على ممارسة ضغوط على الحكومة الأمريكية لتغيير سياساتها، ما إن يتحقّقوا من أن الحرائق هي أعمال إرهابية".
- *الإرهابيون يقايضون سلعاً استهلاكية زائفة كتجهيزات الستيريو من ماركة سوني، وبناطلين جينز من ماركة كالفين كلاين*! منذ مدّة غير بعيدة، أرسل أحد مؤيّدي "القاعدة" شحنةً من العطور والشامبو والكولونيا الزائفة من دبي إلى دابلين. ومن المروّع التفكير بالضرر الذي قد يلحقه هذا العطر الزائف. فما كان على الكونغرس سوى جعل "السلع الزائفة" هذه "مخدرات زائفة". من الملائم جدّاً تجنّب ولوج المخدّرات الكندية الرخيصة من خلال القول إن قيام الإرهابيين بشحن مخدّرات فاسدة إلينا هو أمرٌ محتمَل.
- *بصفة خاصة، راقبوا بعناية إن كان هناك عملاء سرّيون لـ "القاعدة" يحملون مشاعل متفجّرة ويمرّون أمام الأسلاك الـ 21.736 التي تحمل جسر بروكلين المعلّق*! قبضت الـ أف. بي. آي. على سائق شاحنة كان يراقب الجسر ويعُدّ الأسلاك. في أفضل الأحوال، قد يتطلّب الأمر حوالى الأسبوع لتتمكّنوا من عدّ الأسلاك، فحاذروا!
- *بلّغوا عن أي مسحوق قد تصادفونه*! بعد تلقّيها مسحوقاً مشبوهاً بواسطة البريد، قامت امرأة من نيو أورليانز بالاتصال بالسلطات، وسرعان ما وصل الإطفائيون، ومسؤولو البريد، وضبّاط الشرطة، وعملاء الـ أف. بي. آي. للتحقيق. وتبيّن في ما بعد أنه نموذج مجّاني من مسحوقٍ للغسيل. لكن هذا لا

يعني أن لا وجود للإرهابيين (حتى وإن اشتبهت السلطات بأن أزمة الجمرة الخبيثة التي تسبّبت بحالة الهلع عام 2001 كانت من تدبير أمريكيين يمكنهم ولوج هذه المادّة من خلال برامج الحكومة الأمريكية أو البرامج التي تصدّق عليها الحكومة الأمريكية).

لا شكّ أن لهؤلاء الإرهابيين اهتمامات عديدة! مجسّمات طائرات متفجّرة! غاز صقيل! حرائق في الغابات! أسود! نموراً دببة! ها هو الغول آتٍ لينال منّي!! أهربوا! انجوا بحياتكم!

والشيء الوحيد الأكثر إثارةً للدهشة من هذا الإجفال الزائف، هو تأثّرنا به. ماذا حلّ بفطرتنا؟ تعلمون، تلك اللاإرادية في أذهانكم التي تجعلكم تصرخون تبّاً! عندما تقترن بهذا الهراء الواضح؟ هذا ما يحدث عندما لا يعود بإمكانكم التحقّق من مخاوفكم. أنتم متوتّرون بحيث إنكم لم تعودوا قادرين على التمييز بين الحقيقة والخيال.

لَمَ بلغت حكومتنا هذا الحدّ السخيف لتقنعنا بأننا في خطر؟ والجواب ليس سوى رغبة أكيدة منهم بحكم العالم، بدءاً بالسيطرة علينا، ومن ثمّ، حملنا على تأييد جهودهم للهيمنة على بقيّة الكوكب. يبدو الأمر جنونياً، لا؟ هو أشبه بنصٍّ سينمائي، أليس كذلك؟ لكن بوش/تشيني/أشكروفت/وال ستريت/فورتشن 500 يعتبرون أمريكا الهلعة هذه بعد 11 أيلول/سبتمبر فرصتهم السانحة - فرصةً منحها القدر لهم عبر الإرهابيين - لاستغلال المشاعر وإحكام الولايات المتحدة الخناق على أي شعب في العالم يجرؤ على التساؤل عمّن يحتلّ المرتبة الأولى. من يحتلّ المرتبة الأولى؟ قلت، من يحتلّ المرتبة الأولى؟ جيّد. قولوا بصوتٍ عالٍ! قولوا لجورج وديك وجوني وكوندي: نحن في المرتبة الأولى! يو. إس. إي! يو. إس. إي! يو. إس. إي!

فهم يعلمون أن الأمريكيين الحقيقيين لا يرغبون بالسيطرة على أحد، لذا عليهم إقناعنا بعكس ذلك من خلال الذّعر. ولجعلنا نُصاب بالذّعر بالشكل المناسب، يحتاجون إلى عدوٍّ كبير وسيّئ. وبانهيار الاتحاد السوفياتي، لم يكتشف بوش الأب البديل. وقبل اكتشافه، قام كلينتون بصرفه من الخدمة. وكان اليمينيون

مهمَلين، لكن كان أمامهم ثماني سنوات طويلة ليخطّطوا للعودة إلى الحكم.

وهبّت مؤسسة أبحاث سياسية ذات مقدرة عالية لنجدتهم، وهو مشروع القرن الأمريكي الجديد (PNAC)، الذي اعتبر أن أمريكا ليس لها سوى هدفٍ واحد: تحكّم الولايات المتحدة بشؤون العالم بالقوة ودون منازِع.

وكانت خطوتهم الأولى رسالة مفتوحة للرئيس كلينتون بتاريخ 26 كانون الثاني/يناير 1998. وحذّر محافظون جُدُد منضوون إلى المشروع وهما بول ولفوويتز ووليام كريستول، إضافةً إلى دونالد رامسفلد وريتشارد بيرل، من أن سياسة احتواء العراق كانت "غير مناسبة بشكلٍ خطر" وهدف السياسة الخارجية الأمريكية يجب أن يكون "إزاحة صدام حسين ونظامه عن سدّة الحكم".

وعندما تسلّم بوش الابن مقاليد الحكم عام 2000، قام بتسليم البنتاغون لهذه المجموعة اليمينية الحذقة. وبعد 11 أيلول/سبتمبر، قام رامسفلد، وولفوويتز (نائب وزير الدفاع آنذاك)، والجماهير المؤيّدة للحرب بشنّ هجومٍ على العراق كأحد الإجراءات الأولى التي اتّخذها البرلمان الجديد في الحرب الدائمة ضد الإرهاب. وكانت خطوتهم التالية الإسراع بتأمين موازنة للدفاع بقيمة 400 بليون دولار، بما فيها 70 بليون دولار ثمناً لأسلحة جديدة.

وبسبب 11 أيلول/سبتمبر، عثر ولفوويتز وزملاؤه من صقور اليمين على العدوّ الذي يمكنهم تسويقه للرأي العام على أنه سبب ذعرهم. وانضمّ المدير السابق للـ سي. آي. إي. في إدارة كلينتون، جايمس ولسي، إلى المجموعة اليمينية معلناً أن الحرب العالمية الرابعة كانت قد بدأت (الحرب الباردة هي الحرب العالمية الثالثة). ووفقاً لطريقة التفكير هذه، قد تكون "الحرب على الإرهاب" أحادية الجانب ودون حدود؛ وقد تمتدّ لسنوات توازي سنوات الحرب الباردة عدداً أو تفوقها (خمسين عاماً) أو ربما تدوم أبداً. وإذا كنتم لا تصدّقوني، ربما قد يكون بإمكان دونالد رامسفلد إقناعكم. "سيثبت دون شك أنها حربٌ أقرب إلى الحرب الباردة منها إلى الحرب الساخنة"، قال رامي. "إذا فكّرتم بالأمر، فقد دامت الحرب الباردة حوالى خمسين عاماً. ولم تجرِ فيها معارك رئيسية، بل كانت ضغطاً مستمرّاً.... وإن وجود تقييمٍ أكثر ملاءمة لما سنواجهه هو أمرٌ مفاجئ بالتأكيد".

يا للخبر! - حربٌ لا نهاية لها. إذا حملتم الناس على تصديق الأمر، فهم سيدعونكم تتصرّفون على هواكم ما دام أمنهم مهدَّداً. هذه نسخة بوش عن خدعة المافيا القديمة لعرض حمايتها. هناك في الخارج من سيعبث معكم. أسامة، عبث معكم! وصدام أيضاً! وآيات الله أولئك المجانين قد يعبثون معكم أيضاً! كوريا الشمالية، قد تقوم بذلك! هالو، منظمة التحرير الفلسطينية! نحن سنحميك، فقط أعطِنا كل مالك وكل حقوقك. وابقِ شراكك مُغلَقة!

وفي السنة التالية المؤدّية لانتخابات العام 2004، فإن كل ما ستسمعوه من بوش هو عن حربٍ دائرة، حربٍ على الإرهاب، حربٍ لتحرير العراق وإعادة بنائه، حربٍ ضد رجال الدين الإيرانيين، حرب ضد مجانين الأسلحة النوويّة في كوريا الشمالية، حربٍ ضد أمراء المخدرات الكولومبيين، حربٍ ضد التطرّف، حربٍ ضد الشيوعية في كوبا، حربٍ ضد حماس، حربٍ ضد...

ولضمان استمرارية الحرب اللامتناهية، يحتاجون إلى هلَعٍ لامتناه، هلَعٍ لا يمكن نشره بشكلٍ لامحدود إلا من خلال تجريدنا من حقوقنا المدنيّة الأساسيّة.

ويحتاج جناح اليمين إلى الإبقاء على هذه الحرب، تلك الحرب القائمة أطول مدّة ممكنة لأنها تبقي الناس حائرين. وكل شخصٍ يحبّ حرباً رابحة - باستثناء أولئك الذين يموتون فيها - ولا سيّما عندما تُخاض ضدّ من يمكن الفوز عليه بسهولة. نحن متفوّقون عسكرياً، وهم ليسوا كذلك. هم أموات، ونحن نربح! ركّزوا الكاميرات على مقاتلات "بوتوس" الظافرة وهي تهبط على مدرج حاملة الطائرات!

هكذا ينوي بوش إدارة حملة إعادة انتخابه. "أربح حرباً لأجلكم. ومن ثمّ أربح لأجلكم حرباً أخرى. ولكن هناك المزيد من الحروب، وأنتم بحاجة إليّ لأفوز عليهم أيضاً!". وسيكون هناك ذلك الشعار القديم، "لا يجب عليكم تبديل الأحصنة وسط الجدول".

لكننا لسنا بصدد الحديث عن مجرّد جدول هنا، يا قوم. سيكون هذا الأمر موجة مدٍّ بحري يمكنها إغراق ديموقراطيّتنا. إن أمهلتم هؤلاء الناس أربع سنوات أخرى، هل تظنّون أنهم سيتخلّون ببساطة عن مخططاتهم التي تشير إلى إصابتهم

بجنون العظمة لصالح منتخَبٍ من الحزب الديموقراطي أو حزب الخضر؟ ترى، بكم من حرّياتنا وأبنائنا علينا الاستعداد للتضحية بهم، فقط ليتمكّنوا من ملء جيوبهم بكل المال الذي يمكن جنيه من أمّةٍ مروَّعة وحربٍ دائمة؟

لن يتمّ قتلكم من قِبَل إرهابي. لقد فقدنا إلى حدّ كبير معنى إبداء وجهات النظر. ويتمّ استخدام هذا الأمر ضدّنا، ليس من قِبَل الإرهابيين بل من القادة السّاعين لإرهابنا.

وقال رئيسٌ عظيمٌ ذات مرّة إنه ليس علينا الخوف من أي شيء إلا من الخوف نفسه. فقد شجّع وألهم أمّته. والآن ليس علينا الخوف إلا من جورج دبليو بوش. واعتقادي راسخٌ بأن بوش وأصدقاءه (النائب العام جون أشكروفت بصفة خاصة) وضعوا هدفاً واحداً نصب أعينهم: إخافتنا بحيث نكون سعداء بالموافقة على أي فاتورة يتمّ إقرارها، وأي سلطات يطلبونها من الكونغرس.

وبعد 11 أيلول/سبتمبر مباشرةً، كان بوش قادراً على سنّ قانون بشأن USA PATRIOT Act (وهي في الواقع مختصَر لـ "توحيد وتقوية أمريكا من خلال تأمين الوسائل المناسبة المطلوبة لحصر مفاعيل العمل الإرهابي الذي وقع عام 2001"). ويمنح القانون الحكومة حرّيةً غير مسبوقة لجمع المعلومات مع مراعاة محدودة للحرّيات المدنيّة والخصوصيات. وصوّت مجلس الشيوخ لصالح القانون بمعدّل 89 صوتاً في مقابل واحد. وكان السناتور الديموقراطي عن ولاية ويسكونسن راس فينغولد الوطني الحقيقي الوحيد في مجلس الشيوخ ذاك اليوم، والصوت الوحيد المعارض، وقد وقف وقال هذه الكلمات البليغة:

> كانت هناك فتراتٌ في تاريخ أمّتنا إذ تراجعت أهمّية الحرّيات المدنيّة أمام ما بدا أنه مقتضياتٌ شرعيّة للحرب. وما زال ضميرنا الوطني يحمل آثار تلك الأحداث ونُدَبَها: القوانين الأجنبية المحرّضة على الفتَن والعصيان، وتعليق العمل بالأوامر القضائية خلال الحرب الأهليّة، واعتقال الأمريكيين من أصل ياباني، والأمريكيين من أصل ألماني، والأمريكيين من أصل إيطالي خلال الحرب العالمية الثانية، وإنشاء لائحة سوداء بالمتعاطفين الشيوعيين المفترَضين خلال حقبة ماكارثي، ومراقبة المعترضين على الحرب ومضايقتهم، بمن فيهم الدكتور مارتن

لوثر كينغ الابن خلال حرب فييتنام. لا يجب أن نسمح لهذه المراحل من ماضينا أن تصبح سوابق تتكرّر.

وسعياً منهم لمساعدة الجمهوريين ليأتي التصويت بالإجماع، بذل قادة الحزب الديموقراطي أقصى جهودهم كيلا يخرج فينغولد عن الإجماع لكنه قاوم رغبة الآخرين بالتصويت للقانون (وأثار غضب زعيم الحزب الديموقراطي توم داشل). وأخبر فينغولد كونغريشونال كوارترلي: "لا أعلم إن كان الخروج عن الإجماع أمراً خطراً أم لا، وبصدق أنا لا أبالي.... وإذا حدث لي الأسوأ وأُبعدت عن منصبي لهذا السبب، أكون رجلاً محظوظاً نظراً لما نواجهه".

USA PATRIOT Act هو في الواقع تسمية خاطئة بشكلٍ فادح. ولا يمتّ هذا القانون للوطنية بأي صلة. وهذا القانون غير أمريكي بقدر ما هو ماين كامف. وليس الاسم سوى جزءٍ من خطةٍ بارعة تهدف إلى تمويه رائحة مُنتنة أكثر من رائحة مياه مستنقعات فلوريدا.

ويمكنكم دائماً قراءة القانون بأنفسكم إن كان بوسعكم تخصيص عدّة أيّامٍ له ومجموعةً من المحامين. ترون، هذا القانون ليس كغيره من القوانين التي تنصّ بوضوح على أنه "يمكنكم فعل هذا" أو "لا يمكنكم فعل ذلك". ويتناول PATRIOT Act في المقام الأول تحسين القوانين القائمة. وهو يحتوي على 342 صفحة لا تشير أبداً إلى ماهيّته بل تحيلك إلى مئاتٍ من المقاطع في قوانين أخرى وُضعت خلال الأعوام المئة الماضية. لذا، وبهدف قراءة PATRIOT Act، يجب أن تستعين بكل القوانين الأخرى الموضوعة في القرن الماضي لتتمكّن من معرفة الجملة أو العبارة التي غيّرها هذا القانون. فعلى سبيل المثال، إليكم ما جاء في المقطع 220 من USA PATRIOT Act:

المقطع 220. خدمة البحث عن البراهين على صعيد الوطن ككلّ لتبيان الدليل الإلكتروني

(a) بشكلٍ عام – الفصل 121 من العنوان 18، دستور الولايات المتحدة، عُدِّل –

(1) في المقطع 2703، بحذف 'وفقاً للقوانين الفدرالية للإجراء الجنائي' كلّما ظهر

وإضافة 'باستخدام الإجراءات التي تمّ وصفها في القوانين الفدرالية للإجراء الجنائي من قِبَل محكمة ذات سلطان قضائي للنظر في الإساءة التي يتمّ التحقيق بشأنها'؛ و

(2) في المقطع 2711 –

(A) في الفقرة (1)، بحذف 'و'؛

(B) في الفقرة (2)، بحذف الفاصلة وإضافة '؛ و'؛ و

(C) بإضافة ما يلي في النهاية:

(3) لعبارة 'محكمة ذات سلطان قضائي كفؤ' المعنى المحدَّد في المقطع 3127، وتشمل أي محكمة فدرالية تدخل في إطار هذا التعريف، دون تقييد جغرافي'.

(b) تعديل مطابق – المقطع (d) 2703 من العنوان 18، دستور الولايات المتحدة، عُدِّل بحذف 'موصوفة في المقطع (A) (2) 3127'.

هل فهمتم كل ذلك؟

لذلك، فإنه متى اعترض أحدهم أمام المسؤولين في وزارة العدل، قام هؤلاء برفع أيديهم عن الموضوع، حاثّين "العامة على قراءة اللغة الحالية للقانون" للاستيضاح. ولا وسيلة أخرى للقيام بذلك بطريقةٍ إنسانية.

وفي 11 تشرين الأول/أكتوبر، أي بعد شهرٍ واحد فقط من 11 أيلول/سبتمبر، تقدّم مجلس الشيوخ بمشروع القانون بنسخته التي كانت مقبولة من مؤيّدي الحقوق المدنية بنسبةٍ أقل من نسخة مجلس النواب، على أن يتمّ التصويت عليها في اليوم التالي.

ولم تحب إدارة بوش ما تضمّن مشروع قرار مجلس النواب من حصانات، فعمِل عليه طوال الليل، وبمساعدة المتحدث باسم مجلس النواب، لتجريد مشروعَ القرار هذا من كل حصانات حقوق الإنسان التي صوّتت لصالحها اللجان النيابية. وتمّ الاتّفاق على صيغته النهائية في الساعة الثالثة وخمسٍ وأربعين دقيقة صباحاً. وعندما انعقد مجلس النواب بعد ساعاتٍ قليلة للتصويت عليه، ظنّوا أنهم كانوا يصوّتون على الصيغة التي تمّ التوافق عليها في اليوم السابق. وعوضاً عن ذلك،

صوّتوا على مشروع القانون الذي قام النائب العام جون أشكروفت في الليلة السابقة بتفريغ الحصانات القليلة المتبقّية فيه من مضمونها. ووفقاً لاتحاد الحرّيات المدنية الأمريكية، فإن أعضاءً قليلين من الكونغرس يقومون في الواقع بقراءة النسخة النهائية للقانون. وقد يكون تصرّف الكونغرس هذا الأكثر تهوّراً وانعداماً للمسؤولية.

وإليكم ما يفعله هذا القانون. يمكن لحكومتكم الآن "اعتراض وتتبّع" كافة رسائل البريد الإلكتروني التي لا تُحصى ولا تُعَدّ والتي تظنّون أنها سرّية. وإذا ما استمرّ هذا الأمر، يمكنكم إذاك إلغاء كلمة "خصوصية" من قاموسكم. وما هو عرضةٌ للتفحّص أيضاً: سجلات مصرفية، سجلات مدرسية، قائمة بالكتب المتوافرة في المكتبات والتي قمتم بشرائها هذا العام (أو حتى ما هي المدّة التي قضيتموها على موقع المكتبة على الإنترنت)، ومشترياتكم الاستهلاكية. تظنون أنني أبالغ؟ عندما تكونون في المرة القادمة جالسين في غرفة الانتظار ليحين موعد معاينة الطبيب لكم أو منتظرين دوركم في المصرف، اقرأوا بياناتهم المتعلّقة بالخصوصية الجديدة. فإنكم ستجدون تحذيرات جديدة تطغى عليها اللغة القانونية المبهَمة من أن حماية الخصوصية لا تشمل تدابيرَ الأخ الأكبر لقانون PATRIOT Act الجديد.

هناك المزيد. ووفقاً للتدبير الخاص "تسلّل واختلس النظر"، بات بإمكان العملاء دخول منزلكم وتفتيش أمتعتكم دون أن يُعلموكم بأنهم كانوا هناك!

وأحد أهم المقاطع في ميثاق الحقوق هو التعديل الرابع. فكلّنا متعلّقون بخصوصيتنا الفردية ونحب العيش في مكان يشجّع التعبير الحرّ عن الأفكار. وجوهر كل ذلك الخصوصية. لهذا السبب، ووفقاً لدستور الولايات المتحدة، فإن تفتيش منزلكم يتطلّب مذكّرة مدعومة بما يثبت وجود سببٍ ماديّ للقيام بهذا الأمر. لكن ها هو نظام أشكروفت الجديد ينتهك مفهومنا عن الوطن والمنزل الذي نتمسّك به. ولا يمتّ قانون أشكروفت بأي صلة إلى الوطنية. ولن تسامحني مدرّستي في الصف السابع، الأخت ماري ريموند، ونظراؤنا في التأسيس (جيفرسن بصفةٍ خاصة) إن لم أُشر إلى أن مفهوم العيش في مجتمعٍ حرّ يصبح غير قابل للتطبيق إذا سمحتم لحكّامكم التطفّل في تفاصيل حياتكم وانتهاك "مساحة إقامتكم".

وبدلاً من تقديم دليلٍ محتمَل في محكمة قانونية، يحصل عملاء أشكروفت على مذكّراهم من محكمة سرّية (محكمة المراقبة التي تديرها أجهزة المخابرات الخارجية تحت إشراف الحكومة، FISA، أُنشئت عام 1978)، ويمكن للعملاء الفدراليين إذ ذاك الظهور وقول الكلمات السحرية "هي إجراءاتٌ لغايات مخابراتية"، ويوافق قضاة المحكمة السرّية على كل طلباهم. وإضافةً إلى ذلك، أشارت الصحف عام 2002 إلى أن أكثر من 170 مذكّرة "طارئة" تمّ إصدارها، مقارنةً مع سبعٍ وأربعين مذكّرة خلال السنوات الثلاث والعشرين الماضية. ولا تتطلّب تلك المذكّرات المسمّاة طارئة أكثر من قطع أوراق موقَّعة من أشكروفت، وتسمح لعملاء الـ أف. بي. آي. بالتنصت على المكالمات الهاتفية والتفتيش لمدة اثنتين وسبعين ساعة دون الرجوع إلى محكمة FISA.

وفي إطار السرّية التي تلفّ USA PATRIOT Act يكمن نظامٌ خداعي يخوّل الـ أف. بي. آي. جمع سجلات مكتبتك دون أن يكون بإمكان أحد الاعتراض على عملية التفتيش تحت طائلة التعرّض لعقوبة المقاضاة. (ربما قد تلجأ المكتبات، وبهدف حماية خصوصيات زبائنها، إلى تعليق ملاحظة أسبوعية تقول: "أيٌّ من عملاء الـ أف. بي. آي. لم يتجسس على أعمالنا هذا الأسبوع". ومتى لم تكن الملاحظة معلّقة عرفنا بأن الأسوأ قد حصل). وبعيداً عن كونهم معرَّضين لأي تهديد فعلي لمراقبة سلوكهم وتصرّفاتهم، يُسمَح لبوش/تشيني/أشكروفت وآل بتفحّص أدقّ التفاصيل في حياتنا اليومية.

ويسمح PATRIOT Act لمكتب النائب العام بطلب واستلام أي معلومات يريد ومن أيّ شخصٍ بمجرّد إصدار ما يُدعى "مذكّرة أمن قومي". وكانت هذه المذكّرات تصدر بسرعة فائقة من مكتب أشكروفت بحيث إنه ليس باستطاعة أحد – ولا حتى لجنة القضاء النيابية – معرفة عدد المذكّرات الموجَّهة. فقد طلبت اللجنة معلومات عن الموضوع، لكن أشكروفت حال دون التصديق على مشروع قانون بهذا الشأن، مستنداً إلى سلطاته الجديدة. وبواسطة مذكرات الأمن القومي هذه، ليس على الشرطة سوى إبراز إحداها لتُسلَّم إليهم، وبشكلٍ فوري، بيانات في المجال العملي، والتربوي، والاستهلاكي، والإنترنت، وبيانات شخصية أخرى دون

أن يكون هناك سببٌ محتمَل أو حتى مبرّر مخابراتي خارجي. ويمكن للـــ أف. بي. آي. ملاحقة أيٍّ كان – ويرفض أشكروفت الكشف عمّن يلاحقــون – دون أيّ تدقيقٍ من قِبَل الكونغرس.

وهذا ليس كلّ شيء. نواجه الآن سابقة الاحتجاز السرّي التي قــد تجعــل جمهوريات الموز حسودة. فقد تمّ استجواب حوالى 5.000 شاب، معظمهم مــن الطلاب، من قِبَل الــ أف. بي. آي. لسببٍ وحيد وهو أنهــم قــد لا يكونــون مواطنين أمريكيين أو أنهم من أصولٍ شرق أوسطية. واعتُقل 1.200 شخص آخرين وسُجنوا لمددٍ غير محدودة، وبسرّية تامّة، لأسبابٍ يتعلّق معظمها بانتهاكاتٍ ثانوية لقانون الهجرة كان يتمّ تجاهلها في ما مضى. وسُجن 11 بالمئة ممّن اعتقلتهم دائــرة الهجرة والتجنيس لأكثر من ستة أشهر قبل إطلاق سراحهم أو ترحيلهم. وســجن حوالى نصف العدد لأكثر من ثلاثة أشهر.

وفي تقريرٍ ينطوي على مخاطر كبيرة، تبيّن للمفتش العام التابع لوزارة العــدل أن المعتقَلين المسجونين في مركز الاعتقال الفدرالي في بروكلين واجهوا "ضرباً من ضروب الإساءات المادّية والمعنوية" إضافةً إلى سياسات اعتقال تعتمــد الخشــونة المفرطة، بما فيها الإقفال عليهم لمدة 23 ساعة في اليوم، وإضاءة الزنزانــات يومــاً كاملاً، ومنع التواصل في ما بين المعتقَلين، وتكبيل مفرَط للأيادي بالأصفاد، وتقييد الأرجل بسلاسل حديدية ضخمة. وينتقــد التقريــر أيضــاً الـــ أف. بي. آي. "لمحاولاتهم المحدودة للتمييز" بين المهاجرين الذين قد تكون لهم روابط مع الإرهاب وبين الغالبية العظمى التي لا روابط لها.

وإن احتجاز مجموعة واسعة من الناس دون أي سببٍ وجيه للاعتقاد بــأنهم خطرون هو أمرٌ لا يمتّ إلى المبادئ الأمريكية بصلة.

والأسوأ من ذلك أن بعض المعتقَلين كانوا عرضةً لإجراءات ترحيل ســرّية. فبعد فترة قصيرة من هجمات 11 أيلول/سبتمبر، بدأت محاكم الهجرة المنتشــرة في مختلَف أنحاء البلاد بعقد جلسات سماع سرّية لا تُحصى ولا تُعَدّ، وقد مُنع مسؤولو المحاكم من تأكيد حدوث هذه الحالات.

والآن، فإن البعض منكم قد يعتبرون أهم أصبحوا بمأمنٍ من القلق والذّعر التي يتسبّب بها بوش، كونكم أمريكيين تحملون البطاقة. لا تتّكلوا على ذلك. فحدود القانون لم تكن أبداً من الأهداف الكبرى لإدارة بوش. ويصرّ بوش على أنه يملك السلطة المطلَقة كونه قائداً أعلى – أي أنه غير ملزَم بالأسس القانونية المتّبعة في بلادنا – لوصف أيٍّ كان بـ "العدو المقاتل"، ومن ثمّ الإقفال عليه ورمي المفتاح. ووفقاً لهذا المنحى غير المألوف – انتهاكٍ بالجملة للقانون الدولي ولكلّ ما يناضل هذا البلد من أجله – فإن العدو المقاتل هو شخصٌ لا يملك حقوقاً قانونية على الإطلاق.

وليس لقبا USA PATRIOT Act والعدو المقاتل سوى تلميحين لما يُضمر لنا بوش. تصوّر شيئاً يُدعى "اطّلاعٌ كامل على المعلومات"، طوّره البنتاغون. وعندما اعترض البعض على التعبير المروّع "كامل"، لُطِّف هذا التعبير ليصبح "الاطلاع الكامل على المعلومات الإرهابية" (TIA). وهذا البرنامج، الذي رئسه في بادئ الأمر الأميرال جون بويندكستر الذي ارتبط اسمه بفضيحة إيران – كونترا ونُفّذ برعاية وكالة مشاريع الأبحاث الدفاعية المتقدّمة (DARPA)، كان بمقدوره البحث في سجلات أيّ نوعٍ من أنواع التعاملات التي قام بها مئات الملايين من الأمريكيين. وكل طلبٍ يتقدّم به الأميرال الصالح – مثلاً، "أعطني أسماء الأشخاص الذين ابتاعوا فأرة ضوئية من كومب يو. إس. إي. خلال هذا الأسبوع" – يوازي قيام الحكومة بالاستفسار بشكلٍ تطفّلي وغير مناسب عن حياة كل شخصٍ في الولايات المتحدة. لكن هذه الأسئلة لا تُطرح عليك مباشرةً – تجري سرّاً بينما تطّلع الحكومة على البيانات التي قد لا تكون على علمٍ بأنها جُمعت عنك، ولا تعطيك أي فرصة للإجابة عن الأسئلة بنفسك بحيث يمكنك ربما تقديم تفسيراتٍ عن الأخطاء المرتكَبة أو الظروف المخفِّفة.

وإحدى بنات الأفكار الأخرى لبويندكستر وDARPA كانت "تسويق التحاليل السياسية" التي كان على الحكومة نشرها على موقعٍ على شبكة المعلومات الدولية Web. ومن الواضح أن بويندكستر استنتج منطقياً أن الأسواق المستقبلية للسلع ستكون لصالح زملاء بوش في إنرون بحيث يمكنه تكييفها للتكهن بالإرهاب.

وقد يكون بإمكان الأفراد الاستثمار في صفقات مستقبليّة افتراضية تشمل أحــداثاً "كاغتيال ياسر عرفات" مثلاً أو "الإطاحة بملكٍ الأردن عبدالله الثاني". وقد تكون أحداث مستقبليّة أخرى مرتكزة على سلامة الاقتصاد، والاستقرار المدني، والتورّط العسكري في مصر، إيران، العراق، إسرائيل، الأردن، العربية السـعودية، سـوريا وتركيا. كل الدول المرتبطة بالنفط. ولم يدم التسويق المقترَح سوى يومٍ واحد بعد كشفه لمجلس الشيوخ. واحتجّ عضوا المجلس ويدن ودورغن على طلـب تزويـد البنتاغون بـ 8 ملايين دولار، وقال ويدن: "إن الحضّ على الثقة بعملية الاستثمار في أحداث ممكنة تحرّك الرغبات بصعوبة يبدو أنها الخطوة التالية لاستثمار أمـوال دافعي الضرائب في الحرب على الإرهاب". ونتيجةً للاهتياج الذي حصل إثر ذلك، طُلب من بويندكستر تخفيض وتيرة توجّهاته.

وطالما أيّدت أمريكا مبدأ عدم قيام الحكومة بالتجسس على مواطنيها مـا لم يكن هناك سببٌ يحمل على الاعتقاد بأن مواطناً ما متورّطٌ بأذيّةٍ ما. وحتى في هذه الحالة، يجب على قاضٍ ما الموافقة على التجسس. وعندما تتمّ مسـاءلتنا بشـكلٍ قانوني، كان لنا الحق الدستوري برفض الإجابة عن أي سؤال. وباتت هذه الحقوق غير قابلة للتطبيق مع برامج تقضي مثلاً بالاطلاع الكامل على المعلومات الإرهابية.

ونادراً ما يعترض شيءٌ ما سبيل تقفّي آثار ورقة ما أو معلومـة إلكترونيـة عندما يتعلّق الأمر بالإرهابيين. فأنت وأنا نترك آثاراً وراءنا – بطاقـات ائتمـان، أجهزة هاتف خليوي، سجلات طبّية، بريد إلكتروني؛ كل ما نقوم به. من هو في الواقع المراقَب في هذه الحال؟

لا بأس بأن يكون هذا الشخص مجرّد محامٍ آخر للبوروقراطية الـتي أوجـدها الحزب، قاضياً معظم وقته بإلقاء اللـوم علـى الحكومـة الفدراليـة ومحاميهـا البوروقراطيين.

وهناك من ثمّ أولئك الموجودون في ما يشبه سجناً من الرعب – سجناء خليج غوانتانامو. وكم كنّا متأثّرين بالفعل، وعلى نحوٍ مفاجئ، بوجود كوبا إلى جانبنـا تماماً – وهل هناك أفضل من هذا المكان نضع فيه فاعلي الشرّ المعتقَلين؟ سـتماية وثمانون شخصاً – بمن فيهم ثلاثة أولاد تتراوح أعمارهم بين الثلاثة عشر والسـتة

عشر عاماً – مسجونون هناك إلى ما لا نهاية. لا تهم، لا حكم لقضاء عقوبة، لا محامون، لا شيء البتّة. وهل من العجب أن تكون هناك 28 محاولة انتحار بين أولئك المسجونين هنالك؟

وحتى الآن، ما يزال هناك على الأقل ثلاثٌ وأربعون حالة موثّقة عن إساءات المعاملة التي ارتكبتها الـ أف. بي. آي. وفقاً لقانون باتريوت – و966 شخصاً آخرين على الأقل تقدّموا بشكاوى رسمية. والعديد من هؤلاء الناس كانوا يهتمّون فقط بشؤونهم الخاصة أو يسعون للاندماج في مجتمعنا الحرّ والمنفتح. والأهم من كل ذلك أن ذهنية "المواطنية" هذه جرّدت أشخاصاً آخرين من القدرة على خوض حرب الذّعر هذه بطريقتهم الخاصة. والآن تأمّلوا هذه الأمثلة:

- جون كلارك، وهو مسؤول نقابي في ائتلاف أونتاريو ضد الفقر (OCAP)، اعتقله ضباط دائرة الهجرة على الحدود الأمريكية بينما كان متوجّهاً لإلقاء خطاب في جامعة ميشيغن ستيت. وقدِم عميلٌ تابع لوزارة الخارجية من ديترويت واستجوب كلارك عن مشاركته في احتجاجاتٍ مناهضة للعولمة، وعمّا إذا كان "معارضاً لإيديولوجية الولايات المتحدة"، حتى إنه استجوبه عن أماكن وجود بن لادن. وعرض العميل لملفٍّ صادرٍ عن وزارة الخارجية يتناول OCAP ويضمّ اسم رجلٍ أقام معه كلارك في شيكاغو، ووريقاتٍ تحتوي على خطاباتٍ سابقة لكلارك ألقاها في الولايات المتحدة.
- سأل قاضٍ لإحدى ضواحي نيويورك أنيسة خضر، وهي مواطنة أمريكية من أصلٍ لبناني، إن كانت "إرهابية" عندما ظهرت في المحكمة بسبب بطاقاتٍ تتعلّق بموقف للسيارات.
- في أيار/مايو 2002، أوقف ستة صحافيين فرنسيين في مطار لوس أنجلس الدولي، واستُجوبوا وأُخضعوا للتفتيش. وتمّ اعتقالهم لأكثر من يوم ورُحِّلوا من ثمّ من الولايات المتحدة قبل تمكّنهم من بلوغ المكان الذي يقصدون: معرض تجاري لألعاب الفيديو.
- في مدرسة ثانوية في فيرمونت، دخل ضابط شرطة بزيّه الرسمي صف المدرّس توم تريس في الساعة الواحدة والنصف صباحاً بهدف التقاط صورٍ لمشروع

فنّي لأحد التلاميذ الذي رسم "الرئيس بوش وعلى فمه شريطٌ لاصق" وكتب التعليق التالي: "ضع الشريط اللاصق لاستخدامٍ مفيد. أغلق فمــك". ومُنــع تريس من تدريس مادة الأحداث الجارية.

- تلقّت أي. جاي. براون، وهي طالبة في إحدى كلّيات كارولاينا الشــمالية، زيارةً من عميلين تابعين لجهاز الأمن السرّي وطرحا عليهـــا أســئلة تتعلّــق بامتلاكها ما يشير إلى أنها "مناهضة للولايـــات المتحـــدة". ودون دعوتهمـــا للدخول، جعلت براون العميلين يريان ما افترضت أنهما قدما لأجله: ملصَــق مناهض لحكم الإعدام يُظهر بوش وجثث مجموعة من المعدومين مـــن غـــير محاكمة قانونية، وعليه التعليق التالي: "نتمسّك بكل كلمة تقولها".
- اعتُقل دوغ ستابر، وهو ناشط في حزب الخضـــر في كارولاينـــا الشـــمالية، واستُجوب عندما كان يهمّ بالرحيل إلى براغ، وأُعلم من ثمّ أنه لا يُسمح لأيٍّ من الخضر بالرحيل في ذاك اليوم. وأراه المستنطقون مستنداً صادراً عن وزارة العدل يُظهر الخضر وكأنهم إرهابيون، والتقط جهاز الأمن السرّي صورةً لـــه على أنه من المشتبَه بهم. وقد أُجبر ستابر على أن يعود أدراجه.

وهناك حوادث أخرى لم يتسبب بها العملاء الفدراليون بقدر ما كانت نتاج الفتور الذي يسيطر على مجتمعنا. وإليكم هذين المثالين:

- طردت الـــ سي. بي. إس. أحد منتجي هيتلر: انبثاق الشرّ بسبب تصريحاتٍ له قارن فيها مزاج أمريكا بمزاج ألمانيا عندما تسلّم هيتلر السلطة.
- وجيرماي ماكين، وهي مدرّسة صفوف المرحلة الثانيـــة عشـــرة في المدرســـة الثانوية الإنكليزية في لين، ماساشوستس، أُجبرت على التوقف عـــن عـــرض فيلمي السينمائي Bowling for Columbine في صفوفها لأن المدير قـــال إن الفيلم يحتوي على "رسائل مناهضة للحرب".

وكما ترون، تتخطى الأعمال التي يقوم بها بوش المسائل المتعلّقة بالإرهـــاب لجهة تأثيراتها على الناس. وقد خُلق جوٌّ يُستحسَن على الناس في ظلّه مراقبة أقوالهم وأفعالهم كل يوم. (في الواقع، تطلّب الأمر تدخّل الناطق باسم البيت الأبيض أري

فليشر للتحذير من الانتقادات الموجَّهة لإدارة بوش - ولا سيّما الممثل الهزلي بيل ماهر - و"مراقبة ما يقولون وما يفعلون").

وما يؤثّر بي في الواقع قيام زمرة المخادعين هذه باستخدام 11 أيلول/سبتمبر ذريعةً لكل شيء. ولم يعد الأمر مجرّد اتّخاذ إجراءات لحمايتنا من "التهديد الإرهابي". 11 أيلول/سبتمبر هو الجواب الآن. هو المنّ السماوي الذي طالما صلّى اليمين للحصول عليه. يريدون نظام أسلحة جديد؟ عليهم الحصول عليه! لِمَ؟ حسناً... بسبب 11/9! يريدون التخفيف من حدّة قوانين التلوّث؟ هو أمرٌ ضروري! لِمَ؟ 11/9! يريدون حظر الإجهاض؟ مئة بالمئة! لِمَ؟ 11/9! ما هي علاقة 11/9 بالإجهاض؟ مهلاً، لِمَ تسألون الحكومة؟ ليسأل أحدكم الـ أف. بي. آي!

وبالنسبة إلى بقيّة العالم، يبدو وكأننا نغدو مجانين. فالناس في معظم الدول الأخرى اعتادوا العيش مع أعمالٍ إرهابية منذ سنوات، وبعضهم منذ عقود. ماذا تُراهم يفعلون؟ حسناً، هم لا يغدون مجانين من الذّعر. فالألماني العادي لا يخزّن المؤن أو يتوقف عن استخدام قطار الأنفاق. فقط تعلّموا العيش مع هذا الوضع.

ولكن ماذا نفعل نحن؟ نبتكر جداول بيانية برموز ملوَّنة لوصف التهديد. نفتّش كهولاً بلغوا أعوامهم التسعين وهم على كراسيهم المدَولبة. نهاجم إعلان حقوق الإنسان. أجل، هذا سيقودنا إلى الإرهابيين! فلنُجهز على أسلوب حياتنا لئلا يكون عليهم تفجيره في ما بعد.

لا معنى لذلك البتّة.

لا مانع من اتّخاذ بعض التدابير الوقائية العقلانية لتفادي تلك الأعمال الإرهابية القليلة التي تحدث بالفعل.

ربما كان يتوجّب على جورج دبليو بوش قراءة التقارير التي ترسلها الـ سي. آي. إي. له. ففي 6 آب/أغسطس 2001، ووفقاً لـ واشنطن بوست، وقبل أسابيع من 11 أيلول/سبتمبر، تسلّم بوش تقريراً شاملاً دُوِّنت عليه عبارة "طارئ ملحّ" نبّهه إلى أن "القاعدة" كانت تخطط لشن هجومٍ كبير على الولايات المتحدة (المحتويات الكاملة للمذكّرة غير معروفة لأن بوش رفض نشرها، علماً أن

غوندوليزا رايس دأبت على القول مراراً وتكراراً إن لا شيء محدّد في التقرير. إن لم يكن هناك شيء محدَّد، لَمَ لا يمكنهم نشره إذاً؟). والأسوأ من ذلك أن تقريراً يعود للعام 1999 كان قد نبّه إلى أن "القاعدة" كانت تدرس إمكانية استخدام الطائرات كصواريخ يتمّ توجيهها على المباني الحكومية.

لَمَ لم يقم بوش بتحذير الأمّة وبين يديه مذكرة مخابراتية محذّرة من هجمات وشيكة، ومرفَقَة بتقارير تغاضت عنها إدارة كلينتون؟ هل كان منشغلاً إلى هذا الحد بعطلته التي دامت شهراً كاملاً في كراوفورد، تكساس؟ فقد فشل بوش بواجباته ومن المحتمَل أن يكون سبباً لفقد 3.000 شخص حياقم. وهذا الأمر وحده يجب أن يكون كافياً لسوقه إلى المحكمة بتهمة الخيانة. والكذب بشأن الجنس، بقدر ما أعلم، لم يؤدِّ إلى دفع حياة أحدهم ثمناً لذلك في البيت الأبيض إبّان حكم كلينتون.

وعلى سبيل المثال، ماذا لو سمح الجمهوريون للـ أف. بي. آي. بالقيام بواجبهم الحقيقي في أواخر التسعينات من القرن الماضي - المحافظة على حياة مواطنينا - عوضاً عن جعلهم يمضون ساعات لا تُحصى ولا تُعَدّ في التحقيق بالسلوك الجنسي للرئيس أو ببعض الصفقات العقارية التافهة للسيدة الأولى؟ وفي إحدى المراحل، عُيِّن أكثر من 200 عميل من الـ أف. بي. آي. في الحملة التي شُنَّت للنيل من آل كلينتون. مائتا عميل كان يجدر بهم - ربما - الإجابة على المكالمات الهاتفية الواردة من مدارس تعليم قيادة الطائرات في تكساس القلقة بشأن وجود عناصر غريبة لا يريدون تعلّم كيفية الإقلاع بالطائرة أو الهبوط بها. مائتا عميل من الـ أف. بي. آي. كان يجدر بهم التحقق من كيفية تمكّن الإرهابيين من البقاء في البلاد مدّةً أطول من تاريخ انتهاء صلاحية تأشيراتهم. مائتا عميل من الـ أف. بي. آي. كان يجدر بهم تدريب عناصر أجهزة أمن المطارات.

مائتا عميل من الـ أف. بي. آي. كان يجدر بهم القيام بأي عمل غير تضييع وقتهم مع الجمهوريين اليمينيين الانتقاميين، المهووسين جنسياً، الذين يريدون وضع كتاب عن الدعارة كلفته 50 مليون دولار ويتناول المكان الذي أراد الرئيس وضع السيكّار فيه.

وكان هناك أقاويل كثيرة عمّا كان بإمكان بوش القيام به خلال الشهر الذي سبق 11 أيلول/سبتمبر للحؤول دون حدوث الهجمات. ولكن لا أحد يتكلّم عن إجراءٍ ما لو اتُّخذ قبل أربعة عشر عاماً من 11 أيلول/سبتمبر لكان من شأنه بالتأكيد تفادي المأساة - بكلفة 50 سنتس إضافية على سعر تذكرة الرحلة الجوّية. ففي العام 1987، ذهبت للعمل لمدة قصيرة من الزمن في مكتب رالف نادر في واشنطن، دي. سي. ما كان أحد المشاريع التي كان يعمل عليها جنود نادر آنذاك؟ كانوا يحاولون استمالة الحكومة لجعل السفر بواسطة الخطوط الجوّية أكثر أماناً، حاثّين كافة شركات الطيران على وضع أبواب جديدة لقمرة القيادة لا يمكن اختراقها. فاعترضت صناعة الطائرات بشدّة ورفضت القيام بأي شيء. بالطبع، فلو أنهم أصغوا لنادر آنذاك لما كان بإمكان الخاطفين التسعة عشر السيطرة على تلك الطائرات؟ ويمكنني الجزم تقريباً بأن الثلاثة آلاف الذين ماتوا في ذاك اليوم من أيلول/سبتمبر كان بالإمكان أن يكونوا أحياءً اليوم لو أن جماعة نادر نجحت بإقناع الحكومة قبل أربعة عشر عاماً.

وعندما نتكلّم عن الإرهابيين، نحتاج إلى القبول والإقرار بأن معظم الفظاعات هي أعمال إجرامية داخلية، وأن معظم الإرهابيين نشأوا في وطننا. ويجب علينا الكف عن الاعتقاد بأن الأجنبي، الغريب، المقيم في الخارج هو من يسعى إلى إلحاق الأذيّة بنا. فهي حالة نادرة. وهناك حالاتٌ كثيرة تشير إلى هذا الأمر في الأزمنة الحديثة. وبتنا الآن نعلم بأنه لدى مقتل شخصٍ ما، فإن الضحية تكون على معرفةٍ بالقاتل في غالب الأحيان. وليس الغريب الأسطوري هو من يقوم بالتحرّش بالأولاد عادةً، بل أحد أفراد العائلة، الجار أو رجل دين ودود. ومشعلو النار في المباني هم في غالب الأحيان، وإلى حدّ بعيد، إطفائيون سابقون، واللصوص هم من دخلوا منازلكم مراتٍ عديدة وعبثوا بها. وبالرغم من كل التدابير الأمنية التي اتُّخذت لحماية المبنى الفدرالي في مدينة نيويورك من أعمال إرهابية مرعبة مماثلة لتلك التي حدثت في 11/9، فإن أحد أعضاء مجلس المدينة هو من جعل القاتل الخاص به يتخطّى أجهزة الكشف عن المعادن وبإذعانٍ من رجال الشرطة. وعندما يتعلّق الأمر بخطف الناس وبتفجير الطائرات في أهدافٍ معيّنة، فإن من قام

بالحادثتين الوحيدتين المشابهتين اللتين وقعتا قبل 11 أيلول/سبتمبر كانوا مواطنين أمريكيين – موظفي شركات الطيران أنفسهم – لا دخلاء مجانين. فقد ثبتت مسؤولية موظفي شركات الطيران وحدهم، ولغاية 2001/11/9، عن عملية الخطف التي أودت بحياة العديدين. (لم يكن يتوجب على موظّف ساخط في الخطوط الجوية الأمريكية المرور عبر أنظمة الأمن حاملاً معه سلاحاً في كانون الأول/ديسمبر 1987، وقد جعل طائرةً تتحطّم في كاليفورنيا؛ وفي 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1999، استولى موظف مصري في الخطوط الجوّية على طائرة وانقضّ بها على مياه المحيط الأطلسي).

ومن المهمّ جداً التوقف عن التفكير بأن "الإرهابيين" هم أولئك المقنّعون، المجهولون، والغرباء. والأمر الأكثر احتماليةً هو أنهم أشخاصٌ تعرفونهم، وقد تناولتم معهم مشروباً للتوّ.

وطالما فكّرت على الدوام بأنه من المشوّق بمكان افتراض أن عملية القتل الجماعي التي حدثت في 11 أيلول/سبتمبر هي من تدبير صاحب ملايين عديدة. ونقول دائماً إن "إرهابياً" أو "متشدّداً إسلامياً" أو "عربياً" هو من ارتكبها، ولكننا لا نعرّف أبداً عن أسامة بهذا اللقب الصحيح: صاحب ملايين عديدة من الدولارات. ولَم لم نقرأ أبداً عنوان رئيسي يقول: "3.000 قتلهم صاحب ملايين عديدة"؟ قد يكون عنواناً رئيسياً صائباً، أليس كذلك؟ فهو ينمّ عن حقيقةٍ كاملة – يملك أسامة بن لادن موجودات بقيمة لا تقلّ عن 30 مليون دولار؛ هو من أصحاب الملايين العديدة. إذاً، لَم لا نرى هذا الشخص من هذا المنظور، غبيٌّ غني يقتل الناس؟ لَم لم يصبح هذا الأمر الخلفية التي من خلالها يمكننا تحديد الإرهابيين المحتمَلين؟ وعوضاً عن اعتقال عرب مشتبَه بهم بالجملة، لَم لا نقول: "يا إلهي، صاحب ملايين عديدة قتل 3.000 شخص! اعتقلوا أصحاب الملايين! ارموهم في السجون! لا تُهَم! لا محاكمات! رحّلوا أصحاب الملايين من الدولارات!!".

نحتاج في الواقع إلى من يحمينا من صاحب الملايين العديدة الخاص بنا، من إرهابيّينا المتّحدين، ومن أولئك الذين يجزّئون معاشات التقاعد للشيخوخة، ويدمّرون البيئة، ويستنفدون الوقود المستخرَج من الأرض باسم الكسب، وينكرون

علينا الحق بعنايةٍ صحّية عالمية، وحرم الناس من فرص العمل كلّما انتابتهم نوبة غضب. فماذا تسمّون إذاً ارتفاع معدّل المشرَّدين والجائعين بنسبة 19 بالمئة بين عامي 2001 و2002؟ أو ليست هذه الظواهر ضرباً من ضروب الإرهاب؟ ألا تؤدّي إلى زهق أرواح؟ أو ليست جزءاً من مخطَّط مرسوم لإنزال الألم بالفقراء والعمال الفقراء، فقط لتتمكّن قلّةٌ من الأثرياء من أن تصبح أكثر ثراءً؟

لدينا "إرهابيّونا" لمعالجة شؤونهم، ونحتاج إلى أن يكون انتباهنا مركَّزاً عليهم بشكلٍ كامل لنتمكّن يوماً ما من العيش في بلدٍ حيث يمكن للناس مرّةً أخرى اختيار الرئيس، بلد حيث يكون الأثرياء على يقينٍ تام بأنه سيدفعون ثمن أعمالهم. بلدٌ حر، بلدٌ آمن، بلدٌ مسالم يتقاسم أغنياؤه ثرواتهم، وبصدق، مع الأقل ثراءً في مختلف أنحاء العالم، بلدٌ يؤمن بأن كل شخصٍ يستحق معاملة عادلة، وحيث الخوف هو الشيء الوحيد الذي نحتاج بالفعل إلى الخوف منه.

الفصل الخامس

كيف السبيل إلى إيقاف الإرهاب؟ أن نكف عن كوننا إرهابيين!

أهلاً وسهلاً بكم مع دليل مايك السريع والسهل، دليلكم لتفادي الهجمات الإرهابية المستقبلية.

نعم، هذا صواب، سيكون هنالك هجمات إرهابية مستقبلية. كيف أعرف ذلك؟ لأن هذا ما يقولونه لنا كل يوم دامٍ.

أعلم أني قلت للتوّ إنه لا وجود في الواقع لأي تهديدٍ إرهابي، ولكن فيما لو كنت مخطئاً، قد لا تكون فكرةً سيّئة أن نكون مستعدّين.

فقد درست هذه المسألة بكل ما في الكلمة من معنى، وبما أني أمضي قسماً كبيراً من السنة على جزيرة مانهاتن – الهدف الذي اختاره فاعلو الشرّ الدوليون بعناية – فقد جعلت هذه الدراسة من أولى أولوياتي. لماذا؟ لأني أريد أن أحيا! وعذراً لأني لم أدَع لكم فرصة للإجابة عن سؤالي، ولكن عليّ إنجاز فيلمٍ سينمائي، والحصول على سيارة هجينة جديدة، والاستمرار في العيش لفقد خمسين باونداً آخر بعد أن فقدت للتوّ القيمة نفسها.

وبرنامج بوش للأمن الوطني لا يوفّر لنا أيّ أمنٍ على الإطلاق. فإذا أردتم أمناً حقيقياً، أقترح أن تأخذوا بعين الاعتبار ما سأطرح من أفكار ستجعل أمريكا بلداً أكثر أماناً:

1. **ألقوا القبض على أسامة بن لادن:** هذه فكرةٌ جديدة بالفعل! هو الابتكار بعينه! أظن أن هذا الأمر منسيّ. ألم يُخبرونا بأن أسامة كان العقل الموجِّه لـ 11/9؟ ألا يجعل منه هذا الأمر قاتلاً جماعياً؟ وبالرغم من كل ما نملك من قدرات (كإمكانية قراءة رقم لوحة ترخيص انطلاقاً من قمرٍ اصطناعي في الفضاء الخارجي)، لَمَ لم يتمّ القبض على هذا الرجل بعد؟ من هو وكيل سفره؟ نظريّتي تقول: عاد إلى وطنه الأم العربية السعودية وهو بحماية أولئك الذين موّلوه وأمّنوا له المساعدة الطبيّة لمعالجة كليتيه المريضتين. أم أنه اختفى وكأنه لم يكن موجوداً. أم... هو ربما خلفكم مباشرةً وفي هذه اللحظة بالذات!! اهربوا واطلقوا العنان لسيقانكم! اهربوا!!!

2. **عندما تقومون بإخراج انقلاب ما والإطاحة بقائد منتخب ديموقراطياً في بلد آخر، افعلوا الأمر بشكلٍ صحيح.** لا تفرضوا على شعوب تلك الدول العيش في ظل ديكتاتورية ترعاها الولايات المتحدة كما فعلنا في التشيلي، إندونيسيا، وغواتيمالا. فهذه الأنظمة أُقيمت أساساً لتمكين الشركات الأمريكية من معاملة الناس بخشونةٍ وقساوة. وقد أدّى هذا النوع من السلوك بشريحة جامحة من الناس إلى التوق لانتزاع أحشائنا. أعلم، أعلم، يا لها من مجموعة أشخاصٍ بكّائين كالأطفال. ومع ذلك، فنحن من يعاني في نهاية المطاف وفي غالب الأحيان. وقد تكون أفضل طريقة لنا لنشر الديموقراطية عدم إبطال القرارات الديموقراطية التي تتّخذها الشعوب في دولٍ أخرى.

3. **دعم الديكتاتوريين القائمين لا يقرّبنا من الشعوب التي تعيش في ظل حكم أولئك الديكتاتوريين ولا يحبّبها بنا.** تاريخنا بالانحياز إلى الشخص غير المناسب واسع. فقد اخترنا من هم فاشلون أكثر من مديرٍ تنفيذي لمحطة تلفزة. وليس صدّام وأفراد العائلة المالكة السعودية سوى بداية قائمةٍ طويلة. وأولئك المقيمون تحت نير هؤلاء الطغاة يعلمون أننا مسؤولون عن معاناتهم.

4. **عندما تسعون إلى دعم ديكتاتورٍ في أمريكا اللاتينية، حاولوا أن تقوموا بالمهمّة دون قتل العديد من الراهبات أو رؤساء الأساقفة.** هذا الأمر يفضي

إلى جعل أبناء البلد، الذين غالباً ما يكونون متديّنين جدّاً، يميلون بشدّة إلى قتل عدد قليلٍ منّا في المقابل.

5. **لدى محاولتكم اغتيال رئيس كوبا، تأكّدوا من حصولكم على النوع المناسب من السيكار المتفجّر.** الفشل بالتخلّص منه بالطريقة الملائمة، بعد قضائنا عقوداً من الزمن نتحمّل أسلافه الفاسدين، يحدّ من مصداقية الموقف الأمريكي.

6. **قد يكون من المُستحسَن اكتشاف السبب الذي حمل مئات الملايين من الناس في القارات الثلاث، والمنتشرين من المغرب على المحيط الأطلسي حتى الفيليبين في المحيط الهادئ، يخافون إسرائيل إلى هذه الدرجة.** الآن، أنا لا أتكلّم فقط عن المُعادين للساميّة وهو أمرٌ يوميٌّ عادي - يمكنكم العثور عليهم في القارّات السبع كلّها، بما فيها الآنتاركتيكا. لا، أنا أتكلّم عن فكرةٍ عامّة تعتبر أن الأمريكيين يدعمون إسرائيل في اضطهادها للشعب الفلسطيني. أنّى لأولئك العرب أفكار مماثلة؟ ربّما من مشهد ولد فلسطيني ينظر إلى حوّامة أباتشي أمريكية تطلق صاروخاً على غرفة نوم شقيقته الرضيعة قبل أن تحوّلها إلى أشلاء. يا للحساسية المفرَطة! بعض الناس يستاؤون من أبسط الأمور! هل هناك أي مبرّرٍ للرقص في الشوارع عندما كان مركز التجارة العالمي ينهار؟

بالطبع، مات العديد من الأولاد الإسرائيليين أيضاً على أيدي الفلسطينيين. وقد تظنّون أن من شأن هذا الأمر أن يحمل كلّ إسرائيلي على الشعور بالرغبة بمحو العالم العربي. لكن معظم الإسرائيليين لا يملكون هذا الشعور. لَمَ؟ لأنهم يعرفون في صميم قلوبهم أنهم مخطئون، ويعلمون أنهم سيقومون بالشيء نفسه الذي يقوم به الفلسطينيون الآن لو كانت الأدوار مقلوبة.

مهلاً، مهلاً، إليكم طريقة لوقف التفجيرات الانتحارية - أعطوا الفلسطينيين مجموعة من مروحيّات الأباتشي وليتواجهوا مع الإسرائيليين. أربعة بلايين دولار سنويّاً لإسرائيل، وأربع بلايين سنة على الفلسطينيين - فليفجّروا بعضهم البعض ويدعوا ما تبقّى منّا وشأنه.

7. **خمسة بالمئة من شعوب العالم (هم نحن) يستخدمون ما يوازي 25 بالمئة من موارد الطاقة العالمية.** أما الأثرياء الذين يشكّلون نسبة 16 بالمئة من العالم، وهم في المقام الأول الولايات المتحدة، أوروبا، واليابان، فيستفيدون من حوالى 80 بالمئة من سلع العالم. بالنسبة للبعض، تنمّ هذه الحالة عن بعض الشره، ويجب تغييرها. وإذا لم يبقَ ما يكفي الجميع لأننا نستأثر بكل شيء، فلا بدّ أن تشعر بعض الشعوب بالاضطراب والقلق. وقد يتساءلون: "كيف نعيش بدولارٍ واحد في اليوم، وهم لا؟". لا لأننا نريدهم أن يعيشوا بدولارٍ واحد في اليوم، ولو كان بمقدورنا لمنحناهم 50 سنتاً في الأسبوع إضافياً بالتأكيد، لكن الله بارك أمريكا ولا يمكننا فعل شيء حيال هذا الأمر.

8. **علينا تقديم جرعة ماء للعالم.** الآن بالذات، لا يمكن لـ 1.3 بليون شخص أن يحصلوا على كوب ماء نظيف. 1.3 بليون؟ هو قدرٌ كبير من الناس العطشى. أرى أن تعطوهم شيئاً من الشراب! إن كان هذا كل المطلوب للحؤول دون قدومهم إلى هنا وقتلي، فإنه يبدو ثمناً ضئيلاً.

نظراً لما نتمتّع به من ثروة وتكنولوجيا، لا عذر لنا ألا نضمن لكلّ شخص على هذا الكوكب العيش في ظلّ ظروفٍ من الأمان، والنظافة. ماذا لو تعهّدنا بتوفير مياه شرب نظيفة لكلّ كائن بشريٍ على وجه الأرض خلال السنوات الخمس القادمة؟ ومن ثمّ وفينا بوعدنا! كيف سينظر إلينا العالم آنذاك؟ ومن يريد قتلنا بعد ذلك؟ كوبٌ واحد من الماء النظيف، وقبل أن تدركوا الأمر، يكونون قد بدأوا يحبّوننا بالفعل! (ولكن لا، لا نقوم بهذه المهمة بترك بكتل أو نستله تشارك فيها، وتقوم من ثمّ ببيع المياه كما دأبت عليه في أماكن عديدة).

9. **يجب أن يكون بمقدور الناس شراء المنتجات التي يصنعون.** مانويل من مونتيري الذي جمع للتوّ سيارة فورد الجديدة لن يكون بإمكانه أبداً شراء تلك السيارة. فقد يؤدّي هذا الأمر إلى أن يبدي مانويل بعض الانفعال حيالنا. أو ما رأيك بعاملٍ في السلفادور يكسب 24 سنتاً من كل 140 دولاراً يتقاضاها فريق الـ إن. بي. آي. في جيرسي؟ أو عمّال المصانع في الصين الذين يجنون 12 سنتاً في الساعة لقاء صناعة تلك الألعاب الفاتنة لديزني أو العمّال الذين

يخيطون الملابس لمصنع "غاب" في بنغلاديش، بمن فيهم النساء الحوامل، والذين يتعرّضون للضرب والإهانة بشكلٍ روتيني لحصول أخطاء في عملية الإنتاج؟

أصبحت أمريكا في وضعٍ مُرضٍ من الثراء عندما كان عمّالها يتقاضون ما يكفي من المال للتمكّن من شراء المنازل والسيارات وأجهزة الستيريو التي يجمعونها بأيديهم. وقد جعلهم هذا الأمر سعداء، مكتفين، ولا تتبادر إلى أذهانهم أفكار ثوريّة أو إرهابية. و لم تكن عبقرية هنري فورد مقتصرة فقط على ابتكار نظام التجميع؛ إنها فكرته على أن يتقاضى كل عامل خمسة دولارات في اليوم (منجم ثراء في تلك الأزمنة). وبإبقاء سعر سيارة الفورد منخفضاً بدرجة معيَّنة، كان بإمكان كل عمّاله شراء واحدة.

لَم تنسى الشركات الأمريكية هذه الأمثولة عندما تذهب إلى الخارج؟ لا شك في أنه قدرهم المشؤوم. فهي تقول إنها تدفع مبالغ زهيدة لعمّالها في الخارج لتبقى أسعار المنتجات منخفضة بالنسبة إلى المستهلك الأمريكي. لكن الحقيقة هي أنها نقلت هذه المصانع إلى دولٍ أجنبية لتتمكّن من الاستئثار بالأرباح. غير أنها قادرة على تحقيق نجاحات كبيرة عندما تقوم بالإنتاج في الولايات المتحدة – هنري فورد ومعاصروه كانوا من الأثرياء. لكن الأثرياء الجدد لا يكتفون بجمع مجرّد ثروة – لديهم رغبة نهمة بجمع أكبر ثروة ممكنة بطرقٍ لاإنسانية. والمقدار الكافي ليس كافياً أبداً بالنسبة إليهم. ولا بدّ أن يؤدّي هذا النّهم إلى أن يفقد المزيد منا أرواحهم على يد إرهابيين غاضبين من العالم الثالث. لنجعل الأثرياء يتقاسمون ثرواتهم مع أولئك الذين يقومون بالإنتاج ما وراء البحار. هي طريقةٌ جيّدة للإبقاء على ما تبقّى منّا آمناً.

10. **ليس على أيّ ولد أن يكون عاملاً كادحاً مستعبَداً.** تعلم كيف هم الوالدان – يريدون أبناءهم في المدارس، لا في مصانع ذات أجور منخفضة. فبينما ترسل ابنك إلى المدرسة وفي حافظة طعامه موزة، يهرول في الإكوادور أولادٌ بسن العاشرة بجانب والديهم إلى مزارع الموز حيث لا يتقاضون شيئاً! وإذا تذمّر أحدهم، قامت الشركة بطرد الأولاد وتوقّعت من الوالدين أن يقوموا بأعباء العمل الإضافية. من تراه يدفع ثمن ذلك برأيكم عندما يصبح هذا الولد راشداً حانقاً؟

11. **عندما نقتل مدنيين، لا يجب علينا دعوة هذه الحالة "أضرار ملازِمة"**. عندما يقتلون مدنيين، ندعو هذا العمل إرهاباً. لكننا نُسقط القنابل على العراق، ونقتل أكثر من 6.000 مدني عراقي. ومن ثمّ نعتذر عن "سفك الدماء". تقصف "القاعدة" مركز التجارة العالمي والبنتاغون وتقتل 3.000 شخص، فندعو هذا العمل إرهاباً. ولكن بأي حقٍّ نسقط القنابل على الشعوب المدنية في العراق؟ هل كان أولئك المدنيون يهدّدون حياة أيٍّ منّا؟ أعتقد أن الحالة الوحيدة التي يمكنك فيها قتل أحدهم هي عندما يكون بصدد قتلك - أم أنّ أمراً ما فاتني؟

بالطبع، من الصعب عدم قتل المدنيين حتى عندما تُصاب قنابلكم الذكيّة بالغباء - في العراق، ضلّت قنبلة واحدة من أصل عشر مسارها، فنسفت المنازل، والأسواق، والأفران عوضاً عن أنظمة الدفاع الصاروخية. تبّاً، حتى إن بعض القذائف الصاروخية الذكيّة لم تسقط في العراق - فقد اندفعت نحو إيران، تركيا والعربية السعودية. آسف بشأن ذلك!

12. **عندما تعلنون أن "مهمّتكم أُنجزت" تأكّدوا من حقيقة الأمر**. وإلا، قد ينتهي بكم الأمر إلى تكبّد مزيد من الجنود القتلى. قال كلٌّ من كنيدي، جونسون، ونيكسون إن الشيوعيين الفييتناميين كانوا فارّين، مهزومين أو مدمَّرين - وهناك على الدوام "ضوء في نهاية النفق". وبعد تكبّدنا 58.000 قتيل أمريكي - فضلاً عن أربعة ملايين فييتنامي، كمبودي ولاووسي - اكتشفنا أخيراً أن السبيل الوحيد "لإنجاز المهمّة" هو الخروج من هناك. وما زال علينا الاعتذار عن المجازر التي ارتكبنا. ويخالجني شعورٌ بأن تلك "المهمّة" لم ينسها بعد فقراء العالم.

13. **الطريقة الموثوقة الوحيدة لجعلنا آمنين بالفعل هي تدمير أسلحة الدمار الشامل التي ما زالت تحتفظ بها الدولة التي تسبّبت بمقتل عدد من الناس بها أكبر مما تسبّبت به كل الدول الأخرى مجتمعةً**. أجل، دعونا ندمّر أسلحة الدمار الشامل التي نملك، هنا بالذات في الولايات المتحدة. ولنستدعِ من ثمّ هانس بليكس للتحقّق من إتمام العمليّة. وفقط عندما نفكّك كل قنبلة ذريّة

ونجعل منها شفرات محراث من الألومينيوم المستنفَد يكون لنا الحق إذاك بإبلاغ كوريا الشمالية، الهند، باكستان، إسرائيل، وبقيّة الدول بأنها ليست بحاجة إلى أسلحة مماثلة. فنحن لن نكون مثلاً يُحتذى فحسب، بل سنوفّر كثيراً من المال أيضاً. وسيتبقّى لدينا قوةً نارية من التقنيات العالية تمكّننا من تحويل أي شعبٍ نختار إلى رماد أو تجريد أيّ دولة من سلاحها.

14. **يجب علينا التنصّل فوراً من سياسة الحرب الوقائية التي يتّبعها بوش.** علينا إغلاق باب الشرور الجنوني هذا بإحكام والذي فتحه بوش وتشيني – فالنظرية القائمة على أخلاقيّة قتل الناس إذا أرادوا مهاجمتنا ليست الطريقة الصحيحة لجعل بقيّة العالم يتحرّر من توتّراته.

15. **كفّ عن التصرّف وكأنك لصٌّ يقول "يداك إلى الأعلى، سلّم سلاحك، والآن، سلّمنا نفطك".** فقط اطلب النفط مباشرةً واحذف من قاموسك هراء بناء الدول أو الديموقراطية. ستكون خطوةً خاطئة بالتأكيد، ولكنها قد تكون أقل كلفة وأكثر نزاهةً – ولن يكون علينا قصف المدنيين بشكلٍ عشوائي وتحويلهم إلى أشلاء.

16. **توقّف عن إرهاب المواطنين الأمريكيين بقانون باتريوت.** عندما تفعل ذلك، اقرأ المقطع 1984 الذي وضعه جورج أورويل وكفّ عن تسمية الأشياء بطرقٍ تذكّرنا بالديكتاتوريين التوتاليتاريين (الاستبداديين). وإن لم يكن لديك الوقت لقراءته، إليك الفقرات المفضَّلة لديّ، وما عليك سوى إلصاقها على برّادك:

"هدفا الحزب إخضاع الأرض كلّها والقضاء نهائيّاً على كل إمكانية للتفكير الحرّ".

"كل ما كان مطلوباً منهم حسٌّ وطنيٌّ فطري يمكن اللجوء إليه متى كانت الحاجة ماسّة لإقناعهم بساعات عملٍ أطول أو بحصصٍ أقل".

"يمكن جعلهم يوافقون على الانتهاكات الأكثر فظاعة للحقيقة لأنهم لم يدركوا أبداً، وبشكلٍ تام، فداحة ما كان يُطلب منهم، ولم يكونوا مهتمّين بما فيه الكفاية بما يواجهه الناس عامّةً ليلاحظوا ما كان يجري".

"كان الرأسماليون يملكون كل شيءٍ في العالم، وكان الآخر عبداً لهم. كانوا يملكون كل الأرض، وكل المنازل، وكل المصانع، وكل المال. وإذا عصى أحدهم الأوامر كان بإمكانهم رميه في السجن أو طرده من عمله وجعله يموت جوعاً. وعندما كان يتكلّم شخصٌ عادي إلى رأسمالي، كان عليه التذلّل والانحناء له، ونزع قبّعته ومناداته "يا سيّد"".

17. **ابدأوا بقصف الشعوب ذات البشرة البيضاء.** ما أعنيه الآن بالذات هو أنه ليس علينا فقط مهاجمة الأمم ذات البشرة الداكنة والشعوب غير المسيحية. فقد كان يجدر بنا قصف فرنسا وألمانيا أيضاً عندما ضربوا بتوجّهاتنا عرض الحائط!

18. **وأخيراً... لنضرب مثلاً يُحتذى.** هل تذكر تلك الأمثولة عن معاملة الناس بالطريقة التي ترغب بأن تعامَل بها؟ هي ما زالت صالحة! فعندما تعامل الناس جيّداً، لا بدّ وأن يبادلوك الودّ بنسبة 99.9 بالمئة. ماذا لو كانت سياستنا الخارجية مرتكزة كلّياً على هذا المبدأ الجديد؟ ماذا لو كنّا معروفين بأننا الدولة التي تسعى في المقام الأوّل إلى مساعدة الناس عوضاً عن السّعي أوّلاً إلى استغلالهم للعمل أو لمواردهم الطبيعية؟ ماذا لو كنّا معروفين بأننا الدولة التي تشارك الآخرين ثروتها التي لا تُحصى ولا تُعَدّ - مشاركة الآخرين بها إلى حدّ التخلّي عن بعض الكماليات التي اعتدنا عليها؟ ما سيكون آنذاك شعور الفقير واليائس حيالنا في كل مكان من الكرة الأرضية؟ ألن يكون من شأن ذلك تقليل فرص أن نكون ضحايا الهجمات الإرهابية؟ ألن يكون عالَمٌ أفضل للعيش فيه؟ أو ليس هذا هو العمل الصائب؟

لكن في الواقع، قلّةٌ هم الناس المستعدّون لتفجير أنفسهم بهدف قتلكم. أجل، فإن كل من هو مستعدٌ للموت في سبيل قضيّته قد ينجز مهمّته بنجاح بالرغم من الصعاب، لكن أولئك الناس موجودون في كل مكان - وطالما كانوا موجودين. فـ "الحرب على الإرهاب" لا يجب أن تكون حرباً على أفغانستان أو العراق أو كوريا الشمالية أو سوريا أو إيران أو أي مكان آخر قد يتمّ اجتياحه. يجب أن تكون حرباً على دوافعنا الشرّيرة.

كلّنا نحتاج إلى أخذ نفسٍ عميق والتفكير مليّاً. كم يتطلّب الأمر منك لاتخاذ قرار بقتل أحدهم؟ ماذا بشأن قتل 3.000 شخص؟ أو أربعة ملايين؟ هذا صحيح - يتطلّب الأمر شيئاً مرعباً لا بدّ وأن يكون قد أربك ذهنك. والآن، إذا كنت تعرف ما يتسبّب بظهور الإرهابيين، وتدرك أنك وأنا من يتسبّب بظهورهم، أوليس من الفطرة السليمة إيقاف هذا الأمر؟

أنا لا أقول إن أسامة أو أيّ شخص آخر، يجب أن يكون حرّاً طليقاً. في الواقع، كان هذا الهدف الأول - اعتقال هذا الهجين! ولكن، ما الذي تنجزوه إن أنتم أطلقتم حرباً بعثرت عناصر "القاعدة" في مختلف أنحاء الكرة الأرضية؟ وما هي الرسالة التي توجّهون إلى الشعوب المسلمة الذين عاشوا في ظل حكوماتٍ ظالمة قمتم، بين الحين والآخر، بمساعدتها لإبقائها في سدّة الحكم.

أجل، هي مرحلة تكاثر في أرض الإرهاب، ونحن من يساهم في نشره في كل المنطقة. أهكذا نجعل العالم أكثر أمناً؟

الأمن الحقيقي الوحيد ينشأ من جعل كل الناس، هنا وفي مختلف أقطار العالم، قادرين على الحصول على متطلّباتهم الاساسية والحلم بحياةٍ أفضل. أقلّه، علينا التأكد من أننا لسنا من يسرق منهم هذا الحلم.

الفصل السادس

يسوع دبليو. المسيح

مرحباً. الرّب هنا.

آمل ألا تمانعوا مقاطعتي لكم قراءة كتاب مايك ببضع كلمات منّي، أنا خالقكم الكلّي القدرة، ولكن تذكّروا، أنا الرّب الإله - فمن سيوقفني؟

سمعتم على الأرجح اسمي تتناقله الألسن منذ مدّة غير بعيدة، وإن أكثر ما يزعجني في الواقع هو ما تتناقله الألسن. والأمر الآخر الذي يضعني بالفعل في أجواء قبيحة تعود للعهد القديم هو ذكر اسمي بغير احترام. وهناك شخصٌ واحد يستحضرني كلّما سنحت له الفرصة بذلك. فهو يعرّف عن نفسه أمامكم بأنه رسولي الخاص. تذكّروا، أنا أرى وأسمع كل شيء، وإليكم بعض ما سمعت من هذا الرجل:

"لا يمكنني أن أكون حاكماً إن لم أكن مؤمناً بخطة إلهية تُلغي كل المخططات الإنسانية".

"أؤمن بأن الله يريدني أن أكون رئيساً".

"أُحسّ بالقوّة والسلطة عندما أعرف أن ملايين الأمريكيين ممّن لن ألقاهم أبداً... يرفعون اسمي إلى الكلّي القدرة كل يوم ويطلبون منه أن يساعدني... صديقي جيانغ زيمين في الصين لديه حوالى بليون ونصف بليون مؤيّد، ولا أعتقد أن بإمكانه قول ذلك. وصديقي، فلاديمير بوتن، أنا أميل إليه، ولكن لا يمكنه قول ذلك".

هل بإمكانكم تصديق هذا الأحمق؟ أنا أحبّ في الواقع بوتن وجيانغ كثيراً. هل تظنّون أنني أستمرّ بخلق هذا العدد الكبير من الصينيين والروس لأنني لا أحبّهم؟

لديّ اعتراف: أُخفق في بعض الأحيان. وفي ما يتعلّق بالإنسان الذي تعرفون باسم جورج دبليو بوش، فهو أحد الذين أفلتوا من يدي بالفعل.

ولست متأكّداً تماماً ممّا حدث. فأنا أعتمد عمليّة ابتكارية صارمة إلى حدّ ما، ومن النادر أن تصبح أحد مخلوقاتي مجرّد قطعة خردة. ولكني عندما أُخفق يكون إخفاقي كبيراً. خذوا بومباي مثالاً على ذلك - ما زلت غير عالمٍ بما جرى هناك. فكنت أقوم باختبار مزيجٍ جديد من الكبريت وثاني الأكسيد والكولا الخالي من السكّر، وفجأةً حدث الانفجار! على الأقل كنت بصدد ابتكار أمر ما مفيد للسياحة (على عكس جزيرة أطلنتيس التي سبّبت لي حرجاً كبيراً). ومن ثمّ هناك بنغلاديش. فقد كنت أحاول تحديد مستويات الأرض والمياه بالشكل المناسب ولكنني أخطأت في الحساب. تعلم أنك عندما تهيّئ السرير، وبعد أن تكون قد وضعت كل شيء في مكانه، طالما يفاجئك ذلك الهدب النافر الذي تعمد إلى إدخاله تحت الفراش، أليس كذلك؟ هكذا هي حالة بنغلاديش. والمشكلة، كلّ المشكلة تكمن تحت سطح البحر. وكل تلك الفيضانات لم تكن يوماً وسيلةً لأعبّر فيها عن غضبي.

وأجل، أرغب بشدّة لو أنني كنت قد وضعت كلّ أعينكم في مؤخّرة رأسكم. عيبٌ قبيح في التصميم، أليس كذلك. وأنتم على حق أيضاً - لا يوجد ساعات كافية في اليوم. فعندما خلقت السماوات والأرض، كان عليّ جعل محوركم يدور بشكلٍ مختلف قليلاً ومنحكم على الأقل خمس ساعات إضافية من ضوء النهار لتنجزوا كافة مهامكم والعودة إلى منازلكم في الوقت المحدّد لحفلة الشواء. كما وأن ساعتين إضافيّتين من النوم كل ليلة هو ما يتمنّاه الجميع. أليس كذلك؟ وهناك قليلٌ من الأمور الأخرى التي كنت أودّ أن تكون بطريقة مختلفة: كنت لأقذف "المحطة الإذاعية" بسهمٍ مفاجئ يوقع الرهبة في النفوس. كنت لأدخل بعض الوعي والإدراك إلى رأس توني بلير. وكنت لأسدّد ضربةً قويّة إلى كل نوادي كرة القدم.

صدّقوني، عندما يتسنّى لي إعادة ترتيب الأمور مجدّداً (بعد أن تكونوا قد فجّرتم العالم)، سأجعل العالم كما يجب أن يكون.

ولكن، ما عليّ فعله في الوقت الحاضر بهذا الشخص بوش؟ أسمعه يقول دائماً إنه "يتصرّف من قِبَلي". لنوضح أمراً واحداً: لا يتكلّم هذا الرجل باسمي أو باسم أيٍّ من الموجودين هنا معي. فأنا أتكلّم عن نفسي، أو عندما أتعب، أرسل إليكم نبيّاً واحداً أو اثنين للتذمّر من أعمالكم باسمي. وأرسلتُ لكم ابني ذات مرّة ممّا أقام الدنيا و لم يقعدها بعد. ولا تجري الأمور كما يشتهي، وبصدق، فإن علاقتنا ما تزال متوتّرة بعض الشيء. فقد قال لي بعبارات غير أكيدة إنه لن يعود أبداً إلى الأرض، لا في مجيئه الثاني ولا لثانية واحدة. "أرسل جبرائيل"، هذا كل ما يقوله لي عندما أتطرّق إلى الموضوع.

أكره أن يكون عليّ النزول إلى الأرض بنفسي لتقويم الأمور لأنني عندما أظهر لن يكون المشهد جميلاً. لم يُرسَل جورج دبليو بوش من قِبَلي لأيّ نوعٍ من المهام. و لم يُرسَل للإطاحة بصدّام، و لم يُرسَل لقتال بعض محاور الشرّ، و لم يكن مفترَضاً به أن يكون رئيساً. لا أملك تفسيراً لكيفيّة حدوث ذلك. فقد استجبت في بادئ الأمر لكل صلواتكم وأزحت والده عن الرئاسة. ومن ثمّ، عندما ظهر ابنه بعد ثماني سنوات، استجبت ثانيةً لكل صلواتكم ونال ذلك الرجل غور معظم الأصوات. ومثلكم تماماً، لم آخذ بعين الاعتبار تدخّل أيّ كائنات عُلويّة أو محاكم عُليا. وكانت هناك أيضاً المسألة الصغيرة المتعلّقة بإبليس الذي اتخذ شكل من تدعو نفسها "كاترين هاريس". وكم من المرّات قلت لكم أن "بعلزبوب" يتنكّر بمظاهر عديدة (جيم بايكر، أنطونين سكاليا) ويعتمد أساليب مخادعة ومضلّلة؟

في البدء، لم أقلق في الواقع بشأن بوش الأصغر هذا لأنني، وفقاً لمخطّطي الإلهي، خلقته ليكون أحد أثرياء حفلات الأنس والسّمر. وفي هذا المزج العظيم للكون، سمحت بكل أنواع الناس – وخلقت يومياً ما بين 200 و300 شخص لحفلات الأنس والسّمر (وأعداداً أكبر خلال فترات الراحة في فصل الربيع). فأنتم بحاجة إليهم بالمقدار عينه الذي أنتم بحاجة إلى علماء الصواريخ وعازفي الفيولونسيل الذين أرسلهم لكم. فهؤلاء الناس حاسمون لاستمرارية هذه الحفلات – هم يُضحكون

الناس؛ هم يشكّلون الفرق الموسيقية؛ هم يشترون المشروب لمن هم قاصرون. ومن ثمّ، وبعد الحفلة، يكون عليهم قتل أحدهم عرَضاً على الطريق لأنني بحاجة إلى الأرواح هنا بشكلٍ دائمٍ ودوري. فهكذا تسير الأمور، وكان جورجي الصغير يُبلي بلاءً حسناً إلى أن كان على ذلك البرنامج الاثني عشري الاستمرار وجعله مشوَّشاً.

يا إنسان، أكره تلك التعابير "المُبهَمة" - إي. إي، إن. إي، أو. إي، جي. إي - فكلّها تستحضر اسمي للإفاقة من سكر، والتوقّف عن تناول الطعام، والكف عن المقامرة. وفجأةً، لا مزيد من الخطأة! ليس هذا المقصود. أحتاج إلى خطأة يرتكبون الآثام ومن ثمّ يتوبون ويخطئون مجدَّداً دون أن يبتعدوا عنّي بحيث يمكنني الحصول على أعمالٍ تكفيرية منهم ومن ثمّ أعمالٍ صالحة. وعندما يكفّون عن ارتكاب الآثام ويبدأون "بتسليم" ذواتهم لـ "قدرةٍ أسمى"، فإن كل إمكانيةٍ للإدانة واستحقاق لنار الجحيم تزول.

حسناً، هذا ما حدث لفتى حفلات الأنس والسّمر. أصبح دبليو (بوش الابن) خارج المخطط الإلهي. وبذلت قصارى جهدي لجعل حياته مُخزيةً قدر الإمكان. وتدبّرت أمر فشل كل مشاريعه في ميدان العمل. وتأكدت من أن فريق البايسبول الذي ينتمي إليه قد فشل فشلاً ذريعاً. حتى إنني ظهرت له في الحلم في إحدى الليالي وأقنعته بمقايضة سامي سوزا من غير تردّد، ومن ثمّ، جعلتُ سوزا ملكاً في وطنه عندما انضمّ إلى فريقه فيكون نصب عيني دبليو ذِكراً غير مستحَبّ.

لكن لا شيء يمكنه هزم جورج دبليو. لذا، وضعتُ والده في البيت الأبيض، مفكّراً، كيف سيتخطّى جورجي الصغير هذه المرحلة؟ وقاد هذا الأمر الأخ نيل إلى فضيحة إس إند إل، وحمل الأخ مارفين على الاختباء.

لكن، وبالرغم من ذلك، لم يتأثّر جورج على الإطلاق وعرف كيف يفيد من الأوضاع. فأصبح حاكماً لولاية تكساس وكان يقرّر موعد موت الناس. لكن هذا واجبي! لا أدري، ربّما بدأت أطعن في السن، ربّما بدأت خطواتي تتثاقل، لكنني لم أعدم وسيلة - ولا حتى جعله يفشل في الانتخابات.

وسرعان ما أصبح مقتدراً ويحكم العالم. وتخلّى العديدون منكم عنّي. وتوقّفت الصلاة وبدأ التجديف. أجل، أجل، لديّ أحاسيس أيضاً. وهو أمرٌ مؤلم.

مؤلمٌ بالفعل. إلى من ألجأ في وقت الحاجة؟ الروح القدس؟ لا فائـــدة منـــه، فهـــو منشغلٌ على الدوام، ولا يترك لي أبداً عنوان تواجده.

لذا، فلكم أنتم القليلون الذين ما زلتم تؤمنون بي أؤكّد ما يلي:

1. أنا هو الرب الإله، وهو ابن جورج وليس ابن الله. سأجعله يمضـــي الأبديّـــة بركن سيارات الأشخاص المهمّين في الجحيم ما إن أضع يديّ عليه.
2. لم آمر بوش باجتياح أيّ دولة. ما زال من الخطأ قتل كائنٍ بشري ما لم يكونوا يهدّدون بقطع حلقكم بسكّينٍ كبير وتلتمسون منهم الرحمة، ولم يبالوا بطلقة نارية محذّرة. قتل الناس هو من مهامي، وقد أضع حدّاً هـــذه الليلـــة لحيـــاة 10.000 ممّن سخروا مني!
3. لا أريد أن يصلّي التلاميذ لي في صفوفهم. ادّخروا الصلاة للكنائس وأوقـــات النوم – هذا كافٍ للأطفال الصغار. تستمرّون بإجبارهم على تقديم الصلوات لي ممّا قد يحملهم على كرهي. كفّوا عن ذلك!
4. المُضْغَة هو المضغة (المراحل الأولى من النمو)، والجنين بعد الأسبوع السابع هو جنينٌ حتى الولادة، والطفل هو طفل. هكذا جعلتُ الأمور. ويصبح الطفـــل كائناً بشرياً. وأنتم البشر صعب التعامل معكم بحيث إنني لا أريد المزيد منكم حولي. وأنا لا أهتم في الواقع بحياتكم الجنسيّة ما دمتم متـــوافقين وراشـــدين. فقط أبقوا هذا الأمر لأنفسكم، اتّفقنا؟
5. أمرٌ واحدٌ آخر بشأن الخلق: دعوني أقول لكم وللمرّة الأخيرة إنني لم أبتكـــر "عملية الخلق" ولم أدعمها. هو مفهومٌ زائفٌ كلّياً، تماماً كما هو مشروب نيو هامشاير غير الكحولي. أنا شخصٌ قائمٌ على التطـــوّر بـــالرغم ممّـــا يدّعيـــه النياندرتاليون باسمي. من برأيكم خلق العِلم؟ وحدها قدرة عليا يمكنها القيـــام بأعمالٍ معقّدة وعجائبية مماثلة.
6. لا أوافق على عرض لوحاتٍ ونصب تذكارية نُقشت عليها الوصايا العشـــر، وغيرها من المواد الدينية، في المباني العامّة. ماذا عن وصيّتي الصـــغيرة الحاديـــة عشرة؟ دعوا إيمانكم الديني الراسخ لأنفسكم.

7. إليكم نقطتين للتوضيح بقدر ما جاء في تلك الديانات الأخرى. أوّلها، لن يكون هناك أبداً اثنتان وسبعون عذراء تنتظرنَكم هنا في العلى. كانت لنا عذراءٌ واحدة هنا هي والدة يسوع، ولن تقرَبوا هذا المكان أبداً. لذا، ادّخروا لأنفسكم أصابع الديناميت وأشلاء الأجساد المتفجّرة لأنكم لن تحظوا أبداً بمترلٍ في بيتي. وثانياً، لا وجود لـ "أرض الميعاد". تلك الرمال التي توازي حمولةَ شاحنة كبيرة قمت بإفراغها في مساحة طويلة ضيّقة ومروّعة بين البحر المتوسّط ونهرٍ الأردن؟ لم يكن يُفترَض بأحد العيش عليها، لذا كفّوا عن التقاتل لأجلها وجنّبوا العالم نهايةً محتَّمة. لم أهَب تلك الأرض لشعب إسرائيل، لم أهَب تلك الأرض لمحمد صلّى الله عليه وسلّم، وإذا استمرّيتم بالتعاطي معي وكأنني مالك الأرض فإني سأوطّن فيها النزاع مرّةً واحدة وإلى الأبد، لذا كفّوا عن عملكم هذا.

8. وأخيراً، لا مزيد من هذا الهراء "الله يبارك أمريكا". ما الذي يجعلكم تظنّون أنكم الوحيدون المبارَكون دون غيركم؟ لا أحبّذ لعبة التفضيلات هذه. لا تسمعون أحداً في دجيبوتي يقول "الله يبارك دجيبوتي". لم أسمع أحداً على الإطلاق يتفوّه بهذه الكلمات "الله يبارك بوتسوانا". فلتكن الأمور واضحة - الله لا يبارك أمريكا، الله لا يبارك أحد، الله حصل على وقت للراحة وارتشاف الشاي ولا وقت لديه لتتمّ مقاطعته بهذا الكلام الفارغ عن الوطنيّة. استمرّوا بمباركة أنفسكم ولا تستعملوا اسمي لتشعروا بالتفوّق على الجميع. لستم كذلك. أنتم في الواقع من الشعوب الأكثر غباءً على الكوكب. ألا تظنّون ذلك؟ سمّوا لي اسم رئيس المكسيك. أرأيتم؟ اسألوا أي شخصٍ آخر في العالم عن اسم قائد الدولة المجاورة للدولة التي يقيم فيها فيقول لك عن اسمه. الله يبارك أمريكا؟ لا بل الله يراقب أمريكا.

إسمعوا، أنا أطلب بعض المساعدة هنا. أدرك أنه كان يتوجّب عليّ وضع حدّ لهذا الجنون بعد أيامٍ قليلة من 11/9 عندما قال جورج دبليو بوش على مذبح الكاتدرائية الوطنية إن مهمّته تقضي "بتخليص العالم من الشرّ". وبدأ العالم يصدّق أنه سيقوم بذلك. حسناً، لا يمكنكم تخليص العالم من "الشرّ" لأن الشرّ ضروري

لإظهار الخير. فإن لم يكن هناك أي شرّ، لما كنت أنا. والشرّ عنصرٌ أساسي لكم أيها البشر، وهو وسيلة لي لاختباركم، وتحدّيكم، ومنحكم فرصة لاتّخاذ القرار بملء إرادتكم سواءٌ اخترتم الشرّ أو الخير.

تريدون التخلّص من بعض الشرّ؟ لَم لا تبدأون بإزالة جزءٍ من الشرّ الذي خلقتموه. فترك الناس يعيشون في الشوارع بدون مأوى هو ضربٌ من ضروب الشرّ. والسماح للملايين من أولادكم التضوّر جوعاً هو الشرّ بعينه. وإمضاء ساعات لا متناهية في متابعة برامج الواقع على شاشات التلفزة بينما كان بإمكانكم إمضاء وقتٍ في ممارسة الجنس الوسخ مع من تحبّون، هو الشرّ المطلَق.

تريدون مقاتلة فاعل شرّ؟ اجلد نفسك في الغرفة لمدة ساعةٍ من الزمن. واخرج من ثمّ واهزم الشرّ القائم في البيت الأبيض.

هذه هي رسالتك. اخذلني وسيتمّ تحميصك.

هذا كل شيء. الله تكلّم.

والآن عودة لما تبقّى من الكتاب...

الفصل السابع

هوراتيو ألجير يجب أن يموت

لعلّ النجاح الأكبر في الحرب على الإرهاب كان قدرتها على صرف انتباه الأمّة عن حرب الشركات القائمة ضدّنا. ففي السنتين التاليتين لهجمات 11/9، كانت الأعمال الأمريكية في هياجٍ مترنّح جعلت الملايين من الأمريكيين العاديين يغدون دون مدّخرات، ومعاشات تقاعدهم دون قيمة تُذكَر، وآمالهم بمستقبلٍ مشجّعٍ لعائلاتهم مبدّدة أو محطّمة. وحاول لصوص الأعمال (وشركاؤهم في الجُرم من أعضاء الحكومة) الذين عرّضوا اقتصادنا للخطر تحميل الإرهابيين مسؤولية هذا الأمر، وحاولوا إلقاء اللوم على كلينتون، وإلقاء اللوم علينا.

ولكن في الواقع، تقع مسؤولية الدمار بالجملة لمستقبل اقتصادنا على جشع الشركات المجاهدة. وهناك مخطَّطٌ رئيسي، أصدقائي، ولكل شركة مخطّطها الرئيسي، وكلّما سارعتم إلى التخلّص من عدم رغبتكم بتصديق الأمر أو القلق من أن تصديقه سيضعكم في صفوف المؤمنين بنظرية المؤامرة، كلّما كانت إمكانية إيقافهم أقرب إلى التحقيق. فهدفهم الوحيد التحكّم بحياتنا والتعهّد، في نهاية المطاف، بالإخلاص والولاء لا لعلَمٍ أو لمفاهيم وهميّة حول الحرّية والديموقراطية، بل لإملاءات سيتيغروب، إكسون، نايكي، جنرال إلكتريك، جنرال موتورز، بي إند جي، وفيليب موريس. فمدراؤها التنفيذيون هم من يحظون باهتمام الإعلام، ويمكنكم التعبير عن مشاعركم من خلال التصويت والاحتجاج، ولكن واجهوا الحقيقة: لم تعودوا من يتحكّم بالأمور. تعلمون ذلك وهم أيضاً، ولم يبقَ سوى إصدار قانون بهذا الشأن: إعلان ولايات الشركات الأمريكية.

"نؤمن بأن هذه الحقائق هي من البديهيات: كلّ الرجال والنساء وأبناؤهم القاصرون خُلقوا متساوين في خدمة الشركة، يزوّدونها باليد العاملة دون جدل، ويقبلون التعويض دون تذمّر، واستهلاك منتجاتها دون تفكير. وبدورها، تعمل الشركة للخير العام، متولّيةً الدفاع عن الأمّة، ومستلمةً القسم الأكبر من الضرائب المُجباة من الشعب...".

لم يعد يبدو الأمر مضحكا ومنافياً للعقل بعد الآن، هل هو كذلك؟ فقد حدث أمام أعيننا. وأُجبرنا بالقوة على تناول بعض "العقاقير" المهدّئة فيما تقوم عصابة الرؤساء التنفيذيين هذه التي لا تتمتّع بغطاءٍ قانوني بسلبنا. وأحد هذه العقاقير يُدعى الخوف، ويُدعى الآخر هوراتيو ألجير.

ويعمل العقار المهدّئ المدعو خوف بالطريقة التالية: يتمّ إعلامكم مراراً وتكراراً بأن أشخاصاً سيّئين ومرعبين سيقومون بقتلكم، لذا ضعوا كل ثقتكم بنا، بقادة شركاتكم، ونحن سنحميكم. ولكن، بما أننا نعلم ما هو الأفضل لكم، لا تسألونا إن نحن أردناكم أن تدفعوا ما خُفِّض لنا من ضرائب أو إذا قرّرنا تخفيض المساعدات الصحّية أو رفع كلفة شراء منزل. وإن لم تصمتوا وتلتزموا بالمطلوب التزاماً كاملاً سنقوم بطردكم - وحاولوا إذاك العثور على وظيفةٍ جديدة في الأجواء الاقتصادية هذه، أغبياء!

هذا الهراء مرعبٌ جداً، ونحن نقوم بالطبع بما يُطلب منا، قلقين على أموالنا الضئيلة وتعترينا الشكوك في مهاجعنا الموحشة، رافعين أعلامنا الأمريكية الصغيرة لنبرهن لرؤسائنا في العمل أننا نؤمن بحربكم على الإرهاب.

أما العقار المهدّئ الآخر فهو أكثر مدعاةً للبهجة والسرور. فقد وُصف لنا في بادئ الأمر على صورة أولادٍ في حكايات الجنّ - لكن حكاية جنّ يمكن تحقيقها في الواقع! هي أسطورة هوراتيو ألجير. كان ألجير أحد الكتّاب الأمريكيين الأكثر شعبيّةً في أواخر القرن السابع عشر (أحد كتبه، للصّبية، كان يُدعى الفتى المُلام). وامتازت روايات ألجير بشخصيات من طبقات اجتماعية فقيرة تمكّنوا، من خلال العزم والتصميم والعمل الجادّ، من تحقيقٍ نجاحاتٍ هائلة في أرض الفرص اللامحدودة هذه. وكانت الرسالة أن بإمكان أيّ شخص النجاح في أمريكا بشكلٍ كبير.

ونحن مدمنون على هذه الأسطورة السعيدة في بلدنا. والناس في مكانٍ آخر من الديموقراطيات القائمة على الصناعة مكتفون بعيش حياة جيّدة بما فيه الكفاية تمكّنهم من دفع مستحقّاتهم وتربية عائلاتهم. وللقليلين الرغبة الجامحة بجمع ثروات. فإذا كانوا يزاولون مهنةً تمكّنهم من العودة إلى منزلهم بعد سبع أو ثماني ساعات من العمل، وتوفّر لهم عطلةً مدفوعة تتراوح مدّتها بين أربعة وثمانية أسابيع سنويّاً، فهم سعداء نسبيّاً. وهم أكثر سعادة إذا كانت تؤمّن لهم حكوماتهم العناية الصحّية، والتعليم المجّاني الجيّد، ومعاش تقاعدٍ يضمن حياةً لائقة في سنّ الشيخوخة.

وقد يكون للبعض بالتأكيد خيالاً جامحاً لجمع مقادير كبيرة من المال، لكن معظم الناس خارج الولايات المتحدة لا يعيشون حياتهم بالارتكاز على حكايات الجنّ. فهم يعيشون في إطار الواقع حيث القليلون يغدون أثرياء، وأنتم لن تكونوا من بينهم. لذا، تعوّدوا الأمر.

بالطبع، فإن الأثرياء في تلك البلاد حريصون جداً على ألا يُفسدوا التوازن. وبالرغم من وجود أوغاد جشعين بينهم، إلا أن هؤلاء يخضعون لبعض القيود. ففي القطاع الصناعي على سبيل المثال، يجني الرؤساء التنفيذيون البريطانيون بنسبة أربعٍ وعشرين مرة أكثر من العاملين العاديين – الفارق الأكبر في أوروبا. أما الرؤساء التنفيذيون الألمان فيجنون بنسبة خمس عشرة مرة أكثر من الموظّفين، بينما يجني الرؤساء التنفيذيون السويديون بنسبة ثلاث عشرة مرة أكثر. لكن هنا في الولايات المتحدة، فإن الرئيس التنفيذي العادي يجني بنسبة 411 مرة أكثر من العمّال الكادحين. ويسدّد الأثرياء الأوروبيون الضرائب، التي تشكّل 5،6 بالمئة من العوائد، دون كثيرٍ من التذمّر وإلا جعلهم الناس يدفعون المزيد.

أما في الولايات المتحدة، فنخاف التعبير عن آرائنا. يجب علينا وضع رؤسائنا التنفيذيين في السجون عندما يخالفون القانون. غير أن سعادةً غامرة تعترينا لدى خفض ضرائبهم حتى وإن ارتفعت ضرائبنا!

لَمَ كل هذا؟ لأننا نشرب مرطّب الـ "كول – إيد". فنحن نشتري بالإضافة إلى العقاقير المهدّئة كذبة تقول إنه بإمكاننا أيضاً أن نصبح أثرياء يوماً ما. لذا، لا نريد القيام بأيّ عمل قد يلحق الأذى بنا عندما نصبح من أصحاب الملايين.

فالجزرة الأمريكية مدلاّةٌ أمامنا طيلة حياتنا ونعتقد بأننا على وشك التمكّن من الحصول عليها.

هو أمرٌ قابلٌ للتصديق إلى حدّ بعيد لأننا نراه يصبح حقيقةً واقعة. شخصٌ مُعدَمٌ يغدو من الأثرياء. وهناك الآن مزيدٌ من أصحاب الملايين أكثر من ذي قبل. وهذا الازدياد في عدد أصحاب الملايين هو لصالح الثراء بحدّ ذاته لأنه في كل مجتمع شخصاً واحداً على الأقلّ غدا ثريّاً وهو يتبختر في مشيته وكأنه يقول: "انظروا! لقد بتّ غنيّاً! يمكنكم أنتم أيضاً أن تكونوا كذلك!".

هي هذه الأسطورة المغرية التي أدّت إلى ملايين من الناس السّاعين إلى أن يصبحوا من المستثمرين في سوق الأسهم خلال التسعينات من القرن الماضي. فقد عاينوا مدى الثراء الذي بلغه الأثرياء في الثمانينات من القرن الماضي وفكّروا، مهلاً، قد يحدث هذا الأمر لنا أيضاً!

وقام الأثرياء بكل ما يلزم لتشجيع هذا الموقف. ففي العام 1980، 20 بالمئة فقط من الأمريكيين كانوا يملكون حصصاً في سوق الأسهم. وكانت وال ستريت هدف الرجل الغني، فيما كانت بعيدةً عن منال جو وجاين العاديَّين. ولسبب وجيه – يعتبر الإنسان العادي الأمر ضرباً من ضروب المخاطرة، وعندما تحاولون ادّخار كل دولار لتتمكّنوا من إرسال أولادكم إلى الكلّية، تبتعد ألعاب الحظ عن كونها المكان الأفضل لاستثمار المال الذي يتمّ جنيه بصعوبةٍ وشقاء.

ومع ذلك، كان الأثرياء في أواخر الثمانينات من القرن الماضي حائرين بكيفية الاستمرار بتحقيق أرباحٍ مُفرطة دون أن يتمكّنوا من تحديد طريقة جعل السوق مستمرّاً في النموّ. ولا أعلم إن كانت فكرة بارعة اجترحها أحد العباقرة في مؤسسةٍ للسمسرة أو مؤامرة خفيّة لتبديل الخطة: "دعونا نقنع الطبقة الوسطى بإعطائنا مالها ويمكننا إذاك أن نصبح أكثر ثراءً!".

وفجأةً، بدا الأمر وكأن كل من عرفته قفز على عربة سوق الأسهم الاستعراضية، موظّفاً ماله على صورة سندات تعاونية. وحملوا اتحاداتهم على استثمار كل أموال معاشات التقاعد في أسواق الأسهم. وتوالت الروايات في وسائل الإعلام عن سعي الناس الكادحين إلى التقاعد وقد باتوا من الأثرياء! فقد

كانت أشبه بالحمّى التي أصابت الكلّ. وأحدٌ لم يكن يريد أن يُستثنى من هذه الفرصة. فسيّل العمّال شيكاتهم المصرفية واتّصلوا بالسماسرة لشراء مزيدٍ من الأسهم. سماسرتهم! يا لوقع هذه الكلمة... فبعد جهد جهيد من العمل الشاق طيلة الأسبوع في وظيفة بائسة، يمكنك الشعور الآن بأنك تخطو إلى الأمام لأنه بات لك سمسارك الشخصيّ الخاص! تماماً كالأغنياء!

حتى إنك لن تقبل المال النقدي قريباً. ادفع لي أسهماً! اتصل بسمساري!

وما تلبث من ثمّ أن تنكبّ كل ليلة على جداول أسواق الأسهم في الصحيفة التي تدأب قنوات الكابل على عرضها في خلفية شاشاتها على أنها الأخبار المالية لكلّ الأزمنة. واشتريتَ جهاز كمبيوتر لتنظيم تفاصيل استراتيجيتك. وكانت هناك ارتفاعاتٌ وانخفاضات في سعر الأسهم، ارتفاعاتٌ في غالب الأحيان، وبإمكانك تذكّر نفسك تقول: "ارتفع سعر أسهمي 120 بالمئة! تضاعفت ثروتي ثلاث مرات!". وخفّفت عناء الحياة اليومية متخيّلاً الفيلا التي ترغب بشرائها يوماً ما بعد تقاعدك أو السيارة الرياضية التي ترغب بشرائها غداً إذا أردت أن تسحب مبالغ نقديّة اليوم. لا، لا تسحب مبالغ نقدية! لا شكّ بأن سعر صرف العملات سيتأثر! أجّل عمليّة السحب! مسافة الطريق وأصل إليك!

ولكنها كانت خدعة. لم يكن سوى رياء من الشركات التي لم يكن لها يوماً أي رغبة بإدخالك إلى ناديها. فقد كانوا بحاجة إلى مالك فقط للاستيلاء عليه كي لا يكون عليهم العمل للعيش. وكانوا على علمٍ بأن الازدهار الاقتصادي الكبير الذي شهدته التسعينات من القرن الماضي لا يمكن أن يدوم، لذا، كانوا بحاجة إلى مالك لتضخيم قيمة شركاتهم فتبلغ أسعار أسهمهم مستوىً وهميّاً بحيث يكون بمقدورهم الاستمرار بدفع المبالغ النقديّة أيّاً تكن حالة السوء التي بلغها الاقتصاد.

وهذا ما حصل بالفعل. فبينما كان العاجز عن مقاومة الإغراء يستمع إلى التبجّحات على شاشة محطة سي. إن. بي. سي، عارضةً عليه وجوب شراء المزيد من الأسهم، كان المسرفون في الثراء يخرجون من السوق بهدوء، بائعين أسهم شركتهم الخاصة في بادئ الأمر. وفي الوقت نفسه، كانوا يخبرون الناس – وموظّفيهم الأوفياء – بأنه يتوجّب عليهم الاستثمار أكثر فأكثر في الشركة لأن

المتكهّنين كانوا يتكهنون بمزيدٍ من النموّ، وكان الرؤساء التنفيذيّون يتخلّصون من أسهمهم بأسرع وقت ممكن.

وفي أيلول/سبتمبر 2002، نشرت مجلّة فورتشن قائمة صاعقة بأولئك المحتالين القيّمين على أمور الشركات الذين غادروا على عجل كاللصوص بينما كانت أسعار أسهم شركاهم تنخفض بنسبة 75 بالمئة أو أكثر بين عامي 1999 و2002. فقد كانوا يعلمون أن الانكماش آت. لذا، باع هؤلاء الرؤساء التنفيذيون أسهمهم فيما كان موظّفوهم والمساهمون يشترون مزيداً من الأسهم ("انظري، حبيبتي، يمكننا الحصول على سيارة جي. إم. بسعرٍ منخفض في الواقع!") أم أهم كانوا يواصلون عمليّة استنفاد "ثرواهم" آملين باستردادها ("لا شك في ذلك! لطالما كان الأمر كذلك! يقولون إنه علينا أن نكون في السوق!").

وفي رأس قائمة فاعلي الشرّ هؤلاء كانت شركة كويست كوميونيكيشنز. وكان سعر سهم كويست في أوج نشاطها لا يتعدّى الأربعين دولاراً. وبعد ثلاث سنوات، انخفض سعر السهم إلى دولار واحد. وفي تلك الفترة، غادر رئيس الشركة فيل أنشوتز، ورئيسه التنفيذي السابق جو ناشيو، ومسؤولون آخرون، على عجل مع مبلغٍ بقيمة 2.26 بليون دولار - ببيع أسهمهم ببساطة قبل أن يبلغ سعر السهم أدنى حدّ له. والحكّام المطلَقون في أي. أو. إل. تايم وارنر ملأوا جيوبهم بـ 1.79 بليون دولار. وماذا عن بيل جوي وإد زندر وأصدقائهم في صن مايكروسيستمز؟ 1.03 بليون دولار. تشارلز شواب من، أجل، تشارلز شواب، حمل إلى مترله ما يفوق 350 مليون دولار. وتتوالى الأسماء على القائمة، شاملةً كلّ قطاعات الاقتصاد.

وبدعمٍ من رجلهم المقيم في البيت الأبيض، بوش، وببلوغ الاقتصاد أبعد حدوده، تلقّت السوق لكمةً عنيفة. وطالما كانت ترافق السوق تلك القصة القديمة المكرَّرة بأن "السوق دوريّة - لا تُخرجوا أموالكم أيها الرفاق، فهي ستعوّض مجدَّداً كما كان شأنها دائماً". وهكذا، برِح المستثمر العادي مكانه آخذاً بالنصيحة الرديئة. واستمرّت السوق بالانخفاض - ببطءٍ شديد حتى إنه ليخيّل إليك أن إخراج أموالك منها هو ضربٌ من الجنون. هي على وشك بلوغ حدّها الأدنى، اثبتوا على موقفكم. غير أنها استمرّت بالانخفاض أكثر فأكثر، وضاعت أموالكم سشيئاً فشيئاً.

عالم أعمال الوقواق غريب الأطوار

لو لم يكن الرؤساء التنفيذيون يمارسون الأعمال، وقد طُرحت حول سلوكهم الإجرامي تساؤلات مثيرة للجدل، لاعتُبروا مرضى اجتماعيين، أكّد محلّلٌ نفسي.

"من خلال تحليلهم كأفراد، يمكن اعتبارهم بسهولة مرضى اجتماعيين"، قال كينيت إيسولد، رئيس الجمعية الدولية لدراسة التحليل النفسي للمؤسسات، في شأن الرؤساء التنفيذيين مثل كينيت لاي من إنرون ودنيس كوزلوسكي من تيكو، في خطابٍ ألقاه أمام محللين نفسيين. "ولكن في إطار وجودهم ضمن مجموعةٍ لا تتحدّاهم أبداً، يصبح سلوكهم اللاأخلاقي معياريّاً – لا يبدو أنهم في نزاعٍ باطني".

وبسبب استعداد واضح لتجاهل المسائل الأخلاقية إبّان الازدهار الاقتصادي في التسعينات من القرن الماضي عندما كان العديد من الأمريكيين يجنون أرباحاً من سوق الأسهم، "حصلنا على الرؤساء التنفيذيين الذين نستحق"، قال إيسولد.

وذهبت حوالى أربعة تريليون دولار هباءً في سوق الأسهم. وتلاشت ثلاثة تريليون دولار أخرى هي أموال معاشات التقاعد والمنح المدرسية.

ولكن إليكم ما تبقّى: الناس الأثرياء. فهم ما زالوا بيننا ويقدّمون أداءً أفضل من السابق. وسخروا باستمرار من البنك السويسري الذي تعرّض لفيروس الألفية الكمبيوتري. وأنجزوا أعمالهم بنجاح، وبشكلٍ قانوني في غالب الأحيان، وإن قاموا بإخضاع القانون لمشيئتهم في هذه المسألة أو تلك، لا مشكلة، فالقليل منهم يقفون في قفص الاتّهام بينما أكتب هذه الكلمات. أما البقيّة فيمضون أوقاتاً ممتعة على رمال الشاطئ الخاص.

وإليكم سؤالي: بعد سلب الشعب الأمريكي أمواله وتدمير الحلم الأمريكي لمعظم الناس الكادحين، كيف يُعقَل أنه عوضاً عن جرّ الأغنياء، وتجريدهم من أموالهم، وتعليقهم على المشانق في الفجر على أبواب المدينة، يحظون هؤلاء بقبلة كبيرة من الكونغرس على صورة خفض قياسي للضرائب دون أن يقول لهم أحد أي كلمة؟ كيف يمكن لهذا أن يحدث؟

أعتقد إنه بسبب إدماننا المستمر على عقار الوهم لهوراتيو ألجير. وبالرغم مما

لحقنا من ضرر ووجود دليل قاطع على حصول عكس ما نتمنّاه، ما زال الأمريكيون العاديّون يريدون التمسّك بهذا الاعتقاد ظنّاً منهم بأنهم سيحقّقون الثراء في نهاية المطاف. لذا، لا تتحاملوا على الرجل الثري لأن ذالك الرجل الغني قد يكون أنا يوماً ما!

اسمعوا يا أصدقاء، عليكم مواجهة الحقيقة: لن تكونوا أبداً أثرياء. واحتمال حدوث هذا الأمر هو حوالى واحد في المليون. فأنتم لن تكونوا أثرياء أبداً فحسب، بل سيكون عليكم عيش بقيّة حياتكم جاهدين لتسديد فاتورة الكابل والموسيقى وصفوف الفنّ عن أولادكم في المدرسة الرسمية التي كانت تقدّم هذه الخدمات مجّاناً.

ولن يزداد الأمر إلا سوءاً. ومهما تكن الأرباح الآن فهي ستتلاشى تدريجيّاً. انسَ أمر معاش التقاعد، انسَ أمر الضمان الاجتماعي، انسَ أمر قيام أولادك برعايتك في شيخوختك لأنهم سيكونون بالكاد قادرين على العناية بأنفسهم. ولا تفكر حتى بأخذ عطلة لأنك ستفقد وظيفتك على الأرجح. أنت شخصٌ يمكن استغلال طاقاتك، ولا حقوق لك، وبالمناسبة، "ما هو الاتحاد؟".

أعلم، العديدون منكم لا يعتقدون بأن الوضع بلغ هذا الحدّ من السوء. طبعاً، فالوقت كفيلٌ بالكشف عن الحقائق، ولكنكم تعتقدون بأنكم ستنجون. ستكونون كمن يفرّون بطريقةٍ ما من الغضب الشديد. ولن تتخلّوا عن الحلم بأن يكون لكم حصة من الفطيرة. وفي الواقع، يظنّ البعض أن الفطيرة كلّها ستكون من حصّته.

لديّ بعض الأخبار لكم: حتى إن الفرصة لن تسنح لكم للحس الطّبق. فالنظام مهيّأٌ لصالح القليلين، واسمكم ليس من بين هؤلاء، لا الآن ولا في أيّ وقت. هو معَدٌّ بإحكام بحيث إنه يحمل العديدين من المحترَمين والواعين والعاملين بجدّ على الاعتقاد بأنه يعمل لأجلهم أيضاً. هو يدلّي الجزرة قرب وجوههم بحيث إنهم يكونون قادرين على اشتمام رائحتها. وبإطلاق الوعود عليهم بأنه سيكون بإمكانهم يوماً ما أكل الجزرة، يُعِدّ النظام جمعاً وافراً من المستهلكين ودافعي الضرائب مستعدّين للنضال بسرورٍ وتحمّس في سبيل حقوق الثري سواءٌ اضطُروا إلى منحه بلايين الدولارات من خلال الموافقة على إعفائه من الضرائب بينما

يرسلون أولادهم بالذات إلى مدارس مخرَّبة أو إرسال أولادهم هؤلاء للموت في حروب تهدف إلى حماية نفط الرجل الثري. أجل، هذه هي الحقيقة: حتى إن المستهلكين/العاملين سيضحّون بأرواح فلذات أكبادهم إن كان من شأن ذلك جعل الثري أكثر ثراءً وسعيداً لأنه وعدهم بأنه يوماً ما سيكون بإمكانهم الانضمام إليهم إلى المائدة!

لكن ذلك اليوم لا يصل أبداً، وما يلبث العامل الكادح أن يكتشف أنه ما زال في مترلٍ قديم يشكو من الإرباك الذي تتسبّب به السلطات وينفّس عن غضبه في وجه من يحاول فقط إفراغ نونيّة السرير. كان بالإمكان وجود طريقة إنسانية أفضل لقضاء أيامه الأخيرة، لكن المال الذي كان من المفترَض ادّخاره لهذا الشأن بدّده العامل في سوق أسهم إي. أو. إل. تايم وارنر وورلدكوم - وبدَّدت الحكومة ما تبقّى من مال على نظام أسلحة الفضاء الخارجي ذاك، وليس ما يشير إلى أن العمل جارٍ عليه.

إن أنت ما زلت متشبّثاً بالاعتقاد بأن الشركات الأمريكية ليست كلّها بهذا السوء، تأمّل بهذه الأمثلة الثلاثة عن الحالة التي بلغها قادة صناعتنا الصالحون.

أولاً، هل أنت مدركٌ بأن شركتك تحصّل من خلالك بوليصة تأمين على الحياة؟ يا لبادرتها الحسنة، تقول؟ حسناً، إليك مدى حُسن هذه البادرة:

خلال السنوات العشرين الماضية، فإن شركات مثل ديزني، نستله، بروكتر إند غامبل، داو كيميكال، جاي. بي. مورغان تشايس، ووال مارت كانت تقتطع بالسرّ مبلغاً من رواتب موظّفيها الذين يشغلون مناصب منخفضة ومتوسّطة لتغطية كلفة بوليصات تأمين لهم تحت اسم الشركة - بصفتها المستفيد! هي الحقيقة: عندما تموت، تقوم الشركة - وليس أقاربك - بقبض قيمة البوليصة. وإذا وافتك المنيّة خلال ممارستك الوظيفة، فإن معظم بوليصات التأمين معَدَّة لتسديد مبلغٍ أكبر عندما يموت المرء في عمر الشباب. وإذا عشت عمراً مديداً حتى بعد مغادرتك العمل، تبقى للشركة إمكانية تحصيل المال لدى وفاتك. ولا يذهب المال لمساعدة أنسبائك المحزونين في الأيام الصعبة أو لدفع تكاليف المأتم والدّفن؛ بل يذهب إلى جيوب الرؤساء التنفيذيين. وبصرف النظر عن الوقت الذي تموت فيه، يمكن

للشركة استلاف المال في مقابل البوليصة وحسم الفائدة من الضـــرائب المتوجّبـــة عليها.

وأنشأ العديد من هذه الشركات نظاماً يجعل الرؤساء التنفيذيين يستفيدون من المال على صورة علاوات أو تسديد ثمن سيارات، ومنازل، ورحلات إلى البحـــر الكاريبي. ويساعد موتك على جعل رئيسك رجلاً سعيداً يتمتّــع بالجـــاكوزي في سانت بارتس.

وماذا تدعو الشركات الأمريكية سرّاً هذا النموذج الخاص من التأمين علـــى الحياة؟

تأمينٌ لـــ "الموظفين العاديين الأموات".

هذا صحيح. "موظفون عاديون أموات". لأنكم كذلك بالنســـبة إلـــيهم - موظفون عاديون. وأنتم بالنسبة إليهم أكثر فائدة عندما تكونون أمواتاً لا أحيـــاء. (ويُدعى هذا التأمين في بعض الأحيان تأميناً لـــ "الحجّاب الأموات").

وعندما قرأت عن هذا الموضوع في ذي وال ستريت جورنال السنة الماضـــية، ظننت أنني اكتسبت خطأً أحد نماذج السخرية تلك من الصحيفة. ولكن لا، فقـــد كان الواقع بحدّ ذاته، وسرد الكاتبان إيلين شولتز وثيو فرانسيس بعض الروايـــات المفجعة عن الموظفين الذين ماتوا وكان بإمكان عائلاتهم الإستفادة من المال.

وكتبا عن رجلٍ قضى بعمر التسعة والعشرين إثر مضاعفات ناتجة عن مرض الإيدس AIDS، ولم يكن يملك تأميناً على الحياة خاصّاً به. ولم تحصل عائلته على أيّة تعويضاتٍ نتيجةً لوفاته، غير أن سي. إم. هولدينغز، وهي الشركة الأمّ لمتجـــر الموسيقى حيث كان يعمل، جمعت عند موته 339.302 دولار.

واستفادت سي. إم. هولدينغز من بوليصة أخرى لمديرة إدارية كانت تكسب 21.000 دولار في السنة وقد ماتت بمرض تصلّب العضلات الجانبية (مـــرض لـــو غيريغ). ووفقاً لرواية الـــ وال ستريت جورنال، رفضت الشركة طلباً من أولادها الناضجين، الذين اعتنوا بها طيلة فترة مرضها، لمساعدتهم بشراء كرسيّ مـــدولَب بقيمة 5.000 دولار بحيث يتمكّنون من اصطحاب والدتهم إلى الكنيسة. وعنـــدما

ماتت المرأة عام 1998، استلمت الشركة مبلغاً بقيمة 180.000 دولار.

غير أن بعض الشركات - ومنها وال -مارت - أوقفت هـذه الممارسة. وسنّت بعض الولايات قوانين تحرّم بوليصات "الموظفين العاديين الأموات"، وتقوم ولاياتٌ أخرى بدراسة خطوات مماثلة. وقُدِّمت دعاوى قضائية عديدة ضد الشركات من قِبَل أنسباء الموظّفين الأموات بهدف جعلهم المستفيدين من البوالص. ولكن، حتى الآن، تستمر البوالص في شركات عدّة. هل أن الشركة حيث تعمل هي إحداها؟ قد يكون عليك التأكّد من الأمر. من الجيّد أن تعرف أنه بعد موتك قد يوازي جثمانك سيارة بورش جديدة لرئيس مجلس الإدارة.

أما تزالون غير مقتنعين بأن الثري قد يُعنى بكم بقدرٍ أقلّ؟ إليكم مثلاً آخر عمّا تعنونه لأرباب العمل في شركاتكم بعد أن يحصلوا على صوتكم وطاعتكم. يقوم الكونغرس بدراسة مشروع قانون يسمح للشركات بتخصيص مال أقلّ لمعاشات تقاعدكم إذا استلمتم عملاً كادحاً لأنه، كما يقولون، نتيجةً لظروف العمل القذرة وغير الآمنة التي أحدثوها لكم، لن تتمكّنوا من العيش طويلاً بأيّة حال. لذا، فالشركات غير ملزَمة بالفعل بإعطائكم كل مال التقاعد لأنكم لن تكونوا على قيد الحياة لاستعماله! ستكونون أمواتاً لأنهم لم يجهّزوا شركاتهم بأنظمة التهوئة أم أنهم جعلوكم تعملون بكدٍّ وعناء بحيث تكونون محظوظين إن لم تسعلوا دماً متى بلغتم عامكم الثماني والخمسين. لذا، ما الفائدة من حملهم على ادّخار مال التقاعد لكم؟

وما هو أكثر إثارةً للاشمئزاز حيال هذا التشريع هو أنه مدعومٌ من الاتحادات مثل يو. إي. دبليو. التي تريد أن ترى مال معاشات التقاعد يُستخدَم الآن كرواتب عالية لعمّالها. لكن الأعداد لا تتزايد: فالعمّال الكادحون الذين هم أعضاء في الاتحاد يعيشون في الواقع حياةً أطول من العمّال الصناعيين الذين لا ينتمون إلى اتحادات لأنهم يتقاضون أجوراً أفضل وتتوافر لهم ضمانات صحّية جيّدة. والناس الذين يملكون مزيداً من المال ويمكنهم تحمّل مصاريف العناية الصحّية يميلون إلى الاستفادة من خدماتها أطول فترة ممكنة، وهم لذلك يحتاجون إلى مزيدٍ من المال، لا إلى مالٍ أقلّ، لإضافته إلى معاشات تقاعدهم ممّا يؤمّن لهم دعماً مادّياً خلال فترات تقاعدهم الطويلة.

والمثل الثالث عن مدى إمكانية استغلال طاقاتك مستوحى من أصدقائنا الصالحين في وكالة الحماية البيئية التابعة لإدارة بوش. فلديهم مخطّط يُدعى "حسمٌ أعلى للأموات". وطالما شكت الشركات الملوِّثة من طريقة الحكومة في تحديد الكلفة الفعلية التي يتكبّدها الناس بأرواحهم جرّاء تسميم الهواء والماء. فقد طوّرت وكالة الحماية البيئيّة قوانينها - ووضعت الغرامات - معتمدةً على عدّة معايير ومنها احتساب عدد الناس الذين سيموتون بسبب للتلوّث. وكانت النتيجة 3.7 مليون شخص. (أرأيتم، فإن الملايين تلاحقكم، بالرغم من كل شيء!).

لكن مجتمع الأعمال تذمّر معتبراً أن "هذه الغرامات لا تتوافق مع عدد الأشخاص الأربعة ملايين الذين سيموتون بسبب التلوّث!" لذا، قامت وكالة الحماية البيئيّة بخدعةٍ مناسبة: قالوا، حسناً، بهدف تخفيض تكاليفكم والجهود لتنظيف ما تسبّبتم به من تلوّث، سنعتبر أن كل شخص يتخطّى السبعين من عمره يساوي 2.3 مليون دولار فقط. فهؤلاء هالكون في كافّة الأحوال، وهم لا ينتجون شيئاً لكم، لذا لا تساوي حياتهم أكثر من ذلك.

وهكذا، قامت الانتقادات بصياغة سياسة "الحسم الأعلى للأموات". واحتج المدير السابق لوكالة الحماية البيئيّة، وأعلنت المديرة الحالية كريستي ويتمن أن الوكالة قد تتوقف عن عملية الاحتساب. ومن ثمّ استقالت.

وهكذا، قضيت حياتك كادحاً، وعملت لساعاتٍ طويلة، وأعطيت كل ما تملك لمساعدة الشركة حيث عملت على تحقيق أرباحٍ قياسيّة. وعندما ذهبت إلى حجَيرة الاقتراع منحت صوتك لمرشحيهم الجمهوريين (والديموقراطيين) تماماً كما طلبوا منك - وبعد تقاعدك، هذا هو الشكر الذي نلته. حسمٌ أعلى - ليس فقط في صالات السينما أو في فروع ماكدونالد، بل على حياتك بالذات.

انظر، لا أعلم إن كان هناك أسلوبٌ أكثر لطافة لأقول لك إن هؤلاء الأوغاد الذين يديرون شؤون بلادنا هم مجموعة من المتواطئين، السارقين، المعتدّين بأنفسهم يتوجّب إسقاطهم، والإطاحة بهم، واستبدالهم بنظامٍ جديد كليّاً يمكننا مراقبته. هكذا يُفترَض أن تكون الديموقراطية - نحن، الناس، من يتولّى مقاليد الحكم. ماذا حلّ بنا؟ ربّما لم نكن أبداً في سدّة المسؤولية في الواقع، وكان وقع تلك الكلمات

جيّداً على مسامعنا في قاعة الاستقلال في ذاك اليوم الحارّ من عام 1776. ولو كان لآبائنا المؤسسين طائرة نفّاثة تابعة لإحدى الشركات، لما اضطُرّوا أبداً لكتابة هذه الأشياء التّافهة. ولكنهم فعلوا، وها نحن نحاول إيجاد حلولٍ لما نعاني منه نتيجةً لذلك.

إذاً، كيف أمكننا ترك الناس السيّئين يفوزون، أولئك الذين كانوا ليطيحوا بجورج الثالث آنذاك لو تسنّت لهم الفرصة؟ متى سنجعل هذا البلد واقتصاده بأيدينا، منتخبين الممثّلين الذين سيوزّعون الفطيرة بعدل دون أن ينال أحد أكثر ممّا يستحق؟

وبدلاً من ذلك، فإن ما نملك هي حقائق حزينة كهذه الحقيقة: شخصان حميمان، جورج دبليو بوش (الرئيس التنفيذي لأمريكا) وكينيت لاي (رئيس إنرون، سابع أكبر شركة في الولايات المتحدة). فقبل انهيارها، كانت إنرون، التي مركزها هيوستن، في مصاف الشركات العملاقة بدورة مالية سنويّة تبلغ 100 بليون دولار تحصل عليها من خلال الاتّجار بعقود تتناول النفط، الغاز والكهرباء في مختلف أنحاء العالم. وكانت سوق الكهرباء غير المنظّمة بشكلٍ متزايد منجم ذهب للشركة التي عُرِفت بعدائيّتها في الحصول على العقود.

ولاي، الذي يلقّبه بوش تحبّباً بـ "الفتى كيني" (Kenny Boy)، لم يكن يوماً متحفّظاً حيال المظاهر العامّة للصداقة. فقد منحت إنرون بوش 736.800 دولار منذ العام 1993. وبين عامي 1999 و2001، جمع الرئيس التنفيذي لاي مبلغ 100.000 دولار لصديقه، وساهم شخصيّاً بمبلغ 283.000 دولار للّجنة الوطنية الجمهورية. وقدّم لاي أيضاً للمرشّح بوش خلال حملته الانتخابية الطائرة النفاثة التابعة للشركة ليتمكّن من الانتقال جوّاً مع عائلته في أرجاء البلد والتحدّث عن مخطّطه "لاستعادة البيت الأبيض كرامته ووقاره".

وكانت هذه الصداقة متبادَلة بالفعل. فقد قطع بوش رحلةً انتخابية في نيسان/أبريل 2000 للعودة جوّاً إلى هيوستن لمشاهدة لاي يقذف الكرة الأولى لافتتاح ألعاب أستروس التي ستجري في ملعب إنرون الجديد. من قال إن هؤلاء الرجال ليسوا عاطفيين؟

وبعد أن أصبح بوش رئيساً، دعا لاي لزيارة واشنطن للإشراف مباشرةً على المقابلات التي ستُجرى مع الأشخاص الذين يرغبون بالعمل في إدارة بوش، ولا سيّما من يرغب بتبوّؤ مناصب عالية في وزارة الطاقة - وهي الوكالة التنظيمية المشرفة على إنرون.

وكان هارفي بيت - رئيس لجنة الكفالات والتبادل التجاري آنذاك - محامياً سابقاً لمحاسب إنرون، أرثر أندرسن. وعمل لاي وفريق أندرسن أيضاً على التأكّد من أن شركات المحاسبة سيُعفَون من إجراءات عديدة ولن يكونوا عرضةً لتدابير قانونية مستقبليّة إزاء أي "عمليّة مسك دفاتر مضحكة".

وقضى لاي ما تبقّى من وقته في واشنطن في مكتب قائمٍ إلى جانب مكتب زميله القديم، نائب الرئيس ديك تشيني. وشكّل الاثنان "قوّة مهمّاتية لشؤون الطاقة" مسؤولة عن وضع مخطّط تمهيدي لـ "سياسة الطاقة" الجديدة في البلاد، وهي سياسة من شأنها التأثير عمليّاً على كل العقود التي وقّعتها إنرون. والتقى تشيني مع الرؤساء التنفيذيين، بمفرده أو برفقة معاونيه، ست مرات على الأقل إبّان هذه الفترة، ولكن لا أحد يعرف المدى الذي بلغته اللقاءات لأن تشيني رفض الكشف عن سجلات هذه اللقاءات على الملأ. وفي هذه الأثناء، كانت ماكينة معدّي الصفقات تضع خططاً لافتعال أزمة طاقة في كاليفورنيا من شأنها أن تؤدّي إلى إضافة بضعة ملايين من الدولارات إلى جيوبهم.

فهل دقّ أحدٌ ناقوس الخطر؟ ربّما نسيتم أن هذا الأمر كان إحدى أكبر الفضائح التي تعرّضت لها الشركات في تاريخ الولايات المتحدة بالرغم من كل الإلهاءات العسكرية التي كانت تهدف إلى تشتيت الانتباه عن إنرون. وارتكب هذه الفضيحة أحد أصدقاء "الرئيس" الحميمين. وأنا على ثقة بأن بوش يشكر الله كلّ ليلة على الحرب على الإرهاب، و11/9، وأفغانستان، والعراق، ودول محور الشر التي تضمن تقريباً اختفاء إنرون من الأخبار ومن أذهان الناخبين. وكان يُفترَض بهذه الفضيحة أن تؤدّي إلى مقاضاة بوش بالتقصير والخيانة منذ زمن وإزاحته من منصبه في البيت الأبيض، لكن غالباً ما يكون القدر إلى جانب بوش فيُفلت من عواقب أعماله. وكما أشرتُ في السابق، فعندما تكون مرتبطاً بثلاثة ملفات

قانونية، كما كان هو، ولم تمضِ ليلة واحدة في السجن، فلا شكّ أن الحظ يحالفك، ونادراً ما يُفلت الناس أمثاله من العقاب.

ولكنني شخصيّاً لن أنسى إنرون، وعليكم ألا تنسوها أنتم أيضاً. فهو حدثٌ يتخطى كونه عملاً مدبَّراً لتحطيم اقتصادنا وإيصال أشخاصٍ معيّنين إلى السلطة لحمايتهم بينما يخطّطون لمهاجمة أمريكا من الداخل.

وعندما كانت الأمور جيدة في إنرون، كانوا هم في أفضل أحوالهم. وحمل لاي ومسؤولون كبار آخرون مبالغ ضخمة إلى منازلهم وتمتّعوا بإنفاقها بسخاء. وساعدتهم الحياة الرغيدة في إنرون على تقديم هباتٍ كبيرة للسياسيين المنضوين إلى الحزبين الرئيسيين – سياسيين كان بإمكانهم المحافظة على مناخٍ تنظيمي ملائم لمصالح إنرون. ووفقاً لمركز السياسات الحسّاسة، منحت إنرون حوالى 6 ملايين دولار للحزبين الجمهوري والديموقراطي منذ العام 1989، 74 بالمئة منها ذهبت للجمهوريين. وعنى هذا الأمر أنه عندما بدأ الكونغرس باستجواب إنرون مطلع العام 2002، حصل 212 عضواً من أصل 248 عضواً من مجلسي النواب والشيوخ الذين كانوا يشكّلون لجان التحقيق على مساهماتٍ مالية انتخابية من إنرون أو من محاسبها المخادع أرثر أندرسن.

وظنّ أحد عشر موظّفاً يتولّون مناصب متوسّطة في إنرون أن شيئاً ما يجري لصالحهم: استراحوا وأخذوا يراقبون خططهم التقاعدية تنمو وتنمو في سوق أسهم إنرون.

لكن النجاح الاستثنائي للشركة كان يتلاشى... وبشكلٍ مخادع. وقسمٌ كبير من الأرباح التي حصدتها إنرون تحقّقت من خلال إقامة شراكاتٍ تغطّي سلوك الشركة، وكانت مدعومةً بممارسات محاسبية مريبة (وربّما جنائية). ومن غير الواضح المقدار الصحيح من الرواية الذي سيتمّ الكشف عنه، سيّما وأن مستنداتٍ هامّة أُتلفت قبل أن يتمكّن المحققون من الاطلاع عليها.

وفي خريف العام 2001، تداعى النظام الهرمي الذي كانت تقوم عليه إنرون. وفيما كانت بقيّة البلاد في حالة صدمة نتيجةً لـ 11/9، كان الرؤساء التنفيذيون

لإنرون منهمكين بالنجاة بما تيسّر لهم من أموال، بائعين الأسهم، ومتلفين المستندات.

ولم تحُل أزمة وطنيّة دون توقّفهم عن استمالة زملائهم في إدارة بوش. ووجّه الرؤساء التنفيذيون في إنرون دعواتٍ لوزير التجارة دون إيفنس ووزير الخزينة آنذاك بول أونيل لمساعدة الشركة التي كانت على شفير الانهيار.

وقال إيفنس وأونيل إنهما لم يقوما بشيء عندما أعلمتهما إنرون بإفلاسها الوشيك، واستغلّت الإدارة هذا الأمر بفخرٍ كدليلٍ على أن لا امتيازات خاصة مُنحت لأيٍّ من الدّاعمين الكبار للرئيس.

هذا صحيح - كانوا فخورين بألا يقوموا بشيء بينما كان الملايين من الأمريكيين مخدوعين. وقد جُعل السّلب ممكناً لدرجةٍ كبيرة بسبب رغبة إدارة بوش بقيادة إنرون إلى حالةٍ من الإرباك والجنون.

وعندما كان عليه التحدّث أخيراً إلى الصحافة، حاول جورج دبليو بوش النأي بنفسه عن صديقه القديم وقال، بصفة خاصة: "من يكون كن؟" وشرح بوش أن زميله الصالح لم يكن صالحاً في الواقع، بل كان عوضاً عن ذلك رجل أعمالٍ ما من تكساس. "كان [الفتى كيني] من مؤيّدي آن ريتشردس في حملتي [لمنصب الحاكمية] عام 1994!". قال بوش لوسائل الإعلام. (في الواقع، ساهم لاي بمبالغ فاقت تلك التي تبرّع بها لحملة بوش لمنصب الحاكمية بأربعة أضعاف تقريباً).

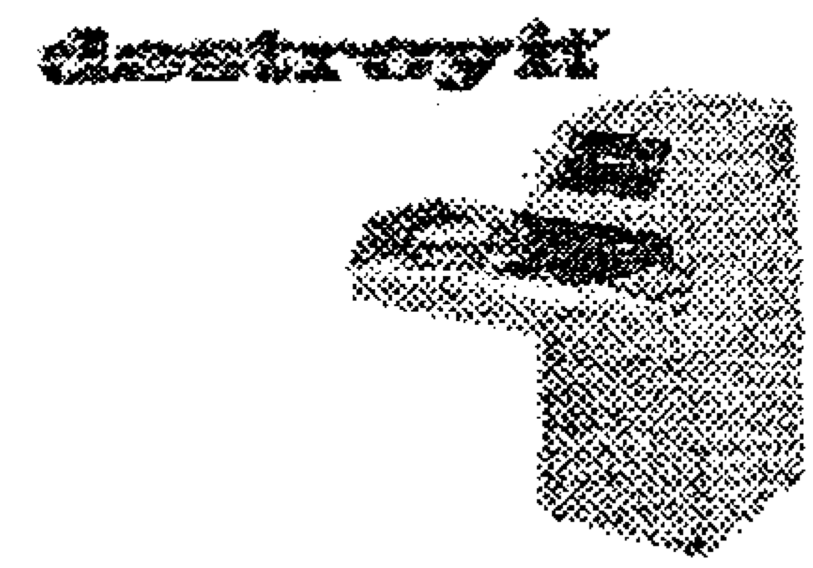
وعندما أعلنت إنرون عن إفلاسها رسميّاً في كانون الأول/ديسمبر 2001، صُعق لصوص وال ستريت والمستثمرون فيها على امتداد البلاد.

ولكن لـ "الإفلاس" معنىً مختلفاً بالنسبة إلى الرؤساء التنفيذيين في إنرون عن المعنى الذي نفهمه. فقد أظهرت دعوى إفلاس الشركة التي قُدِّمت عام 2001 أن 144 من الرؤساء التنفيذيين ذوي المراتب العليا حصلوا على ما مجموعه 435 مليون دولار من الأسهم التي كانوا يملكون، أي بمعدّل مليوني دولار إضافيَّين كتعويض وثلاثة ملايين دولار أخرى ثمناً للأسهم.

تقطّع إلى شرائح ومكعّبات

هل أنت رئيس تنفيذي قد يحتاج قريباً إلى إتلاف بعض المستندات بهدف تفادي وابل الأسئلة في السجن للسنوات العشر القادمة؟ إذاً، وخدمةً مني لك، هل يمكنني أن أقترح عليك استثمار بعض المال لشراء إحدى هذه الحسناوات المتينات وتوديع مستنداتك التي تورّطك بالجريمة:

آلة "أتلفها بالعرض موديل 5009"



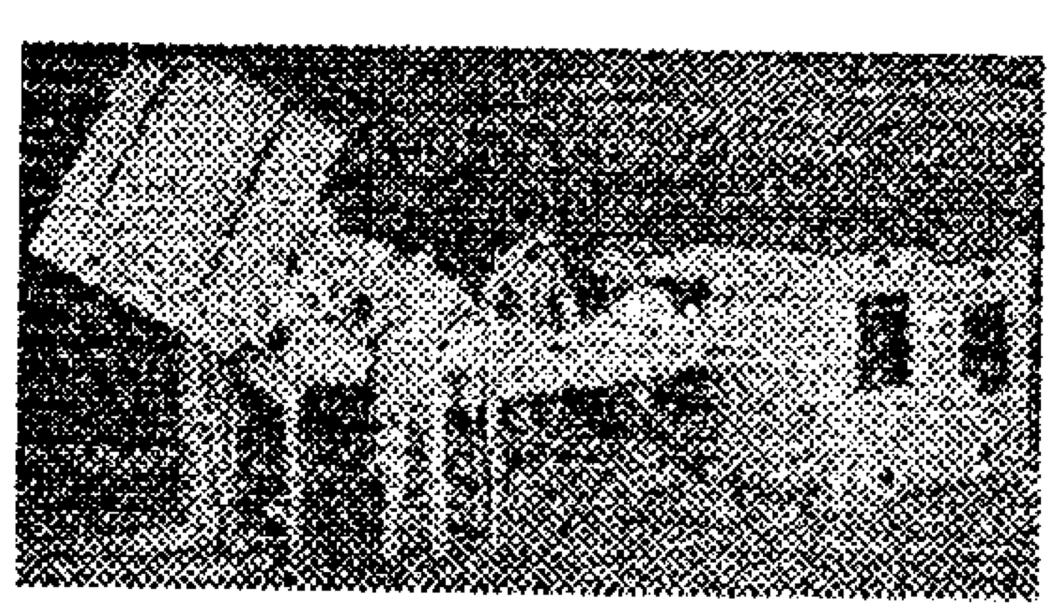
وتمتاز بعربة صغيرة تُجَرّ باليد ومكانين لجمع الأوراق سعة 52 غالوناً، وحزام ناقل، سعة 500 ورقة في وقتٍ واحد، ونتاج 7.000 باوند (3182 كلغ) في الساعة.

السعر: 26.999 دولاراً.

http://www.destroyit-shredders.com

آلة "التلف الأمريكي إي. إم. إس. موديل 10000"

وتمتاز بسرعة تلفٍ تبلغ 176 قدماً (53 متراً) في الدقيقة الواحدة، ونتاج 10.000 باوند (4545 كلغ) في الساعة، ويمكنها معالجة 1.100 ورقة في كل مرة. ويمكنها أيضاً معالجة الصور الفوتوغرافية (مايكروفيلم)، ومِشبكات الورق، وغيرها.



السعر: 88.066 دولاراً.

http://machinerunner.com/Industrial-Paper-Shredders-Strip-Cut-2502000-Sheet/Ameri-Shred-Corp-AMS-10000.html

وبينما كان اللصوص الكبار يعدّون ملايينهم، كان الآلاف من عمّال إنرون يفقدون وظائفهم والكثير من مدّخراتهم. وأعدّت إنرون ثلاث خطط لموظّفيها، وكان 20.000 منهم أعضاءً في هذه الخطط عندما أعلنت الشركة إفلاسها. وكانت ستّون بالمئة من هذه الخطط قائمة على أسهم إنرون. وعندما انخفض سعر السهم من 90 دولاراً إلى عدّة بنسات في شهر آب/أغسطس 2000، فقد هؤلاء الموظفون كل ما استثمروه في الشركة. وفاقت قيمة الخسائر البليون دولار.

لكن الخسائر الضخمة التي نتجت عن انهيار إنرون تخطّت موظّفيها لتطال آلافاً آخرين ممّن كانوا يملكون أسهماً في الشركة وقد دفعوا تعويضات تقاعدهم ثمناً لها، والذين، وفقاً لمقالٍ في نيويورك تايمز، فقدوا 1.5 بليون دولار على الأقل نتيجةً لذلك.

وأدّى انهيار إنرون إلى انخفاض الأسعار في سوق الأسهم، وما زلنا نشعر بموجةٍ صغيرة من التأثير السلبي حتى اليوم.

ولكن، بينما كنت أكتب هذا الأمر في صيف العام 2003، وُجّهت اتهامات إلى عشرين شخصاً بالضلوع في الجرائم المتعلّقة بإنرون. وواجه خمسة من هؤلاء دعاوى قضائية وما زالوا ينتظرون الأحكام، وينتظر خمسة عشر آخرين المحاكمة.

ولم تُقدَّم أيّ اتهامات بحق الرئيس السابق كن لاي أو الرئيس التنفيذي جيف سكيلينغ.

إذاً، ما العمل؟

الأهميّة الحقيقية الوحيدة لحياتك بالنسبة للأثرياء هي أنهم بحاجة إلى لصوتك الانتخابي بهدف إيصال السياسيين الذين موّلوهم إلى السلطة. ولا يمكنهم القيام بهذا الأمر بأنفسهم. ونظامنا هذا الذي يسمح بإدارة البلاد من خلال إرادة الشعب هو صفقةٌ رديئة بالنسبة إليهم لأنهم لا يمثّلون سوى 1 بالمئة من "الشعب". فلا يمكنك تمرير قانون لخفض الضرائب عندما لا يكون للأثرياء

أصوات بما يكفي لذلك. لهذا السبب يكرهون الديموقراطية بالحقيقة: لأنها عائقٌ أمامهم كونهم من أقلّ الأقليات. لذا، فهم بحاجةٍ إلى استمالة 50 بالمئة من الشعب للحصول على الأكثرية التي تخوّلهم بلوغ هدفهم. وهي مهمّةٌ غير سهلة. فالجزء السهل شراء السياسيين، أوّلاً بمنح هباتٍ للحملات الانتخابية، ومن ثمّ بتقديم خدماتٍ خاصة متى بلغوا مقاليد الحكم، وبعدها من خلال وظيفة استشارية بأجرٍ مرتفع متى غادروا السلطة. والطريقة الفضلى لضمان فوز سياسيّيكم على الدوام هي بإعطاء المال للفريقين (الحزبين الجمهوري والديموقراطي)، وهو ما تقوم به كل شركة تقريباً.

وخداع غالبية الناخبين لمنح أصواتهم للمرشّح الثري (أو المرشّحين) هو أكثر صعوبة، ولكنهم أثبتوا أنه أمرٌ قابلٌ للتطبيق. وتتمثّل إحدى الوسائل بحمل الإعلام على ترداد ما تقولون وكأنه الحقيقة المطلَقة، دون طرح كثيرٍ من الأسئلة عليكم. وكما رأينا، فإن إخافة الناس هي وسيلةٌ مجدية أيضاً. كالدين تماماً. لذلك، يجمع الثري حوله حشداً من المحافظين، واليمينيين، والمسيحيين على صورة ائتلاف يكونون بمثابة جنود مشاة. وهو زواجٌ شاذ من النوع الرديء لأن الأثرياء على العموم ليسوا محافظين أو ليبراليين، يمينيين أو يساريين، مسيحيين أو يهوداً. فحزبهم السياسي الحقيقي يُدعى الجشع، ودينهم الرأسمالية. ولكنهم أكثر من سعداء لمشاهدة ملايين الفقراء البيض وملايين من الطبقة الوسطى يصوّتون للمرشّحين الذين سيبتزّون هؤلاء البيض الفقراء والطبقة الوسطى متى استلموا مقاليد الحكم.

لذا، فإن تحدّينا، مهمّتنا، هي إيجاد الوسائل للتأثير في هؤلاء الملايين من الناس العاملين وإيضاح كيف أنهم يصوّتون ضد مصالحهم الفُضلى. وفاجأ إفلاس إنرون الآلاف من موظفيها المحافظين الذين كان العديد منهم فخورين بمنح أصواتهم للرئيس جورج دبليو بوش وللجمهوريين. هيّا استيقظوا من سباتكم. كم عدد الذين سيصوّتون لصديق كن لاي المفضَّل، برأيكم، في الانتخابات القادمة؟ لكن تشكيل حزبٍ معارض هو أمرٌ شاقٌّ جدّاً. ولا يجب معاقبة هؤلاء الناس الطيّبين لأنهم ظنّوا أنّ راش ليمبو وتوم ديلاي كانا متلهّفين لمشاركتهم. فقد ضُلّلوا

واستُغلّوا. وأنا واثقٌ تماماً بأنهم عندما يكتشفون أمر الخِدَع كـ "تأمين الفلاحين الأموات"، وعندما يكتشفون ما كلّفهم التخفيض الأخير للضرائب من خدمات أقلّ وضرائب أعلى، فإنهم سيفهمون ويغضبون غضباً شديداً. ومتى أدركوا أنّ اسمهم لن يكون أبداً هوراتيو ألجير وأن حكايات الجنّ تلك هي للأولاد، فإنهم سينضجون - ويثورون - بسرعةٍ كبيرة.

الفصل الثامن

يا لسعادتي!
طالني تخفيضٍ للضرائب!

جورج دبليو بوش

مزرعة بوش

كراوفورد، تكساس

عزيزي جورج:

عليّ التسليم بأنني عندما سمعت في بادئ الأمر، كما العديد من الأمـريكيين، عن خفضك للضرائب بنحو 350 بليون دولار، بدأت أفكّر: "حسناً، ها هو يعيد الكرّة ثانيةً، يساعد زملاءه الأثرياء".

ولكن، عندما قصدت في أحد الأيام صندوق البريد، كان هناك بين البريـد التافه العادي شيك من ناشري بقيمة الكتب المُباعة خلال السنة الماضية. جـورج، جلست هناك وحدّقت بالرقم الموجود على الشيك، وأخرجت من ثمّ الآلة الحاسبة لتبيّن قيمة الضريبة المتوجِّبة عليّ، و...

يا... إلهي... جورج! ها هو حظّي السعيد! هلليلويا! شكراً لك! شكراً لك! شكراً لك! يا رجل، حكمت عليك ظُلماً. ظننت أنك كنت تخفّـض الضـرائب لتشيني، وكيني لاي، ولنفسك فقط. ومع ذلك، فإنك سـتربح حـوالى 33.000 دولار من خفض هذا العام، وسيضع ديك تشيني في جيبـه ودون عنـاء 85.924

دولاراً. (سيحقّق تشيني في الواقع مبلغ 171.850 دولاراً في العـام 2004 نتيجـةً لخفض الضرائب).

ولكن، إليك تخوّفي من ألا يوافقك أحد الرأي: لم تقم بهذا الأمـر لأجلـهم فقط؛ قمتَ به لأجلي في الواقع! وها أنت قابعٌ في البيت الأبيض لسـنة ونصـف السنة قبل انتهاء مدّة ولايتك، منتظراً خلاصة أسبوعية تحمل أخباراً سيّئة: "حسناً، سيّدي، ارتفعت البطالة حتى 6 بالمئة، وفقدنا للتوّ مليوني فرصة عمل، وهـا هـي ثلاث عشرة دولة أخرى تعبّر عن كرهها لنا رسميّاً، وبات لجوّالي تكساس أسـوأ رقم في تحقيق الأهداف بين نوادي الغرب الأمريكي قاطبةً، ولم يتمّ اعتقال أيٍّ من أنسبائك في هذا الأسبوع - والكتاب الأكثر مبيعاً في هذه السنة ما زال "رجـال بيض أغبياء"، الذي يتناولك بصفة خاصة، سيّدي، وكتبه ذلك الرجل الذي ارتقى إلى مصاف جوائز الأوسكار وشكّا منك، يا قائدنا". أشعر بالأسى علـى هـذا الأخرق الذي كان عليه حمل تلك الأخبار لك!

يا رجل، كان لديك بالتأكيد كل ما يبرّر استدعاء رجالـك مـن لانغلـي للتخلّص مني بالطريقة التي تمّ التخلّص بها من أولئك الأشخاص السبعة والأربعـين والذين قُتلوا بشكلٍ غامض على عهد كلينتون! وكان لك كلّ الحق بجعل حيـاتي جحيماً وإخضاع حساباتي للتدقيق مرّتين في السنة، وإخضاعي للتفتيش الكامـل والدقيق كلّما غادرت المترل. كان بإمكانك القيام بكل ذلك - واكثر - لكنّك لم تفعل.

فعوضاً عن ذلك، قلتَ لمستشاريك الاقتصاديين: "تعلمون، قد نكون تمكّنـا من تحقيق هذا الخفض الكبير للضرائب السنة الماضية، لكن مايك كان مفلساً آنذاك ولم يكن مؤهَّلاً لتحمّل الأمر. ماذا لو انتظرنا حتى السنة القادمة، ممّـا سـيمنحنا الوقت الكافي للبدء بإطلاق إشاعاتٍ عديدة بشأنه على شاشة فوكس - إم. إس. إن. بي. سي. تحمل الجميع على عدمِ شراء كتابٍ أو بطاقة سينما منه مجدَّداً. لكن، يا رجال، أعتقد أن التصرّف الديني يقضي بوضعِ خفض الضرائب موضع التنفيـذ هذا العام عندما يكون مايك يجني مبالغ أكثر ممّا أجنيه أنا وتشيني. دعونا إذاً نكفّ عن التصرف بوقاحة ونمنح ذلك الهجين أكبر شيك حصل عليه أبداً!"

جورج، لا أعلم ما أقول. لست الرجل الذي ظننت. فعوضاً عن معـــاقبتي، فتحت لي قلبك - ودفتر شيكات الحكومة - لي أنا!

وأضافت دائرة الميزانية التابعة للكونغرس كل هذه المصاريف وتوقّعت عجزاً فدرالياً للعام 2003 يفوق 401 بليون دولار. جورج، ستكسر الرقم القياسي الذي بلغ 290 بليون دولار إبّان ولاية والدك عام 1992. يو. إس. إي! يــو. إس. إي! وفي أوائل العام 2003، توقّعت الخزينة مقادير أكبر من العجز في السنوات القادمة بلغ مجموعها 44 تريليون دولار. لكنكم في البيت الأبيض اخترتم عدم الكشف عن هذه المعلومات حتى ما بعد تخفيض الضرائب. خطوةٌ سلسة!

وبينما ترشح دفاتر شيكات الحكومة ملء دلوٍ من الحبر الأحمــر، يمكنــك الآن استخدام مزيد من دولاراتي أكثر من أيّ يومٍ مضى. لكنك لم تكن تريدها؛ لم تكــن لتأخذها. وكأنك كنت تقول: "لا، مايك، احتفظ بمالك وانفقه كما تشاء. ســنكون بخير؛ لا تقلق بشأننا. فالجيل التالي سيجد وسيلةً للخروج من الديون". نعمَ الصديق!

وخفض الضرائب الأخير هذا - خفض ضرائب مايك مور! - كان أمــراً لا يصدَّق. فأنت لم تكتفِ فقط بخفض معدّل ما يدفعه رجلٌ مثلي لضــريبة الــدخل الفدرالية من 39 بالمئة إلى 35 بالمئة، بل إنك لم تتّخذ أيضاً أي إجراء بشأن أولئك الذين يدفعون أقلّ نسبة من الضرائب! ولم تكن تكذب عندما قلت: "ســيخفّض مخطّطي المتعلّق بالنموّ معدّلات الضريبة لكلّ من يدفع ضريبة الدخل". لكنك لم تكن تقول الحقيقة فحسب. فالناس الذين كانوا يدفعون نسبةً تتراوح بين 10 و15 بالمئة ما زالوا يدفعون النسبة عينها. أجل، لقد تركت 8.1 مليون شخص خارج إطــار مفاعيل "الفرَج الضريبي". ولَمَ لا؟ هو مزيدٌ من المال لأمثالــك وأمثــالي! فبينمــا سيكون بإمكان الفقراء الأغبياء الذين يحتلّون المرتبة ما دون الوسطى مــن معــدّل الدخل ادّخار 100 دولار في الشهر، فإن أثرياء المجتمع الأمريكي الذين هم بنسبة 5 بالمئة سيحصدون 50 بالمئة من مشروعك لخفض الضرائب.

والآن، أدرك أن كثيراً من الناس يعانون من كل هذه الأشياء، ولكن، فلنواجه الأمر. على أحد ما المعاناة، فلمَ تكون أنت أم أنا؟ إذاً، ماذا لو تكبّد الأفراد نتيجةً لخفض الضرائبِ مبلغ 3 بليون دولار خلال السنتين القادمتين، و16 بليــون دولار خلال العقد القادم! هو بلدٌ كبير!

فلنأخذ على سبيل المثال الأولاد في أوريغون، وقد أقفلت مدارسهم أبوابها هذه السنة باكراً لأن أموال الضرائب نفدت منها. أستطيع أن أضمن لك أننا جعلنا للتوّ كثيراً من الأولاد سعداء لحصولهم على عطلة صيفية طويلة! وأنا متأكّدٌ من أنك سمعت أيضاً بالمكتبة العامّة الجديدة في هاوايٍ التي لا يمكنها فتح أبوابها أمام الجمهور لأن الاعتمادات المالية التي تؤمّنها الضرائب الفدرالية قد نفدت؟ حسناً، لَمَ قاموا ببناء مكتبة في هاواي؟ تذهب إلى هاواي لتتمتّع بالطقس الجميل في الخارج؛ لا تذهب إلى هناك للجلوس في الداخل وقراءة كتاب! كلّ شخصٍ يعرف ذلك! وأنا متأكّد من أنك تابعت مسألة الطلب من معظم المباني الحكومية في ميسوري لإلغاء مصباحٍ كهربائي واحد من كل ثلاثة مصابيح بهدف ادّخار المال بعد تخفيض الضرائب. مصباح كهربائي من أصل ثلاثة؟ ناسٌ منتحبون! ما زال لديهم مصباحان! هم هؤلاء الناس البكّاؤون الذين يصيبونني بالغثيان.

انظر، هناك الكثير من الروايات عن أشخاصٍ يفتقرون إلى البراعة. الله يشهد على أنني حصلت على نصيبي منها منذ مدّةٍ غير بعيدة. ولم يكن يُصغي أحدٌ تقريباً آنذاك، ولكن - انظر إليّ الآن! أترى، إن تجاهل أشخاصٍ مثلي كانوا يمرّون بأوقاتٍ عصيبة ليس أمراً بهذا السوء. فعاجلاً أم آجلاً سيتعب الفقير من كونه متجاهَلاً ويقرّر أن يصبح ثرياً! أنا متأكّدٌ من أن هذا ما كان يفكّر به أيضاً الاستراتيجي السياسي الأعلى التابع لك، كارل روف، عندما قال إنك "شعبي" وإن إلغاءك للضرائب على الأرباح كان يستهدف "الرجل الأضعف".

وقد تكون الخطوة العبقرية في هذا الخفض الجديد للضرائب كيفيّة إبلاغ الشعب الأمريكي الأمر: "نساعد العائلات التي تربّي أولاداً ونرسل لهم معونات". وتمثّلت المشكلة الوحيدة بأنك والجمهوريين تدبّرتم أمر مشروع القانون بحيث يستثني 12 مليون ولد يجني أهاليهم ما بين 10.000 و26.000 دولار سنوياً - بمن فيهم مليون ولد ينتمون إلى عائلات عسكرية. وأولئك الذين كانوا أكثر حاجةً إلى المال لم يحصلوا على شيء. ولكن، وبالرغم من ذلك، إلى أي مدى ساهم ذوي الدخل المحدود بحملة بوش؟ أمثولة أكيدة: إذا أردت أن تأخذ، من الأفضل لك أن تعطي.

With so many millionaires getting back so many millions, thanks to George W., the IRS has an actual from just for them . . .

Form **8302**
(Rev. December 2001)
Department of the Treasury
Internal Revenue Service

Direct Deposit of Tax Refund of $1 Million or More

► Attach to your income tax return (other than Forms 1040, 1120, 1120-A, or 1120S), Form 1045, or Form 1139.

OMB No. 1545-1763

Name(s) shown on income tax return

Identifying number

Phone number (optional)
(   )

1. Routing number (must be nine digits). The first two digits must be between 01 and 12 or 21 through 32.

2. Account number (include hyphens but omit spaces and special symbols):

3. Type of account (one box must be checked):
☐ Checking ☐ Savings

General Instructions

Purpose of Form

File Form 8302 to request that the IRS deposit a tax refund of $1 million or more directly into an account at any U.S. bank or other financial institution (such as a mutual fund, credit union, or brokerage firm) that accepts direct deposits.

The benefits of a direct deposit include a faster refund, the added security of a paperless payment, and the savings of tax dollars associated with the reduced processing costs.

Who May File

Form 8302 may be filed with any tax return other than Form 1040, 1120, 1120-A, or 1120S to request a direct deposit of a refund of $1 million or more. You are not eligible to request a direct deposit if:

- The receiving financial institution is a foreign bank or a foreign branch of a U.S. bank or
- You have applied for an employer identification number but are filing your tax return before receiving one.

If Form 8302 is filed with Form 1045, Application for Tentative Refund, or Form 1139, Corporation Application for Tentative Refund, both of which allow for more than one year's reporting, direct deposits may be made only for a year for which the refund is at least $1 million.

Note. *Filers of Form 1040 must request a direct deposit of refund by completing the account information on that form. Filers of Forms 1120, 1120-A, or 1120S must request a direct deposit of a refund using Form 8050, Direct Deposit of Corporate Tax Refund. This includes a request for a refund of $1 million or more.*

Conditions Resulting in a Refund by Check

If we are unable to process this request for a direct deposit, a refund by check will be generated. Reasons for not processing a request include:

- The name on the tax return does not match the name on the account.
- The financial institution rejects the direct deposit because of an incorrect routing or account number.
- You fail to indicate the type of account the deposit is to be made to (i.e., checking or savings).
- There is an outstanding liability the offset of which reduces the refund to less than $1 million.

How To File

Attach Form 8302 to the applicable return. To ensure that your tax return is correctly processed, see Assembling the Return in the instructions for the form with which the Form 8302 is filed.

Specific Instructions

Identifying number. Enter the employer identification number or social security number shown on the tax return to which Form 8302 is attached.

Line 1. Enter the financial institution's routing number and verify that the institution will accept a direct deposit.

For accounts payable through a financial institution other than the one at which the account is located, check with your financial institution for the correct routing number. Do not use a deposit slip to verify the routing number.

Line 2. Enter the taxpayer's account number. Enter the number from left to right and leave any unused boxes blank.

Privacy Act and Paperwork Reduction Act Notice

We ask for the information on this form to carry out the Internal Revenue laws of the United States. You are required to give us the information. We need it to ensure that you are complying with these laws and to allow us to figure and collect the right amount of tax.

In addition, the Privacy Act requires that when we ask you for information we must first tell you our legal right to ask for the information, why we are asking for it, and how it will be used. We must also tell you what could happen if we do not receive it and whether your response is voluntary, required to obtain a benefit, or mandatory under the law.

Our authority to ask for information is sections 6001, 6011, and 6012(a) and their regulations, which require you to file a return or statement with us for any tax for which you are liable. Your response is mandatory under these sections. Section 6109 requires that you provide your social security number or employer identification number on what you file. This is so we know who you are, and can process your return and other papers. You must fill in all parts of the tax form that apply to you.

You are not required to provide the information requested on a form that is subject to the Paperwork Reduction Act unless the form displays a valid OMB control number. Books or records relating to a form or its instructions must be retained as long as their contents may become material in the administration of any Internal Revenue law. Generally, tax returns and return information are confidential, as required by section 6103. However, section 6103 allows or requires the Internal Revenue Service to disclose or give the information shown on your tax return to others as described in the Code. For example, we may disclose your tax information to the Department of Justice to enforce the tax laws, both civil and criminal, and to cities, states, the District of Columbia, U.S. commonwealths or possessions, and certain foreign governments to carry out their tax laws. We may also disclose this information to Federal, state, or local agencies that investigate or respond to acts or threats of terrorism or participate in intelligence or counterintelligence activities concerning terrorism.

Please keep this notice with your records. It may help you if we ask you for other information. If you have any questions about the rules for filing and giving information, please call or visit any Internal Revenue Service office.

The time needed to complete and file this form will vary depending on individual circumstances. The estimated average times are: **Recordkeeping,** 1 hr., 25 minutes; **Learning about the law or the form,** 30 minutes; **Preparing, copying, assembling, and sending the form to the IRS,** 33 minutes.

If you have comments concerning the accuracy of these time estimates or suggestions for making this form simpler, we would be happy to hear from you. You can write to the IRS at the address listed in the instructions of the tax return with which this form is filed.

Cat. No. 62280S

Form **8302** (Rev. 12-2001)

ولكن، طالبي تخفيض الضرائب! والآن، ماذا أفعل به؟ وفقاً لما تقترحه أنت، جورج، سأعيد تدويره طوعاً في اقتصادنا مّما سيؤدّي إلى فرص عمل أكثر وأجور أفضل.

وهذا ما سأقوم به بالتحديد. سأوظّف كل القيمة الناتجة عن خفض الضرائب في ما يعود على أولئك المنسيّين بالفائدة، وأولئك الذين يعملون بكدّ دون أن تكون لهم مدّخرات، وأولئك الذين يتمّ إرسالهم لخوض معارككم والموت. ولديّ فكرة أعتقد أنها ستجعل أمريكا مكاناً أفضل، وبناء مستقبلٍ أفضل لأولادنا، وضمان أن الكوكب الذي نعيش عليه يحصل على فرصة للتمكّن من بلوغ القرن الثاني والعشرين.

كيف سأنفق القيمة الناتجة عن خفض الضرائب؟

جورج، سأنفقها كلّها للتخلّص منك!

هذا صحيح. سأنفق هذه القيمة حتى السنت الأخير لأتأكّد ليلة الانتخابات من أنك ستنضمّ إلى صفوف العاطلين عن العمل والعودة إلى المزرعة. سأمنح المبلغ القانوني الأكبر للمرشّح الذي لديه الفرصة الأكبر لهزمك. سأمنح المبلغ القانوني الأكبر لأي مرشّحٍ من الكونغرس يمكنه العمل على استعادة مجلس الشيوخ من الجمهوريين. وسأحرّر شيكاً بعد شيك حتى نفاد القيمة الناتجة عن خفض الضرائب. وسأسأل قراء هذا الكتاب لتزويدي بأفكارٍ عن أفضل وسيلة لإنفاق القيمة، وبأسماء أفضل مرشحين في مناطقهم يستحقّون الدّعم. فقد أنشأت موقعاً على الويب هو www.SpendMikesTaxCut.com، وسأطلب من الناس زيارته ومساعدتي على إنفاق آلاف الدولارات التي منحتني إيّاها لتنحيتك عن منصبك. وسأطلب من الآخرين الذين لم يطلهم تخفيض الضرائب استخدام علاواتهم لاستعادة بلدنا من أولئك الذين يسعون إلى تقويض كل ما تمثّله من قيَم ونناضل من أجلها.

آمل ألا تعتبر كل ما سبق أمراً شخصياً وأنني ما أزال ممتنّاً لك لتقديمك هذه الهديّة لي. وسأنفق المال بالطريقة الفُضلى.

لك بإخلاص

مايكل مور

الفصل التاسع

جنّةٌ ليبرالية

هناك بلدٌ أرغب بإخباركم عنه. هو بلدٌ لا مثيل له على الأرض. وأنا أكيدٌ من أن العديد منكم يحبّون العيش فيه.

هو بلدٌ ليبرالي إلى أبعد الحدود، ومتحرّرٌ جداً، وحرّ التفكير.

يكره شعبه فكرة الذهاب إلى الحرب. ولم يسبق للغالبية العظمى من رجاله أن خدموا في أي نوعٍ من القوات المسلّحة، وهم غير توّاقين للالتحاق بها. هم يمقتون الأسلحة بشدّة ويدعمون كل المساعي لحظر استخدام الأسلحة النارية الفردية.

مواطنوها داعمون أساسيّون لاتحادات العمّال وحقوقهم. فهم يؤمنون بأن المؤسسات لا نفع منها ويجب عدم الثقة بها.

وغالبية المقيمين فيها يؤمنون بقوّة بحقوق النساء بالمساواة ويعارضون أي محاولة للتحكّم بقطاعاتها الإنتاجية من قِبَل الحكومة أو جماعاتٍ دينية.

وتؤمن أعدادٌ ساحقة من شعب هذا البلد الذي أتكلّم عنه بأن للشاذّين جنسيّاً من رجال ونساء فرص المستقيمين عينها، ولا يجب معاملتهم معاملة غير عادلة في أي حالٍ من الأحوال.

وفي هذا البلد، كلّ شخصٍ تقريباً يريد أن تتأمّن له الوقايات الأنجع الضرورية لضمان بيئة نظيفة. وهم يتحمّلون المسؤولية الشخصية بالقيام بعددٍ من الأشياء كل يوم للتسريعٍ في تخفيض مستوى التلوّث والتصحّر.

وهذا البلد يميل كثيراً إلى اليسار بحيث إن 80 بالمئة من شعبه يؤمن بالعناية الصحّية الشاملة والتنوّع العرقي في حرَم الكلّيات.

وهذا البلد الذي أعرف يعبّر عن الحبّ بحرّيةٍ مطلَقة وتستسيغه موسيقى الجاز بحيث إن ربع شعبه فقط يؤمنون بأنه يجب إيداع مستخدمي المخدّرات السجون – ربما لأن 41 بالمئة من مواطنيه أقرّوا طوعاً باستخدام المخدرات غير القانونية، تماماً كما فعل رئيسهم. وعندما يتعلّق الأمر بالزواج المقدَّس، فإن نسبة الاشخاص الذين يقيمون معاً دون أن يكون بينهم رابط زواج كانت 72 بالمئة في العقد الماضي (العقد الأخير من القرن العشرين)، و43 بالمئة منهم أنجبوا أولاداً.

وأقول لكم إن هذا البلد شيوعي – راديكالي – قذَري، ولا يمكن لحزبه المحافظ الحصول أبداً على أكثر من 25 بالمئة من ناخبيه الذين يعودون للانضمام إليه بشكلٍ متكرّر، بينما تُعتبر الغالبية العظمى من مواطنيه إما أعضاء في الحزب الليبرالي أم هم أسوأ من ذلك – مستقلّون أو فوضويّون (ويرفض الأخيرون قطعاً مجرّد المشاركة بالانتخابات!).

إذاً، أين هي المدينة الفاضلة التي أكتب عنها، أرض اليسار الليبرالي هذه (وما هو مدى قرب لحظة تمكّنكم وتمكّني من الانتقال إليها)؟

هل هي السويد؟

التيبيت؟

القمر؟

لا! ليس عليكم الذهاب إلى القمر... لأنكم الآن هناك! فهذه الأرض التي أتكلّم عنها، جنّة اليسار هذه، ليست سوى... الولايات المتحدة الأمريكية!

متفاجئون؟ غير مؤمنين بذلك؟ مقتنعون بأن رأيي الأخير غير دقيق؟ أنا لا ألومكم. من الصعوبة بمكان التفكير بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست سوى بلد تحكمها أكثرية محافظة، أمّةٌ أعدّ برنامجها الأخلاقي ائتلافٌ مسيحي، شعبٌ يبدو وكأنه بعيدٌ كل البعد عن أسلافه المتطهّرين. ومع ذلك، انظروا إلى من يتولّى المسؤولية في البيت الأبيض! وانظروا إلى معدّلات الموافقة التي حصل عليها!

لكن الحقيقة المرّة المبيَّتة – والأكثر محافظةً على سرّيتها السياسية في عصرنا هذا – هي أن الأمريكيين هم أكثر ليبراليةً من ذي قبل عندما يتعلّق الأمر بأنماط حياتهم والمواقف التي يتّخذون من المسائل الاجتماعية والسياسية الكبرى التي يتمّ تناولها في هذه الأيام. وليس عليكم تصديق ما أقوله – الوقائع كل الوقائع موجودة في استطلاعات الرأي.

والآن، فاتح أي ليبرالي بهذا الأمر، والليبراليون لن يضحكوا ضحكةً فاترة فحسب (توقّف الليبراليون عن الضحك منذ مدّة طويلة، والذي هو جزءٌ من المشكلة)، بل إنهم سيهزّون رؤوسهم أيضاً ويردّدون تعويذتهم الغامضة بأنهم على علمٍ بوسيلة إعلامية لها مصلحة بحملهم على الظنّ دائماً بأنهم في الجهة الخاسرة: "أصبحت أمريكا محافظة!" اطلب من أي شخص يميل إلى الليبرالية أن يصف لك هذا البلد وستسمع سلسلة من معاني القدح والذمّ تتناول كيفيّة عيشنا في بلدٍ مليءٍ بالشاحنات الصغيرة، وأسباب الألم الناتج عن السلاح، والأعلام المرفرفة في كل مكان. فهم سيتكلّمون بشعورٍ ينمّ عن الهزيمة عن مدى السوء التي ستبلغه الأمور، ويذعنون مدّة أربع سنوات أخرى للهراء الذين اعتادوا سماعه في السنوات الأربع الماضية (أو الأربع عشرة أو الأربعين).

ويجب على اليمينيين الابتهاج كلّما سمعوا هذا الاستسلام – ومن ثمّ معالجته بأي مطرقة ثقيلة يمكنهم تناولها لتعزيزه. أجل! أمريكا تدعم الحرب! أجل! أمريكا تحبّ قائدها! أجل! كل أمريكا كانت تشاهد ذي باكيلوريت الليلة الماضية! لذا، إن لم تكونوا جزءاً من كل أمريكا، ليس عليكم سوى إيقاف هذا الهراء والتقاط الهاتف وتوبيخ نادي هواة نوام شومسكي بقسوة، أيها الخاسرون البائسون!

ويعود سبب عدائية اليمينيين لدى محاولتهم سحق أي نوعٍ من الانشقاق إلى أنهم مدركون للسرّ الصغير البغيض الذي لا يفهمه اليساريون: وهو أن مزيداً من الأمريكيين يتوافقون مع اليسار أكثر من اليمين. واليمينيون يدركون ذلك لأنهم يهتمّون بالأرقام، ويقرأون التقارير، ويعيشون في عالم الواقع الذي ازداد ليبراليّةً في العقد الماضي. وهم يكرهون هذا الأمر. إذاً، فهم يكذبون وفقاً للتقليد الذي يتّبعه كل مروّجي الدعايات. وهم يحدثون حقيقة مضادّة: أمريكا محافظة. ولا يتوانون

من ثمّ بالتأكيد على هذا الأمر الخاطئ مراراً وتكراراً بحيث إن مناوئيهم السياسيين يبلغون حدّ التصديق بأنها الحقيقة.

أريد من كل من يقرأ هذا الكتاب التوقف عن تكـــرار الكذبـــة الكـــبيرة. ولمساعدتكم على الإقلاع عن هذه العادة، سأزوّدكم بالوقائع البسيطة التي لا جدل فيها. وما أنا بصدد مشاركتكم به ليس معلومات مصدرها مؤسســـات فكريـــة ليبرالية، وصفحات الـــ بيبولز دايلي أو محرّضيّ في هافانا (والذين أرسل لهم تقارير يوميّة). إنها من مصادر موثوقة بمستوى موثوقيّة مؤسسة غالاب، وأمريكية كما هم أعضاء جمعية الرماية الوطنية. وأُجريت الاسفتاءات من قِبَل مؤسسات مثل هاريس بول، ذي واشنطن بوست، ذي وال ستريت جورنال، يو إس. إي. توداي، جامعة هارفارد، المركز الوطني لاستطلاع الآراء، برنامج ساعة أخبار مع جيم ليرر علـــى الـــ بي. بي. إس، ذي لوس أنجلس تايمز، أي. بي. سي. نيـــوز، وفـــوكس نيـــوز (اللائحة الكاملة لمصادر الاستفتاءات، راجع فصل "هوامش ومصادر").

رجاءً، دعوني أقدّمكم إلى زملائكم الأمريكيين:

خمسٌ وسبعون بالمئة من الرأي العام الأمريكي يظنّون أنه يُفترَض بالإجهاض أن يكون قانونياً في كل الحالات أو في معظمها. خمسٌ وتسعون بالمئة يظنّون أنـــه يجب على المرأة والطبيب اتخاذ قرارٍ بالإجهاض، بينما يرفض 62 بالمئة رؤية ممثّـــل المحكمة العليا رو في. وايد. وفي الواقع، يظنّ 53 بالمئة أن وضع الإجهاض في إطارٍ قانوني كان أمراً جيّداً للبلاد (مقارنةً مع 30 بالمئة فقط من المستفتَين يظنّون بأنـــه سيّئ)، و56 بالمئة منّا يريدون ترك قرار الإجهاض للمرأة كما هو الحال اليوم أو – إن كنت قادراً – اجعل الأمر أكثر سهولة!

لا عجب في أن يفقد اليمين رخاميّته ولمعانه – غالبيـــة الأمـــريكيين قـــاتلو أولاد!

فمنذ أن أصبح الإجهاض قانونياً عام 1973، كانت هناك 40 مليون حالـــة إجهاض في هذا البلد. وامرأةٌ واحدة من كل ثلاث نساء تجهض بعمـــر الخامســـة والأربعين، ونصف هؤلاء يجهضنَ أكثر من مرّة واحدة.

ماذا يعني هذا الأمر للمحافظين؟ هو يعني أن النساء تقرّرنَ موعد قدوم حياةٍ ما إلى هذا العالم. النساء تتحكّمنَ كلّياً بهذا القرار. هو أمرٌ كريه يتعيّن على المحافظين قبوله؛ ومع ذلك، لم يتمّ السماح للنساء بممارسة حق التصويت إلا قبل ثمانية وثلاثين عاماً. هي مدّةٌ قصيرة لمنحهم حق اتخاذ قرارٍ بمن منّا يجب أن يولَد! وهذا يعني أن سين هانيتي الابن المرتقَب قد يتمّ التخلّص منه في وعاءٍ للإجهاض في هذا الوقت بالذات! تخيّلوا شعور الرجال اليمينيين بالعجز. نحن نخصّب، وأنتنّ لا تقرّرن الإنجاب. هكذا كان الأمر على الدوام حتى سنواتٍ قليلة ماضية.

يقول 86 بالمئة من الأمريكيين إنهم "يوافقون على أهداف حركة الحقوق المدنية". وأربعة من أصل خمسة أمريكيين يقولون إنه "من المهم للكلّيات أن تضمّ هيئات طلابية متنوّعة عرقياً". تبّاً، حتى إن المحكمة الأمريكية العليا وافقت على هذا الموضوع! وأكثر من نصف الأمريكيين يعتقدون بأن عملاً إيجابياً هو أمرٌ ضروري لمساعدة أولئك الذين حُرموا تاريخياً من هذه الفرَص. وأربع وسبعون بالمئة يعارضون هذا الطرح: "لا قواسم مشترَكة كثيرة مع أشخاصٍ من جماعاتٍ إتنيّة وأعراق أخرى" - ممّا يضعنا في الطليعة أمام بريطانيا العظمى، وفرنسا، وألمانيا، وروسيا، عندما طُرح السؤال نفسه في هذه الدول. وسبعة وسبعون منّا يرغبون بتبنّي ولد من عرقٍ آخر، و61 بالمئة يقولون إن لهم أصدقاء أو أفراد من عائلات يواعدون أو يتزوّجون شخصاً ما من عرقٍ آخر. وفي الواقع، تضاعف عدد الزيجات في ما بين الأعراق في السنوات العشرين الماضية، وارتفع من 651.000 حالة إلى 1.46 مليون.

هذا صحيح! نحن الأمريكيين مزيجٌ من خائنين عرقيين!

يمكنك رؤية دم المحافظين يغلي، أليس كذلك؟ ماذا حلّ بمقولة أن الكل يعرفون أماكنهم ويقيمون مع من يشبههم؟ جاي. لو! هي المسؤولة الوحيدة عن هذا الأمر! تأخذ كل الرجال البيض الصالحين معها. ومن ثمّ، يبدأون بإنجاب الأولاد دون أن نتمكّن من التمييز بينهم كلٌّ وفقاً لعرقه، وإن نحن تمكّنا من ذلك، فقد ندرك كم أن العرق سخيف ونبدأ بالعمل معاً على المسائل الهامّة بالفعل. وقليلٌ منها، أصدقائي، مُدرَج على جدول أعمال اليمينيين.

ثلاثٌ وثمانون بالمئة من الأمريكيين يقولون إنهم على توافق مع أهداف الحركة البيئية. ثلاثة أرباعنا يظنّون أن المشاكل البيئيّة تشكّل تهديداً جدّياً على نوعيّة الحياة في الولايات المتحدة. وخمسٌ وثمانون بالمئة قلقون بشأن تلوّث الأنهر والبحيرات، و82 بالمئة يقلقون بشأن النفايات السّامة ومياه الشّفة الملوَّثة، و78 بالمئة يقلقون بشأن تلوّث الهواء، و67 بالمئة يقلقون بشأن الضرر اللاحق بطبقة الأوزون. وتسعٌ وثمانون بالمئة من الناس يعيدون تدوير نفاياتهم، و72 بالمئة يتفحّصون المعلومات المرفَقة بالمنتجات لتجنّب شراء السّام منها، بينما يفضّل 60 بالمئة رؤية الحكومة تحثّ على مزيدٍ من توفير الطاقة أكثر من عملها على زيادة معدّلات إنتاج النفط والغاز والفحم الحجري. ولدى طلب الاختيار بين "النموّ الاقتصادي" و"الحماية البيئية"، باعتبار أن الإثنين مترابطان، يختار الأمريكيون الحماية البيئية. حتى إن ثلثي الجمهوريين أجابوا في استفتاءٍ واحد أنهم قد ينتخبون مرشّحاً مؤيّداً للشؤون البيئية على حساب آخر لا يهتمّ بها. ونسبة الأمريكيين الذين يثقون بأن المؤسسات البيئية قادرة على معرفة ما هو أفضل لعلم التبيّؤ أكثر من الحكومة هي أربعة أضعاف نسبة من لا يثقون بالأمر.

هذا صحيح، الأمريكيون يتعاطون بشؤون البيئة بشكلٍ لاعقلاني! يمكنهم في الواقع الاستفادة من بعض السمك البطيء المرقّط الناجي من التلوّث لإضافة بضعة دولارات إضافية أسبوعياً على ما يجنوه من مال. يا له من تضليل! ألم يفهموا بعد - هذا كوكبنا ويمكننا أن نفعل به ما يحلو لنا! امنحوا هؤلاء الأمريكيين فرصة شراء مزيدٍ من المركبات التي تعمل على الوقود بفعّالية (يتوقّع خبراءٌ في ميدان الصناعة أن تتراوح نسبة المبيعات السنوية للسيارات ما بين 10 و15 بالمئة)، وهم سيندفعون أفواجاً إلى صالة العرض! ماذا سيحلّ بالعالم - العالم؟

تسعٌ وأربعون بالمئة من الرأي العام الأمريكي يريدون إجراءات فدرالية لضمان السلامة تتناول صناعة الأسلحة اليدوية واستخدامها - و86 بالمئة يريدون الأمر نفسه حتى وإن رفع ثمن الأسلحة! ثلاثٌ وسبعون بالمئة من الأمريكيين يريدون تحقّقاً إلزامياً من أيّ شخصٍ يشتري سلاحاً. ويريدون مهلة خمسة أيام قبل أن تتمكّن من الحصول على سلاحٍ يدوي. ويعتقدون أنه يُفترَض

بك الحصول على إذن من الشرطة قبل التمكّن من امتلاك سلاحٍ يدوي لا يشكّل خطراً على الأولاد، ويُحظّر عليك امتلاكه إلى الأبد إذا أقدمت على ضرب زوجتك به. وفي ولاياتٍ مثل نيويورك، فإن 59 بالمئة يريدون حظراً كاملاً لكافة أنواع الأسلحة اليدوية.

وخلال انتخابات العام 2000، كانت الحملة التي قامت لتلافي العنف بواسطة السلاح قادرة على إلحاق الهزيمة بتسعة من المرشّحين الإثني عشر الذين كانوا يشكّلون لائحة "الدزينة الخطرة" المؤلّفة من رسميين تدعمهم جماعة ضغط مؤيّدة لامتلاك السلاح. وأُنفقت الــ NRA أكثر من 20 مليون دولار تلك السنة، خُصِّص معظمها للولايتين اللتين تشهدان أعلى نسبة من الصيد في البلاد - ميشيغن وبنسيلفانيا - أملاً بانتخاب حكّامٍ مؤيّدين لامتلاك الأسلحة وإلحاق الهزيمة بآل غور. ماذا حدث؟ فاز غور في كلتا الولايتين، وانتخب سكّان ميشيغن وبنسيلفانيا حكّاماً مصنَّفين "مناهضين للأسلحة" من قِبَل الــ NRA. وجاء هذا الأمر بعد عامين على ألحاق الجماعات المناهضة للأسلحة الهزيمة بالسناتور الأمريكي الجمهوري سبنسر أبراهام الذي تدعمه NRA والذي كان مفروضاً على ولاية ميشيغن بصفته مؤيّداً لامتلاك الأسلحة.

ولدى إجراء استفتاء على الأعضاء المنتسبين للــ NRA في ميشيغن، اكتشفت مؤسسة الأبحاث التسويقية EPIC-MRA والتي مركزها لانسينغ ما يلي:

- 64 بالمئة من أعضاء الــ NRA حبّذوا نشر تقارير إلزامية عن مبيعات الأسلحة اليدوية؛
- 59 بالمئة حبّذوا إجراءات تفرض الاحتفاظ بالأسلحة فارغة من الذخيرة؛
- 68 بالمئة دعموا وضع معايير متماثلة للأمان تتعلّق بالأسلحة المحلّية والمستورَدة؛
- 56 بالمئة دعموا إصدار قانونٍ ينص على الانتظار مدّة خمسة أيام قبل شراء سلاحٍ ما؛
- 55 بالمئة كانوا لصالح تحظير المستودعات الكبيرة التي تخزّن الذخائر.

الأمريكيون يريدون نزع الأسلحة من أيديهم الباردة! 25 بالمئة فقط منّا

يملكون أسلحة. والأغلبية يعلمون أنهم أقلّ أمناً إذا ما احتفظوا بسلاحٍ في البيت. لِمَ؟ لأن أكثر من مليون أمريكي قُتلوا بواسطة أسلحة منذ اغتيال كنيدي. لما كان بإمكاننا قتل هذا العدد من أبناء بلدنا لو أننا كرّرنا حرب فييتنام خمس عشرة مرة! وهذا يعني أن كلاً منّا يعرف شخصاً ما قُتل بسلاح. وأنتم تعلمون ماذا يحدث عندما يرى كل هؤلاء الناس، وبشكلٍ مباشَر، المأساة التي تحلّ نتيجةً لعنفٍ ارتُكب بواسطة السلاح - ينتهون إلى كره السلاح! وهذه هي حال غالبية البلاد.

ثمانية من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أنه يجب توفير الضمان الصحي بالتساوي بين كل من يقطنون البلاد. ويقول 52 بالمئة إنهم قد يكونون مستعدّين لدفع مزيد من الضرائب أو علاوات على الضمان لرؤية هذا الأمر يتحقق. فليس من المستغرَب أننا نريد ضماناً صحّياً وطنيّاً بما أن كلاً منّا يُنفق 4.200 دولار سنوياً، بينما ينفق الشخص الواحد في الدول التي تعتمد العناية الصحية العالمية مبلغاً أقل بكثير: 2.400 دولار في ألمانيا؛ 2.300 دولار في كندا؛ 1.400 دولار في المملكة المتحدة.

أجل، الأمريكيون اشتراكيون ويريدون طبّاً على أساسٍ اشتراكي! لِمَ؟ لأنهم يمرضون! ومن لا يمرض - ومن لا يريد أن يتعافى؟ وحتى الآن، شاهد ملايين من الناس مدّخراتهم تتبخّر بسبب حادثٍ ما أو مرضٍ رهيب. وهم لا يولون أهمّية للأمور المكلفة إلى هذا الحدّ. يريدون إصلاحها فقط. وعندما يبدأ الطفل بالمعاناة من داء المفاصل وفقد خصيةٍ واحدة أو اثنتين، انظروا مدى سرعة حصولنا على عناية صحّية عالمية. ويعود السبب الوحيد لعدم حصولنا عليها بعد إلى أن السياسيين الذين يعارضونها مغطّون كلّياً بمشاريع صحّية سخيّة جدّاً. فهم نادراً ما اضطرّوا إلى تسديد فاتورة طبيب في حياتهم ولا يريدون منكم التوقف عن دفع فواتيركم الآن. لا شيء يبدو أكثر قساوة - أو أكثر مدعاةً للسخرية - من هؤلاء الذين لم يدفعوا يوماً سنتاً واحداً لقاء جلسات مرتفعة الثمن تعالج التقلّصات والارتكاسات اللاإرادية، مطلقين على تلك اللواتي تُردن فقط استئصال ذلك الورم الخبيث من رحمهنّ لقب اشتراكي. حسناً، باتت الثورة قريبة، ولنأمل بأن يتسبّب كل أولئك الاشتراكيين للأثرياء بألمٍ في الرأس لا يمكن لقنّينة أدفيل أن تزيله.

إثنان وستون بالمئة من الناس الذين تشاركوهم هذا البلد يؤيّدون تغيير القوانين الحالية بحيث إن عدداً قليلاً من منتهكيها اللاعنفيين يـذهبون إلى السـجن. هـذا صحيح، يريدون مجرمين يجوبون الشوارع! وثمانون بالمئة يريدون تأمين خدمة اجتماعية أكبر لأولئك الذين يخرقون القانون، ويعتقد 76 بالمئة بأنه يُستحسَن بمنتهكي القـانون أن يبقوا خارج السجون للتعويض على ضحاياهم من أن يكونوا معـتقَلين. ويفضّـل سبعٌ وأربعون بالمئة إخضاع مستخدمي المخدّرات اللاعنفيين للعلاج والاختبار.

الأمريكيون سريعو التأثّر بالجريمة! هم جماعة من القلـوب الدّاميـة! وهـم أنفسهم مدمنو مخدّرات! فأربعةٌ وتسعون مليـون أمريكـي تعـاطوا المخـدرات اللاشرعيّة مرّةً واحدة على الأقل في حياتهم. فلا عجب من أنهم يريدون السـماح للسكارى بالاندفاع إلى الشوارع كالمجانين ويعيثون بالأرض خراباً.

خمسٌ وثمانون بالمئة من الأمريكيين يؤيّدون فرصاً متساوية في أمـاكن العمـل للشاذين جنسياً من ذكورٍ وإناث. و68 بالمئة يريدون قوانين تعاقب كل من يعامـل موظفين من المثليّين الجنسيين معاملة غير عادلة. ويؤيّد ثلاثٌ وسبعون بالمئـة القـوانين التي تعاقب على جرائم الكراهية وتحظّر المعاملة غير العادلة في الأعمال المنزلية. ونصف المستفتَين يقولون إنه يُفترَض بثنائي المثلي الجنسي، ذكوراً كانوا أم إناثاً، الإفـادة مـن الضمان الاجتماعي بينما يؤيّد 70 بالمئة توفير الضمان الصـحي للمثلـيّين الجنسـيين الذكور الذين يلعبون دور الزوجات. ونصف الأمريكيين لا يجدون مشكلة في أن يقوم الأزواج من المثليين الجنسيين الإناث بتبنّي الأولاد.

الأمريكيون هم مجموعة من العشّاق المخنّثين! شرّعت المحكمة الأمريكية العليا ممارسة الجنس بين المثليين الجنسيين. ماذا بعد ذلك - يا كهنة اللـواط؟! كيـف سنكون رجوليين بشكلٍ عدائي خلال الحرب القادمة إذا بات كل رجالنا يعاملون الرجال الناعمين برفق؟

وفقاً لاستفتاء أجرته غالاب عام 2002، اعتقـد 58 بالمئـة أن اتحـادات العمّال كانت فكرةً جيّدة. أظهر استفتاءٌ لـــ AFL-CIO أن 56 بالمئـة مـن المستفتَين يوافقون على الاتحادات، حتى إن استفتاءً عادلاً ومتوازناً أجرته فـوكس نيوز أظهر أن نصف البلد أبدى انطباعاً مؤيّداً للاتحادات (بينما عارضه 32 بالمئـة

فقط). وبما أن 13.2 بالمئة من عمّال البلاد ينتمون إلى اتحادات، فإن كل هذا التأييد يجب أن يكون صادراً إذاً عن نصف العمّال غير المنتسبين إلى اتحادات والذين يمكنهم الانضمام إلى أحدها. والأهم من كل ذلك أن 72 بالمئة يعتقدون أن واشنطن لا تولي اعتباراً كبيراً للأمريكيين العاملين.

وانتهى العامل الأمريكي العادي إلى الارتياب الكامل بأمريكا المؤسسات: ثمانٌ وثمانون بالمئة يكادون لا يثقون بالمسؤولين التنفيذيين للشركات؛ 68 بالمئة يظنّون أن هؤلاء المسؤولين التنفيذيين هم أقل نزاهةً وجدارة بالثقة ممّا كانوا عليه منذ عقد من الزمن؛ 52 بالمئة يثقون قليلاً بسلوك الشركات أو لا يثقون البتّة، بينما 31 بالمئةً لها بعض الثقة؛ 65 بالمئة يظنّون أن الشركات الأمريكية بحاجة إلى إصلاحٍ كبير؛ و74 بالمئة يظنّون أن المشاكل التي تشهدها الشركات الأمريكية ناتجة عن الجشع والافتقار إلى الأخلاق. يعلمون أن هؤلاء المسؤولين لا فائدة منهم ويجب مراقبتهم على الدوام.

الأمريكيون يكرهون المدراء! ولا سيما المدراء ذوو الصلاحيات المطلَقة! فهم يعتقدون أنه عليهم الحصول هلى حصتهم العادلة، وأنه يجب أن لا يكون مقرّ العمل المكان حيث يموتون. ويعتقدون أنه يجب على المستخدِمين التصرّف بالطريقة المناسبة.

وكما ترون، نقيم في بلد حيث الناس يؤمنون بالمساواة العرقية، وحقوق المرأة، والاتحادات العمّالية، وبيئةٍ نظيفة، ومعاملة عادلة للشاذّين جنسيّاً من ذكور وإناث. حتى إنه في المسألة الوحيدة التي تميّز المحافظين - حكم الإعدام، فقد انخفضَ التأييد لعقوبةٍ قصوى، إلى حدّ كبير، في السنوات الخمس الماضية (يعود الفضل بذلك جزئياً إلى عمل أولئك الطلاب في جامعة نورث وسترن الذين اكتشفوا أن أحد عشر شخصاً هم أبرياء في زنزانات الموت في إيللينويس). وبينما كان 80 بالمئة من الناس يؤمنون بحكم الإعدام، فقد انخفضت هذه النسبة إلى 64 بالمئة. وإذا ما سُئلوا عن شعورهم حيال العقوبة القصوى إذا كانت تضمن حصول مجرمٍ من الدرجة الأولى على حكمٍ لا يُخرجه أبداً من السجن، فإن تأييد حكم الإعدام ينخفض إلى 46 بالمئة. هو انخفاضٌ مذهل لتأييد يتناول أحد نشاطاتنا القوميّة الأكثر شؤماً وقسوة، والذي لا يمارَس من قِبَل أي دولة صناعية غربية أخرى على هذا الكوكب. وفي الواقع، أظهر استفتاءٌ للـ سي. إن. إن. أن 60 بالمئة من

الأمريكيين يدعمون الآن صدور قرارٍ رسمي على مستوى البلد ككلّ يؤجّل تنفيذ أحكام الإعدام فيما تقوم لجنة بدراسة ما إذا كان حكم الإعدام مطبَّقاً بعدل.

كيف حدث هذا الأمر؟ حدث لأن للشعب الأمريكي قلباً طيّباً وضميراً حيّاً. ولن تقوم الغالبية بتأييد قتل كائنٍ بشري بريء حتى وإن ما زالوا يؤمنون بحكم الإعدام كمفهوم. لذلك، فقد بات وضع حدّ للعقوبة القصوى على قاب قوسين. وبما أن الناس باتوا مدركين لكيفيّة الحكم على أحدهم بالإعدام، فهم لن يستمرّوا بتأييد مسعىً على هذه الدرجة من الخطورة.

وهذه الطيبة التي أؤمن بها هي في صميم معظم الأمريكيين وهي ما تقودهم في غالب الأحيان إلى ميولٍ ليبرالية. فهم لا يريدون العذاب للآخرين. يريدون أن يحصل الجميع على فرصٍ عادلة في الحياة. يريدون لأحفادهم أن ينعموا على هذا الكوكب.

والمحافظون على علْمٍ تامّ بأن هذه هي أمريكا الحقيقية - وما يقودهم إلى الجنون هو العيش في أمّة ليبرالية مماثلة. ويمكنكم سماعهم في أي يومٍ من الأسبوع في برامج المحادثة الإذاعية وعلى محطة التلفزة فوكس نيوز؛ يتوجّهون لليمينيين بالصراخ والانتقاد اللاذع. هل تساءلتم يوماً عن سبب غضبهم هذا؟ أعني، حاولوا الاستماع إليهم. فهم يقضون اليوم بكامله، وكل يوم، بالتعبير عن نكدهم حيال الخائنين الليبراليين، وجماعات الليبراليين، والمراوغين الليبراليين، والفرنسيين الليبراليين - أقلق أحياناً من أنهم سيختنقون بحقدهم الخاص، وسيكون على أحدهم ابتكار مناورة كرهٍ شبيهة بمناورات هايمليش. وفي ما يلي بعض الأمثلة عمّا يتمّ بثّه عبر أثير موجاتنا الإذاعية والتلفزيونية:

"إذاً، أنت أحد الشاذّين جنسياً. ليس عليك سوى أن تُصاب بالإيدز والموت بعد ذلك، أيها الخنزير. ما رأيك بالموضوع؟ لَم لا تحاول مقاضاتي، يا خنزير. أليس لديك أفضل من سحقي، يا شبيه النفايات؟ ليس بيدك حيلة، اذهب وكُل ما طاب لك من النقانق".

- مايكل سافادج

"كلّ ما يمكّنهم من القضاء على المسيحية واليهودية هو لصالحهم

[الليبراليون]. لأن آراءهم مشوَّهة، لأن الليبرالية ليست فلسفة، الليبرالية هي فوضى فكريّة".

– مايكل سافادج

"الله يقول: 'الأرض لكم. خذوها. اغتصبوها. هي لكم'".

– آن كولتر

"نحتاج إلى إعدام أشخاصٍ مثل جون واكر بهدف التهويل جسديّاً على الليبراليين، وجعلهم يُدركون أنه بالإمكان قتلهم أيضاً. وإلاّ، فإنهم سيصبحون خائنين كلّياً!".

– آن كولتر

"يجب علينا اجتياح بلدانهم، وقتل قادتهم وإهدائهم إلى المسيحية!".

– آن كولتر (حول إرهابيي 11 أيلول/سبتمبر)

"سأخبركم، عندما يقول مايكل مور إن هذا الرئيس هو رئيس غير شرعي يتخطّى حدوده، فهو يتخطّى حدوده... يتخطّى الحدود إلى الفوضى من غير ريب".

– بيل أورايلي

"هذا صحيح أنه إذا كنت فقيراً ولا تستطيع تحمّل مصاريف محامٍ جيّد، فإن أرجحيّة ذهابك إلى السجن ترتفع فجأةً. ولكن أتعلم؟ كن قويّاً!".

– بيل أورايلي

"جُعلت المساواة بين الجنسين لتمكين النساء غير الجذّابات من ولوج الاتجاه السائد في المجتمع بسهولة!".

– راش ليمبوو

"أنتم أيها اليساريون لم تكونوا هناك خلال الحرب الباردة. لستم هنا الآن.

لو أننا استمعنا إليكم من قبل، لكنّا الآن منحنين أمام رجْلي أحد الديكتاتوريين في مكانٍ ما!".

– سين هانيتي

"هم مجموعة من عديمي الحيويّة، جبناءٌ ضعيفو الشخصية!".

– سين هانيتي (حول يساريّي هوليود)

"كندا هي دولة يسارية اشتراكية عاجزة. أي نوعٍ من الأصدقاء هم؟".

– سين هانيتي

في أحد الأيام، كنت أتكلّم إلى الممثّل تيم روبيتر – وهو غالباً ما يكون عرضةً لهذيان اليساريين المولعين بالقتال – وقال: "لِمَ هم دائماً بهذا المستوى من الجنون والغضب بالرغم من أنهم يتحكّمون بالبيت الأبيض، ومجلس الشيوخ، ومجلس النواب، والمحكمة العليا، ووال ستريت، وكل برامج المحادثة الإذاعية، وثلاث من أربع قنوات إخبارية تبلغ المشاهدين عبر الكابل؟ فقد حصلوا على حربهم، وحصلوا على ما أرادوا من خفضٍ للضرائب، وقد حصل القائد الأعلى لقواهم المسلّحة على تأييد بنسبة 70 بالمئة! قد تظنّون أنهم سعداء، ولكنهم ليس كذلك".

عندما تكون مسؤولاً عن كل شيءٍ تقريباً، فإن حزنك قد ينمّ عن حالة مرَضيّة. تخيّل ما قد يكون سلوكنا إذا كان جيسي جاكسون رئيساً، والديموقراطيون الليبراليون يتحكّمون بمجلسي الكونغرس، ويجلس ماريو كوومو وتيد كنيدي على قوس المحكمة العليا، وتملك الـ ذي نايشن القناة التلفزيونية الإخبارية الكبرى. يا رجل، لا بدّ أننا في السماء السابعة – لا بل الثامنة! – وبإمكانك سماع الفرح في أصواتنا ورؤية البسمات على وجوهنا.

وهذا ما اكتشفته في ذلك الوقت: اليمينيون مضطربون إلى هذه الدرجة لأنهم يعلمون بالتحديد أنهم أقلّية. ويعلمون، في قلوبهم، أن الأمريكيين لا يوافقونهم الرأي في الواقع، ولن يفعلوا. فالأمريكيون، كغالبية البشر، لا يريدون التقرّب من الأشخاص المليئين بالحقد والخبث. ولهذا السبب هم غاضبون، لأنهم يعلمون بأنهم

جنس بشري على طريق الزوال. يعلمون أن الأمور تفلت من أيديهم، لـذا فهم يحاولون التسبب بأكبر قدرٍ من الضرر قبل أن تنقرض ذرّيتهم السياسية. فهم ينبحون نباح كلبٍ يحتضر، وينتحبون كالديناصورات في أيامهم الأخيرة. وعوضاً عن مقاتلتهم، يجدر بنا الشعور بالأسف لحالهم.

وبالطبع، فإن معظم الأمريكيين قد لا يرغبون بوصف أنفسهم بأنهم "ليبراليون"، وقد باتت هذه الكلمة الأكثر مدعاةً للسخرية في السياسة الأمريكية خلال العقدين الأخيرين. فكل ما على الجمهوريين القيام به هو وسم المناوئين بالوسم "الليبرالي" فتكون نهاية هؤلاء الفاشلين محتّمة. و لم يساعد الليبراليين أمر تلاعبهم بجناح اليمين من خلال الكف عن وصف أنفسهم بأنهم يمينيون، أوّلاً، ومن ثمّ القيام بما ينفي عنهم صفة الليبرالية. وغالباً ما اقتبس الليبراليون تصرّفات المحافظين بحيث إنهم أعطوا عبارة "رجل ضعيف" معنىً جديداً.

ولهذا السبب يكره الأمريكيون عادةً التصويت لصالح الليبراليين. فعبارة "قائد ليبرالي" تنمّ في غالب الأحيان عن منحى تناقضي – الليبراليون لا يقودون، بل يتبعون. والمحافظون هم قادةٌ حقيقيون يتمتّعون بجرأة المواجهة، لا يخضعون ولا يتراجعون، وهم لا يستسلمون أبداً. فهم متمسّكون بمُثُلهم وأهدافهم بطريقةٍ لا تلين. هم لا يخافون أحداً ويحترمهم الجميع. وبكلمات أخرى، هم يؤمنون بشيء ما في الواقع. متى كانت المرة الأخيرة التي التقيتم فيها ليبرالياً أو ديموقراطياً متمسّكاً بمبدأ ما لأنه كان مُحقّاً؟

ولهذا السبب لا يثق معظم الأمريكيين بالليبراليين. فأنتم لا تعلمون أبداً وجهتهم. فمع الجمهوريين والمحافظين على الأقل، ما ترونه هو ما تحصلون عليه، وهو أمرٌ مريح للملايين في هذه الأزمنة الرهيبة.

وتتمثّل المشكلة الأخرى بأن العديد من الليبراليين لا يميلون إلى المزاح كثيراً ولا يبدون بالتأكيد كمن يقضي وقتاً ممتعاً. فمن يرغب بالارتباط بهؤلاء الناس؟

غير أن قاموس Webster's Collegiate Dictionary يعرّف عن كلمة ليبرالي بما يلي: "غير محدود التفكير أو منكمش في تفكيره؛ غير أناني" و"غير ملتزم بمعتقدات قويمة تقليدية أو بنماذج معيَّنة من الفلسفة السياسية أو الدينية؛ مستقل

الرأي؛ غير محافظ؛ مشجّع لحرّية واسعة في مؤسسات وإدارات الحكومة..." ويعرَّف عن الليبرالي أيضاً بالكرم، "وهو ذو مزاجٍ مستعدٌّ تماماً للعطاء، والتقدير، والتصرّف بطريقة ملائمة، ألخ".

وهكذا بالتحديد يفكّر غالبية الأمريكيين، ويتصرّفون في هذه الأيام. وبالرغم من أنهم لا يستخدمون الكلمة بحدّ ذاتها، فهم يعيشون ويتنفّسون ليبرالياً من خلال كلماتهم وأعمالهم اليومية. وكمعظم المستقلّين تماماً، فإن النساء المتمتّعنَ بحريّة التفكير نادراً ما تستخدمنَ عبارة "المساواة بين الجنسين"؛ فأعمالهنّ أكثر إنباءً من افتقارهنّ إلى ما يعرّف عليهنّ. فمساواتهنّ الفعلية مع الرجل كفيلةٌ بالتعريف عنهنّ.

دعونا لا نركّز كثيراً على التعابير. فمعظم الأمريكيين لا يتعاطون مع العالم من خلال التعابير الوصفيّة، بل من خلال الفطرة السليمة والحكم على الأشياء بصوابيّة. وبالنسبة إلى غالبية الأمريكيين، من الصائب والبديهي بمكان عدم تلويث الهواء والماء، وعدم تدخّل الحكومة بشؤون غرف نوم الراشدين أو أعضائهم التناسلية، وعدم صوابيّة حرمان الناس من فرصة بسبب لون بشرتهم ببساطة. ولا يعتبر الأمريكيون هذه الأشياء مسائل سياسية، بل أساساً منطقياً. وبما أن هذا الموقف مماثلٌ لمعنى الـ "ليبرالية" الذي تحدّده الكتب المدرسية، لَمَ لا نبدأ إذاً بتفحّصه بعناية ونحدّد هذا التبدّل الثقافي من منطلَقٍ مختلفٍ كلّياً؟

فلنبدأ بالقول ما يلي: غالبية جديدة تتمتّع بفطرةٍ سليمة تحكم البلاد. هل أن 75 مليون شخص لا يتوافر لهم تأمين صحّي تقريباً في السنتين الماضيتين يُعتبر فطرة سليمة؟ هو ليس كذلك بالطبع؛ فلا بداهة في الأمر. أمن الفطرة السليمة السماح لخمس شركات بامتلاك الموارد الرئيسية للمعلومات والأخبار في أمريكا؟ كلا بالتأكيد. أمن الفطرة السليمة أن يكون لكل شخصٍ عمل ويتقاضى أجراً يمكن التعويل عليه؟ يمكنك المراهنة على ذلك – هي سلامة الفطرة بعينها.

فمن هو الشخص اللائق الذي لن يكون مع هذه الأمور؟ نحن بحاجة إلى وضع برنامجٍ قائمٍ على الفطرة السليمة وانتظار نتيجة التقييم. فالمجموعة الصغيرة من اليمينيين الذين يتحكّمون الآن بمعظم أوجه حياتنا هم الأقلية التي لا معنى لها – أو هي لا تتمتّع بفطرةٍ سليمة. هم لا يمثّلون المجموعة الأكبر في هذا البلد.

وقد تقولون في سرّكم: "إذا كان الأمر صحيحاً، إذاً لَمَ يحظى بوش بهذه المعدّلات العالية من الموافقة؟".

الجواب بسيط بالنسبة إليّ. تمّت مهاجمة أمريكا. ومات أكثر من 3.000 شخص. من أبسط أمور الطبيعة البشرية أنكم ستتبعون قائدكم إذا ما تعرّضتم لهجوم - أيّاً كان هذا القائد. والمعدّلات العالية التي يتمتّع بها بوش ليست تأييداً لسياساته، بل هي ردّة فعل بلادٍ مرتعبة لا خيار لها سوى دعم الرجل الذي أولي أمر حمايتها. فأمريكا لم تقع في غرام بوش - هي حالةٌ أشبه بـ "الوقوع في غرام من تلتصق به".

دعوني أقولها ثانيةً: جاء التأييد الساحق للحرب في العراق بعد بدء الحرب. فقبل الحرب، قال غالبية الأمريكيين إنه لا يجدر بنا اجتياح العراق ما لم نحظى بدعم ومشاركة كل حلفائنا، بالإضافة إلى الأمم المتحدة. ولكن، ما إن بدأت الحرب حتى بات العدد الأكبر من الأمريكيين داعمين للجنود على أن يعودوا إلى ديارهم سالمين. وبالرغم من كل شيء، هم أبناؤهم الذين أُرسلوا إلى هناك. فماذا كان يجدر بهم القول لمُجري الاستفتاء على الهاتف عندما كان ابنهم أو ابنتهم أو أولاد جيرانهم هم من ألحق بهم الأذى؟

ومنح التأييد لبوش هو أمرٌ غير حكيم. فالاقتصاد على المحك. والناس يبذلون جهوداً كبيرة كل يوم للتمكّن من الاستمرار. ولا يمكن لبوش ولزملائه الأثرياء أن يبقوهم سعداء في أي حالٍ من الأحوال. وبالرغم من أن مواطني أمريكا يحبّون بلدهم ويريدون دعمه، فإنّ كونهم عاطلين عن العمل - أو أن فرداً واحداً يسدّد الفواتير - هو ما سيؤثّر على قراراتهم في يوم الانتخابات.

لذا، تشدّدوا وانظروا حولكم. أنتم تعيشون في بلدٍ مليءٍ بالناس الذين يتمتّعون بتفكيرٍ تقدّمي، وميولٍ ليبرالية، وقلوبٍ طيّبة. هوّنوا على أنفسكم - تفوزون! ونفوز جميعاً! فلنتشدّد بمعاني الانتصار والعمل معاً على إعادة وصل ما انقطع - أنّى لهذا أن يحدث في بلدٍ من اليساريين يتحكّم فيه اليمينيون بكل شيء. فهم لا يمثّلون إرادة الشعب، ويجب تغيير ذلك. ابدأوا بالتصرّف كالمنتصرين وأعلنوا على الملأ أن البلد هو بلدنا.

الفصل العاشر

كيف تتكلّم مع زوج أختك المحافظ

تعلمون، المشهد جميلٌ للغاية. عشاء عيد الشكر. فقد اجتمع كافة أفراد العائلة مرّةً أخرى على الطاولة لتشاطر الأوقات السعيدة ووجبة مشبِعة. التوت البرّي ناضج، العصفور سمين، وزوج أختك ذلك على الجانب الآخر من الطاولة مرّةً أخرى. "خفض الضرائب الذي أقرّه بوش سيضع هذه البلاد مجدَّداً على طريق الرخاء الاقتصادي!". وفجأةً، ساد الغرفة سكوت غير مريح وحاول أحدهم تغيير الموضوع. وأردف زوج الأخت - وهو يدّعي العلم بكل شيء ولكنه يعامل أختك جيّداً، وهو بالرغم من ذلك أحمقٌ ذميم، قائلاً بأسلوبٍ مألوف: "العديد من المتسكّعين يعيشون في رفاهة"، "العمل الإيجابي يُبطل التمييز في المعاملة"، "يُفترض بهم بناء مزيد من السجون ورمي المفاتيح". وما لبثت قريبتك ليديا التي تقضي في المترل عطلةً منحتها إيّاها كلّية أنتيوش، وقد سمعَت ما يكفي، أن دعته "عرقي" و"صبياني". وفجأةً، تطايرت البطاطا المهروسة المزيّنة بالتوابل التي أعدّتها الجدّة فوق الطاولة كقذيفة صاروخية أمريكية في صباحٍ مشمس على المناطق السكنيّة في بغداد - وتحوّل اجتماعٌ أنيسٌ وحميم للعائلة والأصدقاء إلى النسخة المطبخيّة لـ كروسفاير.

فلنواجه الأمر. في كل عائلة تقريباً رجعيٌّ يميني واحد على الأقل يعبّر عن الأمور على هواه، وما بيدكم حيلة. والحقيقة الإحصائية تقول إنه من كل ليبراليّين

اثنين هناك شخصٌ واحد يتوق إلى أيام ستروم ثورموند.

يبدو أنني كنت قادراً على مواجهة هؤلاء الأشخاص خلال السنة الماضية. فقد كتب العديد منهم لي رسائل مطوَّلة تنمّ عن انفعالٍ نادراً ما نصادفه في الجانب السياسي حيث نقف. ويستوقفني البعض في الشارع محاولين الدخول معي في نقاشٍ حادّ. وفي عددٍ قليل من هذه المرّات، سألتهم إن كانوا يرغبون بالجلوس وتناول كوبٍ من القهوة معي (بالرغم من أنني لا أشرب القهوة أبداً، بينما كانوا هم يفرطون في تناولها). ولا أدخل معهم في جدال، بل عوضاً عن ذلك، أستمع إليهم يتكلّمون بحماسة بالغة عن بوش، والليبراليين، وما هو لخير اللوطيين. هو مجرّد قيءٍ من الكلام. فشكاواهم طويلة وتبدو كلّها متشابهة، وكأنهم يقتبسون حججهم اليوميّة من كونان الهمجي. فلا يسعون سوى إلى تخليص الأرض من الثقافيين التعدّديين ذوي القلوب الدّامية أينما كانوا يمارسون اللواط.

ولكن، إذا استمعتم إليهم لمدّة طويلة وباحتمالٍ مضنٍ، يمكنكم سماع استغاثاتهم الضعيفة والمتباعدة. ومن الواضح أنهم يعانون من مرضٍ فريد يقودهم ببطء إلى الجنون. هم خائفون لأنهم جاهلون للأمور. يجهلون الكثير من أمور العالم التي تخرج عن سيطرتهم. لا يملكون جواباً لكون المرء أسودَ أو فقيراً ميؤوساً منه أو راغباً بتقبيل أحدٍ ما من أبناء جنسه. ويؤدّي هذا الجهل الأساسي إلى حالةٍ من الخوف والإرباك المستمرّ. وسرعان ما يتكشّف الخوف عن كراهية تؤدّي في النهاية إلى مكانٍ مظلمٍ جدّاً، تتآكلهم رغبةٌ بإيذاء الآخرين لا بأيديهم بالذات (عادةً ما يخافون القيام بالأمر بأنفسهم) بل من خلال: "حرمانهم من اعتماداتهم المالية! من وظائفهم! وإعدام المغفّلين!".

ولم يصبح هذا الكره سياسياً فحسب، بل شخصياً أيضاً. بما أن كلّ من تزوّج بأحدٍ من هؤلاء الأشخاص أو كان له منهم قريبٌ أو جارٌ أو ربّ عملٍ، يدرك ما يجري. هي طريقٌ وعرة عندما تبدأون يومكم بغضبٍ متأصّل حيال كلّ من ليس أنتم.

ولا علم لي بوجود مدرسةٍ ما أو علاجٍ نفسي لمداواة هذا المرض؛ ولا وجود لدواءٍ طوّرته الشركات المنتجة للمستحضرات الصيدلية لهذا الغضب المحافظ. (في

الواقع، تحتاج شركات الدواء لهؤلاء الناخبين المحافظين لضمان أنهم لن يتمّ تعديل آرائهم أبداً؛ لذا، فمن مصلحتهم التأكد من أن هؤلاء الغاضبين البيض لن يُشفوا أبداً).

وأعتقد جازماً بأنه يمكن إظهار الخطأ الذي يقع فيه العديد من هؤلاء المحافظين. ويمكن تشجيعهم على التفكير بطريقة مختلفة بالمسائل التي تثير قلقنا، والتعامل معهم من منظورٍ مختلف لا يهدّدهم أبداً أو يحرمهم من القيَم الجوهرية التي يتمسّكون بها. وأعتقد بأن العديدين ضائعون في غضبهم الخاص وقد تأثّروا بالحملات الدعائية التي تهدف إلى جعل دمائهم يغلي. ويعلم رؤساء الشركات، ورؤساء الجماعات الدينية والسياسية تماماً على أيّ أزرارٍ يضغطون لحمل الأشخاص الجديرين بالاحترام وذوي النوايا الحسنة على الانضمام إلى صفوفهم.

وأظنّ أنه يوجد طريقة لقلب الأمور لجعل زوج الأخت ذاك يهتدي.

والآن، قد تقولون: "مهلاً، مهلاً – نحن لسنا في مهمة تبشيرية! ليس إذا كان المقصود السير مع هؤلاء المعتلّين عقلياً!"

ولكن ألا تريدون رؤية حدوث بعض التغيير خلال حياتكم – تغيير حقيقي تدريجي دائم؟ ألا تريدون سحب البساط من تحت هذه الحركة المفترَض أن تكون محافظة والتي تصيب الكونغرس والعديد من الجمهوريين بالعدوى؟ ألا تريدون الحصول على بعض المرح؟

أنا لا أتكلّم عن محاولة تغيير عقول المتعصّبين. والأمر ليس محاولة الفوز على اليمين الطائش. فقد ذهبوا بعيداً في سلوكهم. وهم، بصراحة، لا يستأهلون القلق بشأنهم.

أنا أشير إلى الناس الذين تعرفون، وتحبّون أيضاً. فهم يُعنون جيّداً بأولادهم، ويحافظون على منازلهم منظّمة ومرتّبة، يذهبون إلى الكنيسة طوعاً – ويصوّتون دائماً، وبشكلٍ لا يصدَّق، للجمهوريين. لا يمكن تصوّر ذلك. وإذا كان يبدو شخصاً صالحاً، لَم ينحاز إذاً إلى حزب أتيلا الهُوني المغولي؟

إليكم نظريّتي: لا أصدّق أن هؤلاء الأشخاص هم جمهوريون في الواقع. هم

يستخدمون كلمة سمعوها لأنها كانت مرتبطة بالتقليد، والفطرة السليمة، وادّخار المال. وهكذا قاموا بالتعريف عن أنفسهم بأنهم جمهوريون. فمن كان أول جمهوري سمعتم عنه في صف التاريخ؟ آبيه لينكولن الفاضل - وهو الشخص الصالح بما يكفي لنقش صورته على السنت وورقة العملة من فئة خمس دولارات! إضافةً إلى أنه جعلكم تحصلون على عطلةٍ ليومٍ واحد.

هؤلاء الناس لا يمتّون، في الحقيقة، إلى الجمهوريون بصلة إلا بالاسم فقط. حاولوا أن تسألوهم مجموعة من الأسئلة: هل تريدون بيئة نظيفة؟ هل تعيشون في محيطٍ من الناس السود؟ هل تؤمنون بالذهاب إلى الحرب لإيجاد حلٍّ لفوارقنا مع الآخرين؟ ففي معظم الأحيان، لا يعطون أجوبة جمهورية موحَّدة. لديّ صديقة تعرّف عن نفسها بأنها جمهورية، ولكن عندما أسألها إذا كان يتوجّب على النساء أن يُدفع لهن الراتب نفسه الذي يُدفع للرجال، تقول: "يجب أن يُدفع لنا أكثر!" وعندما أسألها إذا كان يُفترَض السماح للناس بالتخلّص من نفاياتهم في البحيرة حيث تعيش، تذكّرني بأنها عضو في هيئة المحميّة المحليّة. وعندما أسألها عن تطوّر مواردها المالية منذ أن كانت قادرة على التخلّص من "كلينتون الكاذب ذاك"، تقول: "لا تسأل".

ومن ثمّ، أقول لها، إذا قاد بوش الاقتصاد إلى الحضيض وكلّفكِ آلاف الدولارات، وإذا أراد الجمهوريون تسهيل الأمر على الناس لرمي الهراء في بحيرتك، وإذا تظنّين أنه يجب أن تكون لك حقوق الرجال نفسها - إذاً لَمَ بحق السماء تدعين نفسك جمهورية؟!

"لأن الديموقراطيين سيرفعون قيمة ضرائبي"، أجابت بقناعةٍ تامّة.

هي التعويذة الخفيّة لمن لا يمتّون إلى الجمهوريين بصلة إلا بالاسم. وبالرغم من أن هؤلاء "الجمهوريين" لا يؤمنون بشكلٍ واضح بقسمٍ كبير من البرنامج الجمهوري، ويعلمون بأن الجمهوريين سيجعلون حياتهم بائسة من نواحٍ عديدة، فهم يتمسّكون بالشعار الجمهوري لسببٍ واحد فقط: يظنّون أن الديموقراطيين يربضون لهم لسرقة ما ادّخروه من مال بكدٍّ وتعب.

وكما سبق وقلت، أظنّ أننا نعيش في بلدٍ غالبيّته من الليبراليين، ولكن إذا كنّا

نريد في الواقع تحقيق تغييرٍ مستمرٍّ ناجح، علينا حمل عدّة ملايين من هؤلاء الذين لا يمتّون إلى الجمهوريين بصلة إلا بالاسم إلى الانضمام إلى صفوفنا. هم ينتظرون هناك، راغبين بالانتقال إلى جهتنا - طالما كان بإمكانهم نقل أموالهم معهم.

وهكذا، وضعتُ مجموعةً من الاقتراحات حول كيفية توسيع غالبيّتنا من خلال استمالة أصدقائنا وأقاربهم الذين لا يمتّون إلى الجمهوريين بصلة إلا بالاسم. وسيتطلّب بعض هؤلاء القليل من التواضع من قِبَلكم. وأنا مقتنع بأن الأمر سينجح مع الكثيرين منهم. هو الوقت المناسب للإغارة على هذا التأييد الهشّ الذي تنعّم به اليمين المحافظ لمدّة طويلة.

ووفقاً لاقتراحاتي على الأقل، سيكون عشاء عيد الشكر أكثر سلاماً:

1. **بادئ ذي بدء، أكّدوا لأصدقائكم أو لأقاربهم المحافظين أنكم لا تريدون مالهم.** لا تريدونهم أن يجنوا مالاً أقلّ أو فقد ما يملكون من مال. دعوهم يعلمون بأنكم تعلمون بأنهم يحبّون مالهم وهو أمرٌ بديهي بالنسبة إليكم لأنكم تحبّون مالكم أيضاً (هو نوعٌ آخر من أنواع الحب).
2. **ثانياً، كل نقاش سياسي يدور بينكم يجب أن يكون عنهم ولصالحهم.** هم يتّخذون كل قرار على أساس "مدى مربحيّته عليّ". وعوضاً عن مواجهة هذه الأنانيّة، تحمّلوها فقط، وتقبّلوها بسرور، وارضِوها. أجل، تقولون لهم، هو أمرٌ جيّد لكم! ويعيش المحافظ حياته بالضمير الأول المنفصل - أنا - وهي لغة الضمير المركزي التي يجب عليكم اعتمادها لتكونوا مسموعين.
3. **سافروا في عقل المحافظ.** هو البَرّ المظلم الذي يجب عليكم المجازفة بعبوره إذا أردتم أن يكون الحوار ناجحاً. وما ستواجهونه في عقل المحافظ هو الخوف. الخوف من الجريمة. الخوف من الأعداء. الخوف من التغيير. الخوف من الناس الذين لا يشبهونهم تماماً. وبالطبع، الخوف من خسارة أيّ مالٍ على أيّ شيء. وإن هم ليسوا قادرين على رؤية الخوف (لا يقيم أزواجٌ من أعراقٍ مختلفة في محيطهم)، فهم يخافون الخوف. وإن هم غير قادرين على تلمّسه (300 عام من العبوديّة مرّت منذ وقتٍ وطيل)، فهم إذاً غير قادرين على فَهم سبب اتّخاذ الأمور هذا المنحى. وإنْ هم غير قادرين على اشتمامه (لا محارق صناعية حيث

يقيمون)، فهم يظنّون إذاً أن الأرض في أحسن حال.

4. **احترمهم بالطريقة التي ترغبون بأن يحترموكم بها.** نسألهم بأن يكونوا أشخاصاً لائقين يهتمّون بشيء آخر غير المال فقط. وإن لم نكن أنفسنا لائقين، ولا سيّما بطريقة تعاملنا وتكلّمنا معهم، فما عسانا نطلب منهم أن يكونوا؟ مثلنا؟ لا آمل ذلك.

5. **أخبروهم بما يعجبكم في شأن المحافظين.** كونوا صادقين. تعلمون أن هناك أموراً عديدة تتعلّق بالمحافظين نحبّ أن نتمثّل ونؤمن بها – بالرغم من أننا لا نرغب عادةً بأن يُمسَك بنا نقولها صراحةً وعلى صوت عالٍ. قلها على صوت عالٍ لزوج أختك المحافظ. قل له إنك أنت أيضاً خائفٌ من أن تكون ضحيّةً عملٍ أحمق وتريد أن تمنع الجناة من الإفلات من العقاب. قل له إنه إذا هوجمت أمريكا حالياً فإنك ستكون الأول في الدفاع عمّن لا حماية لهم. قل له إنك لا تحب أيضاً من يتّكلون على كرَم الغير، ولا سيّما رفيق غرفتك ذلك في الكلّية الذي لم يساعدك بترتيب الغرفة وحوّلها إلى زريبة للخنازير.

فهو سيرى أنك شبيهٌ به تماماً في بعض الأمور.

أخبره بمدى كون المحافظون جديرين بالثقة. فعندما تريد التأثير على شيءٍ ما تطلب مساعدة زوج أختك، أليس كذلك؟ أنت نفسك لا يمكنك التأثير على أي شيء – كما أن أيّاً من أصدقائك الليبراليين المنتحبين لا يمكنهم ذلك. وعندما تحتاج إلى عمل أيضاً، من يستخدمك؟ المحافظ الذي يملك الأعمال هو الذي يستخدمك. فأنت لا تلجأ إلى زوج أختك الليبرالي المتهرّب من الخدمة العسكرية طلباً لعمل، هل تلجأ إليه؟ وعندما تكون بحاجة إلى ضرب أحدهم، ذلك المتنمّر الذي يدأب على مضايقتك، فأنت بالتأكيد لن تسأل عمّك في الكنيسة الموحّدة أن يقوم بهذه المهمّة لأجلك. لا تعلم أبداً متى ستكون بحاجة إلى ذلك القريب المحافظ.

والمحافظون منظّمون، دقيقو المواعيد، فعّالون، أنيقون، وثابتون على مبدأهم. هي كلّها صفاتٌ ونعوت جيّدة، ونتمنّى لو كنّا نملك بعض هذه العادات. فلنسلّم بالأمر. أدّ لمن لا يمتّ إلى الجمهوريين بصلة إلا بالاسم فقط حقّه

وستجده أكثر استعداداً للاستماع إلى الأفكار التالية.

6. **سلّموا بأن اليسار ارتكب أخطاء.** هي مهمّة عسيرة. أعلم، لسنا ممّن يحتاج إلى الاعتراف بالخطأ! ولكن، إذا سلّمتم بأنكم كنتم على خطأ أحياناً، يسهل على الشخص الآخر التفكير ملياً بما كان على خطأ بشأنه. وهذا الأمر يجعلكم تبدون أكثر إنسانيّةً وينزع عنكم صفة الغباء. فقد جلست هنا ليومين كاملين أحدّق بالكمبيوتر قبل أن أتمكّن من مناقشة هذه النقطة، ولكن إليكم بعض ما نكون على خطأ بشأنه:

- قد يكون موميا قتل ذاك الرجل. لكن هذا لا يعني حرمانه من محاكمة عادلة أو الحكم عليه بالموت. ولكن، بما أننا لا نريد أن نراه أو نرى غيره منفَّذاً به حكم الإعدام، فإن المساعي للدفاع عنه قد تكون أغفلت واقع أنه قد يكون قتل ذلك الشرطي بالفعل. ولا ينفي هذا الأمر بلاغة كتاباته أو تعليقاته أو المكانة الهامّة التي بلغها على مسرح السياسية الدولية. ولكنه قد يكون قتل ذاك الرجل بالفعل.
- المخدّرات سيّئة. فهي تضيركم، وتعيقكم، وتُلحق بحياتكم اليوميّة أضراراً فادحة.
- الرجال والنساء مختلفون. لسنا من الجنس نفسه. هل عليّ إظهار بعض الصور لكم؟ نحن مكيَّفون، سواءٌ من خلال الطبيعة أو المجتمع، ليكون لنا سلوكٌ مميَّز ورغبات وعادات. وتبقى مسألة التأكّد من أن تلك الميزات لا تزعج كثيراً الجنس الآخر. فعلى سبيل المثال، عددٌ قليل من النساء يسحبن مسدساتهنّ ويُردين أحدهم في الشارع. وإن تعرّضك لهجومٍ من امرأة هذه الليلة وأنت في طريقك إلى المنزل من العمل هو إمكانية شبه معدومة. هي ميزة خاصة بأبناء جنسي. وبطريقة مماثلة، قليلون هم الرجال الذين يستطيعون ترتيب السرير. لَم ترتيب السرير؟ مَن سيراه؟ ماذا نحن فاعلون، نغطّي شيئاً ما على الملاءات لا نريد منهم رؤيته طيلة اليوم بينما نكون في العمل؟
- هي فكرةٌ سيّئة بالفعل أن تمارسوا الجنس قبل سنّ الثمانية عشرة. حسناً، قد أكون حسوداً لأنه كان عليّ الانتظار حتى سنّ الثانية والثلاثين لممارسته. ومع

ذلك، يبقى السعر الذي يتوجّب دفعه لقاء ممارسة الجنس في سنّ المراهقة عالياً جداً - حَملٌ غير مرغوب به، أمراض، والانتهاء بأذن أطول من الثانية لأنها تكون دائماً منصوبة ناحية الباب الأمامي تحسّباً من عودة الأهل إلى المنزل باكراً. من يتحمّل هذا الوضع؟ وإذا أمكن، لا يجب على أحد أن يكون له طفل حتى يبلغ العشرينات أو الثلاثينات من العمر. ولا إمكانية لكم عمليّاً لتدبّر أمر طفلٍ دون ألمٍ وعناء في ظل اقتصادنا هذا القائم على أساسٍ إقطاعي.

- مشاهدة صور لنساء مغفّلات، على شاشة الـ إم. تي. في، إضافةً إلى العنف، وممثّلي عالم الواقع الذين شاهدوا حلقات عديدة من برنامج عالم الواقع نفسه على أنها أسوأ طريقة ممكنة لقضاء فترة ما بعد الظهر. من الأفضل لكم ألا تُقيموا علاقات جنسية في سنّ المراهقة، وعوضاً عن ذلك، قراءة كتبٍ مع شركائكم.
- الغرانولا سيّءٌ لكم. فهو مليءٌ بالسكّر والدّسم. فقد أظهرت دراسة أن العديد من ماركات إفطار الغرانولا توازي بدسامتها خمس قطعٍ من الحلوى بالشوكولا أو قطعة واحدة من كعكة بالليمون والجزر. فالنظام الغذائي النباتي غير صحّي، لأن البشر بحاجةٍ للكثير من البروتينات. ضعوا هذه النباتات جانباً والتقطوا عظمةً دسمة!
- الشمس مفيدةٌ لكم. فبشرتكم بحاجة لعشر دقائق على الأقل من أشعّة الشمس المباشرة في اليوم للحصول على جرعةٍ ضرورية من فيتامين دي. كفّوا عن وضع كل هذه الكميات الواقية لأشعّة الشمس على جسد أولادكم. وإذا كنتم قلقين بالفعل بشأن الأشعّة فوق البنفسجيّة وسرطان الجلد، إذاً اسألوا أنفسكم: "متى كانت آخر مرّة حضرت فيها لقاءً للغرين بيس لأجل المساعدة على جعل الأمور أفضل؟
- يجب سجن الناس الذين يرتكبون جرائم عنيفة. ويجب أن لا يكون الناس الخطرون أحراراً في الشارع. أجل، يجب أن يحصلوا على مساعدة. أجل، يجب أن يحصلوا على إعادة تأهيل. أجل، يجب أن يبحثوا عن وسائل للتخفيف من أسباب الجريمة. ولكن، لا يحقّ لأحدٍ مهاجمتكم أو تعنيفكم، وإذا لم تكونوا قادرين على حمل أنفسكم على إظهار مقدارٍ قليل من الغضب

حيال أولئك الذين قد يرغبون بإلحاق الأذى بكم، فـإنكم تبـدون إذ ذاك أشخاصاً ضعفاء وغريبي الأطوار للناس السليمي العقل. وفي الواقـع، أريـد مهاجمتكم الآن بالذات.

- لا يحق لأولادكم بالعزلة والسرّية، ومن الافضل لكم الانتباه لما يشغلهم. وفيما أنتم تقرأون في هذا الوقت بالذات، يقومون هم بشيء ما. مـاذا يفعلـون؟ أرأيتم، حتى إنكم لا تملكون جواباً لهذا اللغز! ضعوا هـذا الكتـاب جانبـاً وتوجّهوا مباشرةً إلى الطابق العلوي!
- ليست كل الاتحادات جيّدة، والعديد منها ينمّ عن حقارةٍ واضحة. فهي تحمل أعضاءها على التوقيع على مخطط الشركات (401(k، وما تلبث الأمـوال أن تتلاشى. وهي اعتمدت القومية اليمينية وحوّلت شـعار "اشـترِ المنتجـات الأمريكية" إلى حركة عنصريّة. وهناك في الواقع اتّحادان جيّـدان: الاتّحـاد الدولي للموظّفين في قطاع الخدمات (SEIU) والعاملون الأمريكيون في الإذاعات والآلات (UE-United Electrical). اتصلوا بهم إذا أردتم تنظيم مكان عملكـم أو لمزيدٍ من التوجيـه العـام حـول كيفيـة التوحّـد في نقابـات، راجـع www.aflcio.org/aboutunions/howto/. وإذا كنتم تنتمون إلى أحد الاتحادات الكسولة وغير الفعّالة، فأنتم بحاجة إذاً إلى حضور اللقاء التالي للاتحاد.
- العودة إلى الطبيعة هي فكرة خرقاء. فالطبيعة لا تريدكم إلى جانبها. ولـذلك خلقت الطبيعة المدن – لإبقائكم بعيدين عنها أبعد مسافة ممكنة!
- ركّز بيل أورايلي على بعض النقاط الجيّدة. فهو ضدّ حكم الإعـدام، وهـو مدافع عن حقوق الأولاد، ويعارض NAFTA. حسناً، فهو ما زال شخصـاً غبيّاً، حتى إن الغبيّ يمكنه أن يكون يمينياً في بعض الأحيان.
- العديدون منّا يملكون وجهات نظر طائشة عن الدين، ويظنّـون أن الرهبـان والراهبات هم جهّالٌ مؤمنون بالخرافات كأسلافهم في القرن الخامس عشـر. نحن مخطئون، ولهم الحق بدينهم مثل أولئك الذين لا دين لهم. وهذا التعجرف هو سببٌ كبير لحمل الطبقات الدنيا على اتخاذ جانب الجمهوريين دائماً.
- نقول الأشياء بطريقة صبيانيّة وكأننا ابتكرنا لغتنا الخاصة – وهـي مصـدر

إزعاج لكل من نحاول حمله على الاستماع إلينا. تخلّصوا ممّا يتسبّب به جهاز الكمبيوتر من تشوّشٍ وإرباك، وكفّوا عن كونكم حسّاسين إلى هذه الدرجة وقولوا فقط ما يجول في فكركم.

- لَم ما زلتم تشتكون من الكاتبة اليمينية آن كولتر؟ بالتأكيد، هي مخبولةٌ بقدر خبول الساذج، ولكنّ ردّات الفعل حيالها كانت أكبر ممّا تعرّض له مجلس القيادة الديموقراطي بأكمله من انتقادات. أنتم حسودون فقط لأنه ليس لدينا آن كولتر. وتوقّفوا عن النظر إلى سيقانها! لهذا السبب، هي تصيبكم بالإرباك!
- "شبكة الإذاعة الليبرالية" المقترَحة؟ يا لها من مضيعة غبيّة للوقت. إذاعة؟ هل أنتم جدّيون؟ في أي قرنٍ أنتم؟ غي، لَم التوقف عندً هذا الحدّ - لنُعد جواداً ليبرالياً سريعاً! ما رأيك بشيفرة مورس ليبرالية؟ إس - أو - إس! هيّا ادخلوا في القرن الحادي والعشرين! احصلوا على جهاز تلفزة. احصلوا على شبكة إنترنت.
- لا حقوق للحيوانات. أجل، يجب معاملتهم "بإنسانية". أجل، تايسن فودس وكل الآخرين الذين "يحصدون" الدجاج هم مثيرون للاشمئزاز. لكن "تحرير" الدجاج من مزارعها التي تفقّسها هو أمرٌ أحمق. فهي لا تعرف كيف تستمرّ بالعيش في البرّية وهي ستنتهي تحت دواليب الشاحنات. وأقلعوا عن التصرّف بحماقة حيال الحليب، مهما قد يكون مُضرّاً لكم. فأنتم ستبدون كالحمار المغفّل إذا ظهرتم على محطة التلفزة الوطنية، كما فعل بيتا، لمناقشة مسألة أن البيرة أفضل للجسم من الحليب. فهذا الهراء يجعلني أرغب بركل كلبي.
- كان نيكسون أكثر ليبراليّةً من الرؤساء الخمسة الأخيرين. فقد فتحت إدارته حواراً مع الصين. وكان مفيداً في التأسيس لحركة إيجابية لاستخدام النساء وحماية حقوقهنّ. كان أول رئيسٍ يوقّع اتفاقياتٍ تتناول التحكّم بالأسلحة الذرّية. وكان نيكسون مسؤولاً عن قانون الهواء النظيف عام 1970 واستحدث دائرة الموارد الطبيعية ووكالة حماية البيئة. أصدر قانون Title IX لتخصيص أموال الضرائب للرياضات النسائية. وحاول أيضاً إدخال إصلاحاتٍ على الإنعاش الاجتماعي ضمنت دخلاً للفقراء. وكان على نيكسون إنهاء ولاية حكمه، وستلاحقه أرواح الملايين الذين ماتوا في جنوبي

شرق آسيا على امتداد الأبديّة. لكن مجرّد الظنّ بأنه كان "الليبرالي" الأخير في الحكم يدفعني إلى التقيّؤ.

وبعد الإقرار بأنكم لستم دائماً على حق، ستجدون صديقكم المحافظ في موقف دفاعيٍّ أقل، وأكثر استعداداً للإصغاء. ومن ثمّ يحين وقت إقناعه أو إقناعها بوجوب النظر إلى الأشياء من منظار مختلف. والأمر الأكثر أهميّة هو عدم طرح الجدل "الأخلاقي" حول سبب حصول البنتاغون على مالٍ أقلّ أو لَمْ يستحق ولدٌ مريض معاينة طبيب. فقد جرّبنا هذه النقاشات سنيناً طويلة دون أن تُؤدّي إلى نتيجة مع المحافظين. لذا، لا جدوى من الكلام، وأبقوا في أذهانكم أن الأمر، كلّ الأمر، يتعلّق "بهم". وركّزوا على كل كلمة في هذه الجملة: "أريدك أن تجني مزيداً من المال!" وحاول بعد ذلك مناقشة المسائل معهم مستخدماً التعابير التالية:

"دفع مزيدٍ من المال للعمّال يُكسبك مالاً!".

زوج أختي العزيز، عندما لا تدفع للناس ما يكفيهم للعناية بأساسيات حياتهم، ينتهي الأمر بأن يكلّفك وأيّ شخصٍ آخر كثيراً من المال. وإذا كان على العمّال تسلّم وظيفة ثانية أو ثالثة، فإن إنتاجيّتهم ستعاني في الوظائف الثلاث. فهم غير قادرين على التركيز على هدفٍ محدَّد - إكسابكم الكثير من المال! فهم مشغولو البال يفكّرون بكيفيّة انتقالهم إلى الوظيفة الأخرى لإكساب الشخص الآخر كثيراً من المال. وهكذا، يتعب موظّفك، ويرتكب مزيداً من الأخطاء، ويواجه حوادث مفاجئة، ويغادر باكراً، ويصبح أداء عمله أكثر انخفاضاً ممّا لو كان يركّز عليك فقط. لَمْ تريد منه مساعدة مغفّلٍ آخر على جني المال؟ لو كنت تدفع له أجراً لائقاً، لما فكّر بسواك!

وعندما لا يجني الموظفون أجراً كافياً، غالباً ما ينتهي بهم الأمر ساعين إلى مساعدة الدولة. من يدفع لقاء ذلك؟ أنت. لَمْ تريد دفع ضرائب أعلى لأمورٍ مماثلة بينما يمكنك الدفع مباشرةً والظهور بمظهر الشخص الصالح؟ استغنِ عن الوسيط واجنِ الأرباح.

وعندما تدفع لموظّفيك مزيداً من المال، ماذا سيفعلون به باعتقادك؟ استثماره في سوق الأسهم؟ إضافته إلى حساباتٍ لهم في الخارج؟ لا! فهم ينفقونه! وعلى ما

ينفقونه؟ على ما تنتج وتبيع من سلع! فالطبقة العاملة هي الطبقة المستهلكة التي تـؤمّن لك الأرباح لأنها لا تدّخر شيئاً – تطوف أجنحة سامز كلوب شاريةً اشياء لا تحتاج إليها في الواقع. لذا، فإن كل دولار تضيفونه أنت وأرباب العمل الآخرين على الأجور يعود تلقائياً إليك، محسّناً هامش الأرباح ورافعاً سعر السهم. فأنت تكافأ مرّتين.

وإذا دفعت للناس أجوراً منخفضة أو سرّحتهم من العمل، فلن يكون بإمكانهم شراء سلعك. فهم يصبحون عبئاً على الاقتصاد؛ وبعضهم يلجأ إلى الجريمة، وعندما يلجأون إلى الجريمة، فإن ما يريدونه هو سيارتك من طراز مرسيدس وليس سيارة أولدزموبيل لجار فقير راكنة على الطريق الفرعي. فلمَ تضع نفسك في موقف يمكنك أن تصبح فيه الضحيّة؟ إدفع أجراً كافياً، إمنح علاوات، اكتفِ بأرباحٍ جيّدة – وهكذا، يمكنك العودة إلى قصرك متيقّناً من أن أولئك العمّال السعداء لن يقوموا في الوقت الحاضر بترع غطاء سيارتك الفاخر، بل يحتفلون في الخارج عوضاً عن ذلك بأموالهم النقديّة.

"ضمانٌ صحّي لكلّ شخص يُكسبك المال!".

يا زوج أختي، أنت ربّ عمل، ولا تغطية صحّية لموظّفيك ممّا يكلّفك الكثير من الأرباح. هم يقصّرون عن القيام بعملهم – وأنت تخسر المال. يغيبون طويلاً عن العمل – وتخسر المال. يعمل الآخرون دواماتٍ إضافية لتعويض الإنتاج – وتخسر المال. يمرض أشخاصٌ آخرون – وتخسر المال. يعملونَ وهم مرضى – وتخسر المال. لكن الموظّفين الذين يتمتّعون بتغطية صحّية يقصدون الطبيب مباشرةً، ويحصلون على دواء، ويتماثلون للشفاء بسرعة. وإذا مُنحوا أيام عطلة مدفوعة، يلازمون المترل ليومين اثنين ويعاودون من ثمّ عملهم بلمح البصر ليُكسبوك المال – ويكونون مطمئنّين على وظائفهم لأنهم يعامَلون جيّداً ممّا يحثّهم على العمل باجتهاد. والموظفون الذين يمنح لهم الضمان الصحي إمكانية الاستفادة من علاجٍ وقائي هم أكثر إنتاجيّة ويسهمون في تقدّم الشركة وتطوّرها. وإنفاق المال لأمد قصير على برنامجٍ صحّي يعود على المدى البعيد بفوائد جمّة بحيث إنه سيوفّر عليك مبلغاً كبيراً من المال في نهاية المطاف.

"تأمين العناية اليوميّة لموظفيك يُكسبك المال!".

التغيّب المزمن عن العمل هو استنزافٌ ضخم لإنتاجنا القومي الإجمالي. وتشير التقديرات إلى أن كلفته على اقتصادنا تبلغ 50 بليون دولار في العام. ويخسر ربّ العمل العادي حوالى 800 دولار سنويّاً عن الموظف الواحد بسبب التغيّبات غير المجدوَلة. وخمسٌ وأربعون بالمئة من أوقات تغيّب الموظف عن العمل تعود لأسباب شخصية أو عائلية. ممّا يعني أن أمّي وأبي حصلا على عطلة لأن حاضن الأولاد لم يحضر أو أنه مرض وتعيّن عليه العودة إلى المترل باكراً أو أن الأولاد مرِضوا وكانوا بحاجة لمعاينة طبّية أو أن ابن حاضن الأطفال واجه مشكلةً ما في المدرسة وكان عليه المغادرةً، ألخ، ألخ. وهذا الأمر يكلّفك مالاً يا صديقي المحافظ. وفي مقابل كلفة غرفة للعناية اليومية في مقرّ العمل، يمكن للشركة أن تجني مزيداً من المال، ويمكنك أن تجني مزيداً من المال، ويمكن لحاضني الأطفال الحصول على وظائف حقيقيّة تعود عليهم بالفوائد. ويمكن للملايين من منتهكي القانون الذين يدفعون سرّاً لمن يُعنَون بصحّة أولادهم الكف عن حياة الإجرام هذه!

"الانضمام إلى اتحاد يُكسبك مالاً!".

إذا كنت عاملاً، لا ربّ عمل، تعتبر نفسك محافظاً وتكره الاتحادات، لديّ سؤال لك: لماذا؟ إذا كنت تريد جني مزيد من المال، فـ "الاتحاد" هو الطريق الذي يجب سلوكه. ووفقاً لوزارة العمل الأمريكيّة، يجني العمّال المنتسبون إلى الاتحادات حوالى 717 دولاراً أسبوعياً. أما العمّال غير المنتسبين إلى اتحادات مثلك فمعدّل ما يجنونه أسبوعياً هو 573 دولاراً. وأن تكون محافظاً هو أمرٌ في متناولك ويمكنك كسب القدر الذي تريد من المال. إذاً، لمَ لا تنتسب إلى اتحاد؟ لأنك لا تريد أن تكون ضمن مجموعة؟ ماذا لديك ضدّ الديموقراطية؟ بعض الاتحادات ليست ديموقراطية؟ لا تنضمّ إليها. أسّس اتحاداً بنفسك. هو البلد الحرّ الذي لم تتوقّف عن الاستهزاء به – هو حق الاجتماع والتجمّع بحريّة. وهذا الحق هامٌّ جداً بحيث جعلوه أوّل بند في "إعلان الحقوق".

"الهواء والمال النظيفان يوفران لك المال!".

يقتل تلوّث الهواء كل عام 70.000 شخص في الولايات المتحدة – ما يوازي

بمجمل عدد الأموات نتيجةً لسرطان الثدي والبروستات. وقدّرت الحكومة كلفة العناية الصحيّة نتيجةً لتلوّث الهواء بما يتراوح بين 40 و50 بليون دولار سنوياً.

وأظهرت دراسة جرت عام 2003 أن الناس المقيمين بالقرب من أحد مواقع "سوبرفاند" لتجميع النفايات السّامة الثماني والثلاثين في مدينة نيويورك يصابون بالرّبو، وبأمراضٍ تنفّسية، وبالسرطان، بمعدّلات أعلى. وإن لم تكن في نيويورك، لا تقلق – فما زلتَ معرَّضاً للاحتراق. وتأسّست "سوبرفاند" عام 1980 ورُصدت أموالها من ضرائب خاصة فُرضت على الشركات (ولا سيّما الشركات الكيميائية والنفطيّة العملاقة) وتُستخدَم لتسديد نفقات تنظيف المواقع الصناعية الملوَّثة. وفي العام 1995، لم يتمّ تجديد الضرائب بفضل تواطؤ واشنطن مع مجموعات الشركات المتنفّذة التي تعبت من دفع الأموال لتنظيف ما خلّفته من فوضى. وبتوقّف مدّه بالاعتمادات الماليّة، توقّف عمل "سوبرفاند" تقريباً، وسيتوقّف عمله نهائياً عام 2004. وهذا يعني أننا – أنت وأنا – سندفع لقاء تنظيف نفاياتهم السّامة. فقد دفعنا 20 بالمئة من تكاليف التنظيف عام 1994 بينما غطّت "سوبرفاند" النسبة المتبقّية. وفي العام 1999، قُسِّمت التكاليف بالتساوي بين الاعتمادات الماليّة ودافعي الضرائب. والكلفة المرتقَبة المطلوبة من دافعي الضرائب لهذا العام: 700 مليون دولار. هي أموالٌ تُسحَب من جيوبكم. ولكن، هناك الناحية المشرقة من الموضوع. فبوش يحاول الحدّ من عدد المواقع التي تمّ تنظيفها. وبينما يساعد هذا الأمر على ادّخار أموالكم، فإن العيش بالقرب من أحد المواقع الـ 1.200 الملوَّثة المنتشرة في البلاد قد يؤدّي إلى مقتلكم.

ونحن في مراتب أدنى من دولٍ صناعيّة أخرى عندما يتعلّق الأمر بالاستثمارات المرصودة لإنتاج طاقة نظيفة وفعّالة. وتتّجه بريطانيا، والدانمارك، وألمانيا باطّراد لإنتاج الطاقة من خلال الرياح، بينما نحن ودول رابع أطول خط ساحلي في العالم لا نقوم بأي شيءٍ تقريباً.

ولو كان بإمكاننا تحديد مصروف سيّاراتنا ليبلغ 40 ميلاً بالغالون الواحد عام 2012، لتمكّنا عام 2014 من ادّخار نفط بكمّيات أكبر ممّا هو متوافر في المحميّة الوطنيّة للحياة البرّية في القطب الشمالي حيث بوشٌ متلهّف جدّاً للبدء بعمليات

التنقيب. والطريقة الأسهل لنكون أقل اعتماداً على النفط الأجنبي هي استخدام كميات أقل من النفط الأجنبي! ويمكن تحقيق هذا الأمر بسهولة من خلال إجبار مصنّعي السيارات على إنتاج سيارات تقطع أميالاً إضافية في الغالون الواحد.

ومن يبالي بأن تكون هذه الخطوة مفيدة للبيئة أم لا، يكفي أنها توفّر عليكم إنفاق آلاف الدولارات كل سنة، وربما أكثر!

"إيقاف حرب المخدّرات سيوفّر لك المال!".

تجميع مستخدمي المخدّرات ووضعهم في السجن ليس سوى هدر لمال. وتبلغ الكلفة السنويّة لاحتجاز مدمن مخدرات 25.000 دولار، بينما لا يكلّف تأمين العلاج له سوى 3.000 دولار. حتى إن أكثر العلاجات ارتفاعاً في الثمن لا تتخطّى الـ 14.000 دولار في السنة – أقلّ بكثير من كلفة السجن. فكل دولار يُنفَق على العلاج سيوفّر عليك انتقادات دافع الضرائب، 3 دولارات لحساب الشرطة، السجن، واستبدال مشغّل الـ سي. دي. ذاك الذي سُرق من سيارتك. وننفق 20 بليون دولار سنويّاً على الحرب على الإرهاب، وهي حربٌ تتمّ خسارتها عاماً بعد عام. وكل حوّامات الشرطة تلك التي تحلّق فوق شيكو باحثة عن منشآت للمخدرات، كان بالإمكان استخدامها لإلقاء القبض على الخاطفين التسعة عشر. فأنتم تجعلون الحكومة تخوض حرباً لا يمكن الفوز بها.

أضف إلى ذلك أن الإبقاء على لاقانونيّة المخدّرات لا يوقف عمليّة بيعها. وكل هذا يعني أن العقد لا يعود عليكما بأي فوائد، يا أيها المقاول المحافظ ويا أيها المستثمر. فكل الأرباح تعود لأكياس النفايات. أنت تكره أكياس النفايات. لَم تدعها تأخذ مالك؟ اجعل البضاعة قانونية وفكّر بكل المال الذي ستجنيه من مجتمعٍ حزين يائس. وينفق الأمريكيون حوالى 63 بليون دولار سنويّاً على مخدّرات غير قانونيّة، وقد نأيتم بأنفسكم عن هذا الأمر! ضعوا هذا المارتيني جانباً واكسبوا ما يمكنكم كسبه!

"إعطاء الكثير من المال للمدارس الرسميّة يُكسبك المال!".

عندما يخرج من مدارسنا المثيرة للشفقة جيلاً من الأغبياء والأمّيين ليواجهوا العمل اليومي، كيف تتوقّعون كسب المال، بحقّ الله؟ ففي هذا الوقت بالذات، مكتبك

مليء بأشخاص لا يستطيعون التهجئة أو إجراء عملية قسمة حسابية طويلة أو أنهم لا يعلمون كيفيّة شحن علبة إلى بوليفيا لأنهم لا يملكون مفتاح اللغز، بوليفيا.

وتتساءل عن سبب فَقدك لمحفظة جيبك وهذا الأخرق جالسٌ أمامك ومستعدّ تماماً لإطلاق النار عليك؟ ما رأيك بالإحصائيات التالية: 40 بالمئة من المسجونين في الولايات المتحدة هم أمّيون عمليّاً. ولكن، كيف بلغوا هذه الحالة؟ فبين عامي 1980 و2000، ارتفعت إنفاقات الدولة على التعليم بنسبة 32 بالمئة. وفي المرحلة عينها تلك، ارتفعت إنفاقات الدولة على السجون بنسبة 189 بالمئة. فلنحلّ هذه المعضلة! فعندما يكونون في السجن، هل هم يُكسبونكم مالاً؟ لا! وتعمل الدولة حالياً على الحدّ من إمكانية تشغيل هؤلاء. تريدون إبقاءهم دون عمل ليعودوا للعمل في سجنكم!

وخمسٌ وسبعون بالمئة من متلقّي معونات الإنعاش الاجتماعي هم أمّيون. ألا تظنّ أن الأشياء قد تكون مختلفة قليلاً لو كان بإمكانهم القراءة والكتابة؟ ولا أعني أن الأمور قد تختلف عليهم، بل عليكم. وهناك العديد من الأمّهات اللواتي يمكنهنّ الكدح في العمل لإكسابكم المال لو لم يكنّ محتجزات في السجن بسبب أمّيتهنّ. علّموهن وستحصدون المكافآت.

ومن المفاجئ جدّاً ألا يطالب المحافظون، وبعيداً عن أي مصالح شخصيّة، بأن تقوم مدارسنا بإعداد شبّان صالحين للعمل. ويُفترض بالعمّال تزويدك بأفكار عظيمة وجعلك فاحش الثراء. وعوضاً عن ذلك، تُراهم جالسين هناك في مهاجعهم يحاولون اكتشاف كيفيّة ولوج آخر ألبوم للويزر على الكمبيوتر. هذه هي نتيجة إنشاد "لا تترك أيّ طفلٍ خلفك" طيلة هذه السنين، والمطالبة بأن تستمرّ الدولة بإخضاع الأولاد للاختبار من خلال امتحانات إلزاميّة. وتوقّف المدرّسون عن تدريس ما هو مفيد وهم الآن يحضّرون الأولادَ للاختبار. وإليكم ما حصلتم عليه: الكثير من الأولاد الذين يعلمون كيفيّة النجاح بالاختبار لا أكثر. وأمامي الآن في المكتب ولدٌ ظنّ أن المملكة المتحدة هي روسيا، ولم يسمع أبداً باسم "جورج ماك غوفرن"، وحسب أن إضمامات الورق القانوني موجودة حيث تضع مستندات المحكمة القانونية. وهو الأكثر ذكاءً هنا! النجدة!!!

"بعدم التصويت مجدَّداً لجمهوري، ستجني مقداراً كبيراً من المال!"

أنظر، أدرك تماماً أنه قد يبدو من المؤكّد تحقيق الثـراء إذا كنـتَ جمهوريـاً وتصوّت لجمهوري في الوقت نفسه. لكن الأمر يختلف في هذه الأيام. فمنذ ثلاثين عاماً، كنت تُعتبَر ثريّاً إن أنت جمعت 50.000 دولار. كنت تُقيم في منزلٍ كـبيرٍ وجميل. وكان هناك المئات، إن لم يكن الآلاف، من أمثالـك في كـلّ مدينـةٍ في أمريكا. و"المعالجة الجديدة" التي اعتمدها روزفلت أوجدت طبقة وسطى كـبيرة، وانخفضت التفاوتات بين الثري والفقير بنسبة 7.4 بالمئة بين عامي 1947 و1968. و لم يكن من الصّعب الانتقال من الطبقة العاملة إلى الطبقة الوسطى أو من الطبقـة الوسطى إلى الثّراء. و لم تكن التباينات بين هذه المجموعات كبيرة إلى هـذا الحـد. وهكذا، فإن كل ما كان يتطلّبه الأمر لتكون ثريّاً في ذلك الوقت هـو أن يكـون والدك طبيب عائلة، طبيب أسنان، محامياً، محاسباً، سمساراً عقارياً، مالـك متجـر بقالة أو مديراً متوسط المستوى في شركة سيارات. ولكن هذا الواقع بدأ يتغيّـر في السبعينات من القرن الماضي عندما بدأ الدخل يتفاوت بشكلٍ كبير.

وفي هذه الأيام، تنعدم الفرص ليصبح المرء ثريّاً، كما سبق وقلت. وفي الوقت الحاضر، فإن الـ 13.000 عائلة التي تشكّل نسبة 0.01 من الشـعب الأمريكـي تتحكّم بما يوازي ثروة العشرين مليون فقير. وبينما تنعّم أولئك الذين ينتمـون إلى نسبة الواحد بالمئة هذه بزيادةٍ في المداخيل بمعدّل 157 بالمئـة خـلال السـنوات العشرين الماضية، لم تحصل الطبقة الوسطى سوى على زيادةٍ بنسبة 10 بالمئة. فقط 10 بالمئة للأمريكيين الذين ساهموا في موجة الثراء التي شهدناها خلال السـنوت العشرين الماضية! فالطبيب يقتصد في الإنفاق كيلا يتخطّى حدود دخله، والمحـامي يحاول البحث عن مزيد من حالات الطلاق لدفع الفواتير، والمدير المتوسّط المستوى – حسناً، هو يأكل كعكة تورتيللا عاديّة لقمةً واحدة في دل تاكو.

وهؤلاء الجمهوريون بالذات الذين تنتمي إليهم لا يريدون أي عملٍ معـك. فهم إمّا حجّموك أو طردوك أو حملوك على القيام بمهام شخصين أو ثلاثة. أخذوا منك مالك في سوق الأسهم وجعلوه يتلاشى. عملوا على صدور قوانين ضـرائبيّة تعود بالفوائد على نسبة الواحد بالمئة تلك فقط. فأنت لن تتمكّن من ادّخار مبالغ كبيرة، وسينتهي بك الأمر في الواقع إلى أن تدفع ضرائب محلّية وفدراليـة أعلـى،

وتشهد انخفاضاً ملحوظاً في خدمات الحكومة عندما تكون قد بلغت خريف العمر. هم يبذّرون معاشات تقاعدك الآن بالذات على أعمالٍ تافهة لإثراء زملائهم.

وباختصار، هم يستغلّونك كشخصٍ عاجز عن مقاومة الإغراء. فهم حملوك على ترداد كل تفاهاتهم بينما كانوا يمدّون يدهم إلى جيبك الخلفي خفيةً وسرقتك. لا تكن مدمن مخدّرات! فالجمهوريون يكرهونك، ويحتقرونك، ويتأكّدون من عدم تكبير خيمتهم كيلا يكون لك مكاناً بينهم. حلّ هذا اللغز!!

ولكن، هذا لا يعني أن الديموقراطيين هم الحلّ، ولو كنتُ قادراً على القيام بما أريد، لكان لدينا مزيدٌ من البدائل في صندوق الاقتراع. ولكن، إسأل نفسك، وبصدق، ألم تكن لتتصرّف بشكلٍ أفضل كمحافظ في ظل حكم كلينتون؟ كنت تكره بالتأكيد نظراته الطيّبة وسحره، وكيفيّة الإفلات من غروره، ولكن تغلّبْ على الأمر! يتمّ الآن خداعك. وأنت تعلم ذلك. ولا يمكنك حمل نفسك على التسليم بالأمر لأنك لا تريد أن تبدو مغفّلاً. فأنت لن تبدو مغفّلاً. ولن يلومك أحد. فالكلّ خُدِعوا. تخلَّ عن كل هذا الهراء "الجمهوري"، وأعلن نفسك مستقلاً، وابحث من ثمّ عن حفلة أُنسٍ وسمر أو عن أشخاصٍ يتوقون لتسلّم مناصب في الحكم من شأنهم مساعدتك لكسب مزيدٍ من المال. وأيّ ممثّلٍ يسلّم بأولويّة مدارسنا ومكتباتنا، وبأن يكون لكل شخصٍ عناية صحّية، ويطالب بألا نعيش في مجتمعٍ من الأمّيين، ويدعم أي مشروع قانونٍ يرفع أجور الناس، ويفرض الضرائب على الأثرياء لأنهم يقودون بلداً بأكمله إلى الإفلاس - حسناً، هو من يجب عليكم العمل لصالحه والتصويت له، لأنه سيعود بالفائدة عليكم جميعاً في نهاية المطاف.

أن يكون المرء "جمهورياً" هو ضربٌ من ضروب الانتحار.

يا زوج أختي العزيز! أنظر إلى الجهة القاتمة من الموضوع. ليست بهذا السوء. ومن يعلم، قد تُمضي على الأقل عيد شكرٍ سعيد هذه السنة!

الفصل الحادي عشر

إزاحة بوش
ومهام تنظيفية روتينية أخرى

قد لا يكون هناك على الأرجح أمرٌ أكثر إلحاحاً يواجه الأمّة من إلحاق الهزيمة بجورج دبليو بوش في انتخابات العام 2004. فكل دروب الإفلاس تمرّ به وبإدارته. وأربع سنوات أخرى من هذا الجنون وفجاءة، لن تعود كندا لامبالية بهذا الشـــكل. أربع سنوات أُخرى؟ لا يمكنني تحمّل أربع دقائق أخرى.

هذا، وتلقّيت السنة الماضية آلاف الرسائل البريدية الإلكترونية تحتوي كلّهـــا على هذا السؤال اليائس: "ما الذي يتوجّب علينا القيام به للتخلّص منه؟!"

وهذا يؤدّي إلى سؤالٍ أكثر مدعاةً للخوف: "كيف بحق الجحـــيم ســـيكون بإمكان الديموقراطيين إنجاز هذه المهمّة؟" لا أحد – وأعني ذلك، لا أحـــد – يثـــق بالقدرة الديموقراطية على إنجازها. هم خاسرون احترافيّون. ليس بإمكـــاهم أبـــداً الفوز بانتخاباتٍ ما خارج نطاق الرجال. حتى إنهـــم عنـــدما فـــازوا في الواقـــع بانتخاباتٍ ما – كما فعلوا العام 2000 – فهم خاسرون على الدوام! يا له من أمرٍ محزن!

في أواسط المدّة المحدَّدة لإجراء انتخابات العـــام 2002، كـــان هنـــاك 196 جمهورياً من أصحاب المناصب يدافعون عن مقاعدهم في مجلس النـــواب. وكـــان بإمكان الديموقراطيين تشكيلٍ تحدٍّ حقيقي لهؤلاء الجمهوريين في اثنتي عشرة دائـــرة

فقط، و لم يتمكّن الديموقراطيون إلا بالفوز في ثلاث منها. ومن مجموع 210 ملايين أمريكي بلغوا سن الانتخاب، فإن أفضل ما كان بإمكان الديموقراطيين القيام به هو العثور على اثني عشر شخص مؤهّلين لخوض الحملة الانتخابية. ما الذي يمنحهم حق الادّعاء بأنهم ما زالوا يُعتبَرون حزباً؟ ما الذي يضمن لهم الفوز بموطئ قدم في أيّ اقتراعٍ في أمريكا؟ حتى إن بائع الصحف يمكنه العثور على اثني عشر شخصاً للترشّح في جولة توزيع واحدة.

لهذا السبب نحن خائفون، لأننا نعلم بأن الديموقراطيين ليسوا أهلاً للمهمّة.

إذاً، ما العمل؟ فالخضر أكثر استعداداً عندما يتعلّق الأمر بالتزامٍ وولعٍ حقيقيّين، ولكن فلنكن صادقين – هذا العام ليس عام الخضر (وهم يعرفون ذلك).

وهدر الديموقراطيون عامين نائحين منتحبين من الخضر، معلنين نادر وشركاه أعداء لهم. هي العلامة الأكيدة لخاسرٍ حقيقي – تحميل الغير مسؤوليّة أخطائك.

وفي محاولة لإعادة مدّ بعض الجسور وشفاء جراح العام 2000، حاولت الوصول إلى قادة ديموقراطيين لإقامة تحالفٍ ديموقراطي – أخضر في العام 2004. وكان التصويت المشترَك لغور ونادر أكثر من 51 بالمئة، وهو كاف للفوز بأي انتخابات. واقترحت على الديموقراطيين أن الخضر قد يدعمون مرشّحاً ديموقراطياً لمنصب الرئاسة يؤيّد النقاط الأساسية لبرنامج عمل الخضر، ويقوم الديموقراطيون، في المقابل، بمنح أصواتهم للخضر في الدوائر حيث لا يجد الديموقراطيون من يؤيّدونه مرشّحاً حقيقياً لمقعد الكونغرس.

فقليلون هم من أيّدوا هذا العرض. وفي الواقع، فإن ما اكتشفته كان أكثر سوءاً: فقد أطلعني قادة الحزب الديموقراطي على أمرٍ لا يُقرّون به علناً – وهو أنهم أسقطوا من حساهم انتخابات العام 2004؛ وأنهم لا يجدون إلا فرصةً ضئيلة أمامهم لإلحاق الهزيمة بجورج دبليو بوش. يُفترَض بهم عوضاً عن ذلك ادّخار طاقاتهم للعام 2008 عندما تكون هيلاري أو أحد مرشّحيهم الكبار مستعدّين لخوض الانتخابات والفوز بها.

يتوجّب علينا، أنت وأنا، نبذ هذه الطبيعة الانهزامية لهؤلاء الديموقراطيين

الكئيبين والضعفاء. ليس عليهم اتّخاذ هذا القرار في الواقع. فنحن، الشعب، لا يمكننا تحمّل دُمى كارل روف المتحرّكة لأربع سنوات أخرى. ولا يمكننا انتظار ما يُسمّى بحزب المعارضة - الديموقراطيين - لاتّخاذ قرارٍ بالمواجهة.

إذاً، ما العمل؟ أمرٌ واحدٌ نعرفه وهو أن الناس سيصوّتون لمرشّحٍ مستقل، كما شرح لنا جيس فنتورا. فقد كان أداء بروت لا يصدَّق - تخيّل ما يمكن لشخصٍ مجنون القيام به! ولكن لا وقت لدينا لإعداد فريقٍ ثالث جدّي خلال الأشهر القليلة القادمة. فقد كان يتوجّب القيام بهذا العمل في السنتين الماضيتين. لكن الأمر لم يتمّ. وانقضى الوقت.

وأملنا الوحيد هو العثور على شخصٍ مقبول نسبيّاً في خضمّ هذا الاعتداد بالنفس المثير للاشمئزاز وغير المبرَّر للديموقراطيين الذين يملكون أعداداً كبيرة من المؤيّدين في خمسين ولاية. ولا بدّ من وجود أحدٍ ما يمكنه إلحاق الهزيمة ببوش.

وبينما كنت أضع الكتاب، كان هناك شخصان مقبولان "كما يبدو" يخوضان الانتخابات بشكلٍ رسمي - دنيس كوتشينيتش وهوارد دين. وكوتشينيتش هو المرشّح الأفضل لهذه المسائل. ودين الذي تلقّى دعم الـ NRA في انتخابات سابقة ويؤيّد اعتماد حكم الإعدام بشكلٍ محدود، قويٌّ في مسائل أخرى. وأرغب بالاعتقاد بأن أحدهما قد ينجح بالرغم من المصاعب.

ولكني مرهَقٌ من كوني دائماً في هذا المأزق - ولست بمفردي. ألن يكون الأمر سارّاً إن نحن فزنا ولو لمرّة واحدة، آخذين بعين الاعتبار مدى ليبرالية الأمريكيين؟ حان الوقت للبدء بالتفكير خارج الإطار الذي وضعنا أنفسنا به. فلنتوقف بادئ ذي بدء بالاعتقاد بأن الرئيس يجب أن يكون رجلاً أبيضَ. فالرجال البيض هم أقليّة متضائلة في هذا البلد - 38 بالمئة من النّاخبين. إضف إلى ذلك أن الديموقراطيين الذين فازوا بمنصب الرئاسة منذ فرانكلين روزفلت (باستثناء الأغلبية الكبيرة التي نالها ليندون جونسون عام 1964) فازوا بمعزلٍ عن أصوات الذكور البيض، حاصلين على عددٍ ساحق من أصوات النساء البيض، والسود، والرجال والنساء من أصولٍ إسبانية.

وإذا تراجع الديموقراطيون عن معتقداتهم بعدم الاحتكام إلى كل الرجال

البيض الأغبياء، فإنهم سيفوزون. فالنساء من كل الألوان يشكّلن نسبة 53 بالمئة من النّاخبين. ويشكّل الرجال السود وأولئك الذين هم من أصول إسبانية 8 بالمئة من الأصوات. وهذا يعني أن النساء وهذه الأقليّة من الرجال يمثّلون حوالى 60 بالمئة من الأمّة بكاملها، وهي أغلبيّة ساحقة وائتلافٌ قوي منتصر.

والأمريكيون مستعدّون لأن تتولّى امرأة منصب الرئاسة. ماذا بشأن خوض إحدى نسائنا من حكّامٍ أو أعضاء مجلس الشيوخ الانتخابات الرئاسية؟ فالنّاخبون يريدون منح أصواتهم للنساء - وقد ارتفع عدد النساء الأعضاء في مجلس الشيوخ من اثنتين إلى أربع عشرة في خلال حوالى عقدٍ من الزمن. والنّاخبون ضجروا من الرجال الهرمين المتعَبين ذاتهم الذين يبدون كمجموعة من المخادعين الكاذبين. أليس هناك امرأة واحدة من النساء الـ 66 مليون اللواتي يحقّ لهنّ بمزاولة الشؤون الانتخابية في هذا البلد يمكنها التغلّب على هذا الولد؟ ألا يوجد امرأة واحدة؟

وأعتقد أيضاً بأن البلد مستعدٌّ لرئيسٍ أسود. فقد حصلنا على واحدٍ من خلال برنامج 24 التلفزيوني، وهو أحد برامج محطة فوكس الأكثر شعبيّةً. وكان هناك من ثمّ مورغان فريمن رئيساً في برنامج صدمة عميقة (وآخر مرّة رأيته فيها كان يلعب دور الله في بروس الكلّي القدرة!). ولم تكن هوليود لتجعل رجلاً أسودَ إلهاً لو لم يكن بالإمكان عرض عملها في بيتسبرغ. وقد منح 12 مليون أمريكي أصواتهم عام 2003 للرجل الأسود روبن ستادارد ليكون "إلهنا الأمريكي الزائف" التالي.

سواءٌ كانت انتخابات العام 2004 أو الانتخابات التي ستليها، فنحن بحاجةٍ لإيجاد مرشَّحين جدد يمكنهم تسجيل أهدافٍ في مرمى الجمهوريين. والافتراض المطروح هو أن يكون المرشَّح لمنصب الرئاسة سناتوراً أو حاكماً. وإن لم يكن مرشَّحٌ ما سياسياً محترفاً بل مواطناً مثل آل شاربتون، فأيٌّ من النّاخبين لن يزوّده بالتوقيت (بالرغم من أن شاربتون قال بعض الأمور الأكثر وضوحاً ومرَحاً في هذه الحملة).

فما نحتاج إليه الآن هو من يهزم بوش! شخصٌ محبوبٌ من الشعب الأمريكي يتحرَّر من الابتسامة المتكلّفة في يوم التقليد الرسمي لمنصب الرئاسة عام 2005. شخصٌ مماثل لـ ريغن، وشخصيّة مشهورة تقود بقلبها وتختار الناس الأكفّاء للقيام بالأعمال اليومية.

من هو هذا الشخص الذي يمكنه قيادتنا إلى أرض الميعاد؟

اسمها أوبرا.

أوبرا!

أجل، أوبرا وينفري.

يمكن لـ أوبرا هزم بوش. فأمريكا تحبّها، وسياساتها مقنعة، وقلبها طيّب، وتريدنا الاستيقاظ الساعة السابعة من كل صباح بنشاط وحيويّة! لا يمكن لهذا الأمر أن يكون سيّئاً. وستحملنا كلّنا على قراءة كتابٍ واحدٍ في الشهر! ("مساء الخير. هذا رئيسكم. سنقرأ في هذا الشهر العالم الجديد الشجاع"). يا لها من خطوةٍ مثلجة للصدور!

وإليكم أمرٌ إضافي آخر – لا يمكن شراء أوبرا. فهي بليونيرة! تخيّلوا رئيساً لا يكون مديناً بشيء لجماعات الضغط أو شركات النفط أو لكن لاي. وإن راتباً سنوياً لأوبرا في البيت الأبيض يبلغ 400.000 دولار فقط هو تراجعٌ في المدخول بالنسبة إليها، ولكن لا بأس عليها أن تكون رئيسة وتستمرّ بإطلالاتها المباشَرة على الهواء. فكل يوم، وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر، يمكننا مشاهدة الرئيسة أوبرا في بثٍّ مباشَر من الغرفة الشرقية في البيت الأبيض مع جمهورٍ من الأمريكيين العاديين يتحدّثون بشأن ما يكابدونه، وما هم بحاجة إليه – وأوبرا هناك لمساعدتهم. وبخلاف برنامجها الحالي في شيكاغو، فإن أوبرا في جادة بنسيلفانيا تمام الساعة الرابعة بعد الظهر سيكون بإمكانها معالجة مشاكل الناس في حينه. لا يمكنك دفع الفواتير؟ الرئيسة أوبرا تصدر أمراً باعتقال المسؤولين التنفيذيين عن بطاقات الائتمان الذين يفرضون معدّلات فائدة خيالية. أولادك يُظهرون سلوكاً تمرّدياً؟ ليس بعد نقلهم إلى المكتب البيضاوي لإجراء حديث مفيد. زوجك لم يعد يعيرك الانتباه؟ ربما بعد أن ينتهي مغفّله على مُلصَقٍ على حائط مكتبٍ البريد مع عبارةٍ تقول "رجالٌ لا يصمتون ويسمعون".

فقد شهدتُ الإطلالة المباشَرة لـ أوبرا ثلاث مرّات. ورأيت كيف أن المواطنين العاديّين يتجاوبون معها، والرجال والنساء من كل الأعراق على اتّصالٍ بها. هي تجسّد بروس سبرينغستين، الأم تيريزا، والأميرة ديانا في آن. رأيت راشدين

ناضجين ينهارون ويجهشون بالبكاء بعد التمكّن من مصافحتها. لَمَ ردّة الفعل هذه؟ أظنّ لأن أوبرا هي شخصٌ صادق لا تخاف قول ما تريد قوله وتكون ما تريد أن تكون. هي واحدةٌ منّا بحجت بطريقة ما. يعجبنا الأمر عندما يُحرز أحد أعضاء فريقنا النجاح! فالأمر كل الأمر هو أنها تقول "أحاول بذل ما بوسعي. لديّ نجاحي وفشلي، ولكني أستيقظ كل يوم وأمنح الحياة فرصةً أخرى".

وليست حملة أوبرا لتشجيع الناس على القيام بمبادرات لطيفة وبسيطة – والأثر الذي يمكن لهذه الأعمال إحداثه – سوى مثالٍ واحد على إيمانها بقدرة الفرد على تغيير العالم.

والآن، قد يبدو كل هذا ضرباً من ضروب الهراء السخيف بالنسبة إلى المتشائمين منكم، ولكن أيّ أسلوبٍ آخر لم يفلح! لَمَ لا نحاول طريقة أخرى؟ لَمَ لا نتعاطف مع من يُعنى بأمور الناس في الواقع؟ شخصٌ يحاول مساعدة النساء والرجال العاديّين في عالمٍ يزداد وحشيّةً، وتعقيداً، وعُقماً.

أعلم، ربما ظننت أنني كنت أكتب كل هذا عن أوبرا على سبيل النكتة والهزل. لا، بل أنا جدّي بكل معنى الكلمة. فقد حان وقت الخطوات الجريئة، والتفكير بطرقٍ جديدة إذا أردنا الفوز وقلب مسار الأمور. أوبرا ستهزم بوش. تخيّلوا المناظرات – بوش إزاء أوبرا! لا بدّ أنها ستُربكه تماماً. فهي ستنظر إلى الكاميرا مباشرةً وتُخبر الأمريكيين: "سأعتني بكم. سأحميكم. ستنضمّوا إليّ في هذا العمل. سأستعين بالأشخاص الصالحين الذين سيعملون على ألا يعاني كل من يعيش في هذا البلد من إساءاتٍ إضافية، وسيتيقّن العالم من أننا شعبٌ سموح ومسالم". وستنظر من ثمّ إلى دبليو وتقول له إنه في طريقه إلى غرفة تعليق المهام والقيام بزيارة للدكتور فيل.

وهي ستحقق فوزاً مبيناً.

والآن، كيف نقنع أوبرا بخوض الانتخابات؟ سيبدأ الأمر بإدراج برنامج عمل تمهيدي لأوبرا على موقع الإنترنت الخاص بي. وعندما نشرتُ هذه الفكرة الإشاعة لأول مرة في أوائل العام 2003، طلبت وسائل الإعلام منها تعليقاً على الموضوع فقالت مبتسمة: "يقول الناس 'لا ترفض الأمر كلّياً على الإطلاق'". ولكن عندما

يتعلّق الأمر بالسياسة، أضافت أوبرا، "يمكنني القول 'أبداً'". يمكننا تبديل رأيها. يمكنكم الكتابة لها من خلال موقعها على الإنترنت www.oprah.com. وهي على الأرجح لن تحب هذه الفكرة في بادئ الأمر. ولكني آمل أن تستجيب للدعوة وتقودنا إلى خارج مأساتنا الوطنية. أوبرا! أوبرا! أوبرا!

حسناً، ماذا لو لم تخُض أوبرا الانتخابات؟ من غيرها محبوبٌ وشعبي إلى هذه الدرجة يعلن عن ترشّحه غداً ويهزم بوش في تشرين الثاني/نوفمبر القادم؟ ليست كلّهنّ نساءٌ سوداوات، ولكن هناك أوبرا أخريات تنتظرن. ماذا عن توم هانكس؟ كلّهم يحبّون توم هانكس! هو أحد أفضل الأشخاص، يُعنى بشؤون الناس، ويحب وطنه. من المحتمَل أن يجلد بوش.

وهناك بالطبع مارتن شين. فالناس يحبّونه عندما يلعب دور الرئيس على شاشة التلفزة. فلنوقف الدور المزعوم ونجعله أمراً واقعاً!

أو ماذا عن بول نيومن؟ قد يهزم بوش أيضاً. فإذا تمكّن ريغن من هزم خصمه في هذا العمر، فكّروا فقط بأهمّيّة قيام رجل الدولة الأكبر سنّاً بول نيومن باجتذاب الأصوات. سَلَطة مجانيّة للجميع! وبجوان وودوارد كسيّدة أولى! لا، انتظروا - جوان وودوارد رئيسة!

ماذا عن كارولاين كنيدي؟ أحد أفراد عائلة كنيدي غير المعنية بفضائح! هي شخصٌ سموح جديرٌ بالاحترام، وهي أمٌّ أيضاً!

أو أيّ من أعضاء فريق ديكسي تشيكس! فلا أحد تمكّن من دبّ الذّعر في صفوف اليمين أكثر من الديكسي تشيكس. هم أول من جاهروا بالكلام عندما لم تكن المجاهرة أمراً شعبياً. فقد كانوا شجعاناً وغنّوا أغنياتٍ عن التخلّص من الأصدقاء الذين لا خير فيهم والأزواج الذين يحوّلون حياتكم إلى شقاء. هناك حيث لا تمارس المرأة حقّها بحرّية الترشّح! فلنجعلهنّ ثانيةً فخوراتٍ بكونهنّ من تكساس! بإمكانهنّ التناوب على الرئاسة سنويّاً ومداورةً، ومتى انقضت سنواتٌ أربع، يمكنهنّ تسليم المنصب لنائب الرئيس - أوبرا!

ولكن، لنعتبر أن أيّاً من هذه الشخصيات الشهيرة مستعدّة للتخلّي عن حياتها اللطيفة والإقامة حيث من المحتمَل أن يبغضها الناس نتيجةً لتصرّفاتٍ معيّنة. من

يستطيع ملامتهم؟ إذاً، أين يؤدّي بنا هذا الأمر؟

منذ أشهرٍ عديدة، وخلال الأيام التي سبقت غزو العراق، كنت أقلّب محطات التلفزة عندما استوقفني جنرال يتكلّم على الـ سي. إن. إن. إفترضتُ أنه أحد القادة العسكريين السابقين الذين ظهروا على كافة شبكاتنا التلفزيونية، وكنت مستعدّاً للاستمرار بالتقليب. غير أنه قال ما لفت انتباهي، فتابعت الاستماع. كان في الواقع يتساءل عن الحكمة من قيام بوش بمهاجمة العراق. وقبل وقت طويل من قيام بوش وشركاه بتضليل الشعب الأمريكي، ولغايات معيَّنة، حيال "أسلحة الدمار الشامل" في العراق، كان يتساءل عمّا إذا كان العراق يشكّل، في الواقع، تهديداً حقيقياً للولايات المتحدة. يا لهذا الرجل! من هو؟

اسمه ولسي كلارك. الجنرال ولسي كلارك. كان الأوّل في صفّه في وست بوينت، طالباً موهوباً في أوكسفورد، قائداً أعلى سابق لقوات تحالف الناتو، وديموقراطيّاً ملتزماً من أركانساس. وبدأت أدقّق بأقواله. وإليكم ما اكتشفت:

- هو مؤيّدٌ لحرّية الاختيار ومدافع عن حقوق المرأة. ولدى سؤاله خلال برنامج كروسفاير عمّا إذا كان يظنّ بأن الإجهاض يجب أن يحافظ على قانونيّته، أجاب بدقّةٍ وبساطة: "أنا من مؤيّدي حرّية الاختيار".
- هو ضد خفض الضرائب الذي اعتمده بوش. هو قال: "أظنّ أن هذا البلد قام على مبدأ ضريبي تصاعدي. وفي كلماتٍ أخرى، لا يرتبط هذا المبدأ بأنه كلّما جنيتم أكثر كلّما قدّمتم أكثر، بل بالنسبة الصحيحة ممّا تجنونه وتقدّمونه لأنكم عندما لا تملكون كثيراً من المال تحتاجون إلى إنفاقه على ضرورات الحياة. وعندما تملكون مزيداً من المال، يكون لديكم غرفة للكماليّات... وإحدى الكماليات وأحد الامتيازات التي نتمتّع بها هو العيش في هذا البلد العظيم. لذا، أعتقد أن تخفيض الضرائب لم يكن عادلاً".
- هو ضد باتريوت أكت 2 ويريد إعادة النظر بالأوّل. وإليكم ما قال: "إحدى المجازفات في هذه العملية هي أنك تتخلّى عن بعض المبادئ في أمريكا القائمة على العدالة، والحرّية، وحكم القانون. أظنّ بأنه يجدر بكم الحذر جيّداً عندما تختصرون تلك الحقوق لمواصلة الحرب على الإرهابيين حتى النهاية".

- هو مع ضبط استخدام السلاح. يقول كلارك: "بشكلٍ عام، لديّ عشرون قطعة سلاح إضافيّة في المترل. أحبّ الصيد. وطالما نشأت وترعرعت مع السلاح، لكن الناس الذين يحبّون الأسلحة الهجومية يُفترَض بهم الانضمام إلى الجيش الأمريكي، وهم عندنا بالفعل.
- هو مع السلوك الإيجابي. ففي سياق حديثة عن المذكّرة القضائية التي أعدّها مع المحكمة العليا لدعم جامعة ميشيغن في مساعيها لفرض سلوكٍ إيجابي، قال: "أنا أؤيّد مبدأ السلوك الإيجابي... فعندما لا تتمتّع بهذا السلوك، لا يمكنك الحصول على مجتمع نكون فيه معترفين بعدم وجود مشكلة تمييز عنصري... ونحن ندرك فوائد السلوك الإيجابي في القوات المسلّحة الأمريكية. فقد كان أمراً أساسياً لتأمين سلامة القوات المسلّحة وفعّاليتها".
- هو ضد إرسال الجنود إلى إيران أو الاستمرار بهذا الهراء المدعو محور الشرّ. "نحتاج بادئ ذي بدء إلى تعدّدية الجوانب لما هي قادرة على القيام به"، يقول كلارك. "ويمكن لتعددية الجوانب إذا ما اعتُمدت بفعّالية أن تمارس ضغطاً دبلوماسياً واقتصادياً كبيراً لا يمكن تحمّله. وفي الدرجة الأولى، أظنّ أننا بحاجة لأن نكون حذرين جدّاً من الانتقال بسرعةٍ وتسرّع إلى خيارٍ عسكريٍ، ولا سيّما في ما يتعلّق بإيران، لأننا قادرون على الإطاحة بالحكومة هناك. وقد نقوم بقصف بعض المنشآت، لكن هذا الأمر لن يحلّ المشكلة بالضرورة".
- هو مؤيّد للبيئة: "الكائنات البشرية تُفسد البيئة بالتأكيد، وكل ما عليك القيام به هو التحليق على امتداد الـ "أندس" والنظر إلى أنهار الجليد المضمحلّة، فتدرك أن هناك ما يُسمّى تسخين عالمي شامل بدأ فقط مع اتجاه الصين والهند إلى العصرنة".
- يحبّذ العمل مع حلفائنا عوضاً عن ازدرائهم: "هي إدارةٌ لم تحترم حلفاءنا في الحقيقة... إذا أردتم حلفاء في الواقع عليكم الاستماع إلى آرائهم، ويجب عليكم أخذهم بجدّية أكبر والعمل على إيجاد حلولٍ للمسائل المرتبطة بهم".

لذا، إليكم سؤالي يا أيها الديموقراطيون العاجزون: لَمَ لا ترشحون هذا الرجل

بحق الجحيم؟ ألأنه قد يفوز؟ أجل، يا لغرابة هذا الأمر – فائز! ألا تريدون المحاولة؟

حسناً، إذا كنا نتطلّع إلى استراتيجية لإلحاق الهزيمة ببوش الفارّ من الجنديّة، أرغب بترشيح جنرال بأربعة نجوم ضده! ولن يكون لبوش أي فرصة. وقد تكون هذه الطريقة الوحيدة لهزمه. وسيحاول الاستراتيجي السياسي التابع لبوش، كارل روف، إقناع الشعب الأمريكي بأنها انتخاباتٌ في زمن حرب – وأنتم لا تبدّلون رؤساء في زمن الحرب. وهذا ما يعتمدون عليه – إخافة الشعب الأمريكي لسنوات أربع أخرى من حكم بوش II. وإذا نجحوا بإخافة النّاخبين من خلال حملهم على الاعتقاد بأنهم مهدَّدون من قِبَل عدوٍّ ما، سيكون من المستحيل علينا إبطال نتيجة هذا النوع من الضرر. وعوضاً عن ذلك، لَمِ لا نُماشي الأمر الواقع ونخبر الشعب الأمريكي بأنه، حسناً، يوجد تهديدٌ ما، ومن تفضّلون أن يقوم بحمايتكم: رجلٌ فرّ واختبأ في أوماها أو أحد أكبر الجنرالات في العالم؟ فقد نال كلارك على جائزة النجمة الفضّية، والنجمة البرونزية، والقلب الأرجواني، وميدالية الحرّية الرئاسية. وبفضل البريطانيين والهولنديين، حصل أيضاً على وسامين فخريّين!

أعلم أن هذا الأمر سيكون صدمة للعديدين منكم. "مايك، كيف يمكنك أن تؤيّد جنرالاً؟!"

حسناً، وفيما أكتب هذه الكلمات، ليس في نيّتي تأييد أحد (باستثناء أوبرا. هيا أوبرا، خوضي المعركة الانتخابية!) هكذا أرى الأمور. وكان أمامي أربع سنوات للمساعدة على بناء حزب الخضر أو بديلٍ مستقلٍّ آخر. ولم أقم بالأمر. ولم يقم به أحد. بالتأكيد، كانت لي مساهماتي، لكنها لم تكن كافية. وبينما أجلس هنا أطبع هذه الكلمات، ما يزال حزب الخضر لا يحظى بغالبية أصوات المقترعين في البلد. والآن، تواجهنا مهمّةٌ أكبر – إيقاف جورج دبليو بوش عن تعرية دستورنا بالكامل والحرّية التي نتعلّق بها كثيراً. نحن في مأزق، وفي بعض الأحيان، تقتضي الأوقات اليائسة إجراءات يائسة.

وإذا تتطلّب الأمر جنرالاً مؤيّداً لحرّية الاختيار والبيئة، يؤمن بعناية صحّية شاملة وبأن الحرب ليست أبداً الردّ الأول التلقائي لنزاعٍ ما، وإذا كان هذا ما يقتضيه إزاحة هؤلاء الأوغاد وإنجاز المهمّة التي كان يتوجّب على الديموقراطيين

إنجازها في العام 2000 – إذاً، فهذا ما أنا مستعدّ للقيام به. ويتطلّب الأمر حلاً وسطاً من قِبَلي – هل سيكون الخاسرون الذين يديرون شؤون الحزب الديموقراطي مستعدّين للإقرار بأخطائهم ولقاء الملايين من أمثالي في منتصف الطريق؟ أين هم كوتشينيتش أو دين، أوبرا أو هانكس أو الجنرال الصالح، أنا جاهزٌ للفوز.

من يريد الانضمام إليّ؟

لا يمكننا ترك الديموقراطيين يعبثون بهذه الانتخابات مرّةً ثانية. وسيتطلّب الأمر مشاركة فعّالة من قِبَلنا كلّنا لاسترداد بلدنا. وأقوم بكتابة هذه الكلمات بأفضل ما يكون، وشخصيّاً بأفضل طريقة ممكنة، لكلٍّ منكم أنتم الذين تقرأون "رجال بيض أغبياء" (أكثر من مليوني أمريكي)، ولكلٍّ منكم أنتم الذين شاهدتم Bowling for Columbine (أكثر من 30 مليوناً) ولكلّ من ولجوا موقعي على الإنترنت (أكثر من مليون شخص يومياً). هو ما يتطلّبه جيشٌ صغير، وهكذا، أريد مرّةً أخرى استدعاء ميليشيا مايك لإعلان الثورة وردّ الغزو البوشي على أعقابه. بصدق، لا نملك المال ووسائل الإعلام التي يملكون – ولكنْ لدينا شيءٌ أفضل: لدينا الشعب إلى جانبنا. وما لم يعلنوا القانون العرفي أو يعلّقوا الانتخابات، وما لم تقم كاترين هاريس بالتدخّل في الولايات الخمسين كلّها، إذاً لا سبب وجيه لعدم تمكّننا من إلحاق الهزيمة بهم.

وبصفتي القائد الأعلى للقوات المسلّحة، آمركم بالمباشرة بـ "عمليّة الدقائق العشر لاستبدال النفط". وبقيامنا بشيءٍ ما لعشر دقائق فقط يومياً، سيكون بإمكاننا إزالة بقعة النفط المتمثّلة ببوش وزملائه النفطيين الجالسين الآن في البيت الأبيض. وأطلب من كلّ واحدٍ منكم القيام بنشاطات حرب العصابات التالية بين الآن وتشرين الثاني/نوفمبر 2004. فهي لا تتطلّب سوى عشر دقائق يومياً:

1. **تحدّثوا إلى كلّ** الذين هم على استعداد لمعرفة كلّ ما قام به بوش من إساءاتٍ للبلد ولهم. وهذه الانتخابات هي ككلّ الانتخابات استفتاء حول أصحاب المناصب أكثر منه استفتاء حول المناوئين. وإذا انتهى النّاخبون إلى الثّقة بأن صاحب المنصب ألحق الأذى بالبلد أو بدخل المواطن العادي، فإن الناخبين سيمنحون أصواتهم لمن يخوض الانتخابات ضدّه، كائناً من كان. إذاً، يجب أن يكون التركيز أوّلاً على إقناع الناس بأن تغييراً ما يتمّ الإعداد له.

2. **انضمّ إلى حملة** الشخص الذي تعتقد بأن له الحظ الأوفر بهزم بوش. انضمّ إلى حملات أكثر من شخص واحد إن لم تكن قادراً على اختيار واحدٍ منهم.
3. استخرج ملصَقاً من موقع مرشّحك على الإنترنت وألصقه على نافذتك أو في فناء مترلك. ألصقه على سيارتك.
4. تقدّم بطلب لتكون **مندوباً في دائرة انتخابية** (إذا ما زال هناك وقت لذلك من خلال المؤتمرات الحزبية وانتخاب مرشَّحي الأحزاب، وإلا إسعَ لحضور لقاءات المؤتمر الحزبي أو اجتماعات الأقاليم.
5. ما زال أمامك وقت للحصول على **منصب محلّي** في الانتخابات القادمة. لَمَ لا تكون أنت؟ أن تكون عضواً في مجلس القريةِ ليس بالأمر الصعب. فقط قُم بالأمر!
6. إشترِ نسخات قليلة من **الكتب التالية** ووزّعها على أصدقائك وعائلتك وعلى زوج أختك المحافظ: "أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراءها" (منشورات الدار العربية للعلوم)؛ حربٌ دائمة لسلامٍ دائم؛ بوش مهزوم!؛ لصوصٌ في المواقع العليا؛ الحلّ البارع للألغاز؛ والأكاذيب والكاذبون الذين يروونها. فكلّها تحتوي على مجموعة من المعلومات المفيدة التي من شأنها زيادة عدد المنتسبين إلى ميليشيا مايك إذا ما تمّ عرضها على أيّ شخصٍ سليم العقل.
7. أحتاج إلى كل شخصٍ يقرأ هذا الكتاب للتعهّد **بالتخلّي عن أيام السبت الأربعة** في تشرين الأول/أكتوبر 2004 بهدف العمل لصالح المرشَّحين الذين سيضعون حدّاً لنظام بوش في العاصمة واشنطن. فقط أيام سبت أربعة وفي فترات بعد الظهر تقدّمها لبلدك. أعلم أن هذا الوقت يتخطّى الدقائق العشر التي طلبتها منكم – ولكنكم بلغتم الآن مرحلة لا يمكنكم التراجع فيها عمّا أنتم مصمّمون عليه! وهناك الكثير من الأشياء يمكنكم القيام بها: روّج لمرشّح إلى مقعد في الكونغرس، وزّع مواد مطبوعة في الشوارع، إجرِ اتصالات هاتفية من مراكز قيادة تابعة لمرشّحٍ ما للإقلاع عن التصويت، ضع لافتات في الساحات، أرسل بريد إلكتروني، شارك في برامج المحادثة، تعقّب المناوئين، نظّم اجتماعات حاشدة، إستضف الجيران لتناول مأكولات من حواضر البيت. والتحضير لهذه الانتخابات سيكون هدفه واحداً – المشاركة في التصويت.

8. للّذين هم أكثر التزاماً بينكم، لَمَ لا **تسافرون إلى مقاطعة متقلّبة** تجري فيها انتخاباتٌ لمقعد في الكونغرس حيث توجد فرصة للفوز على جمهوري؟ فالكثيرون منّا لا يفكّرون أبداً بركوب الباص والسفر آلاف الأميال إلى العاصمة واشنطن للمشاركة في تظاهرة. لَمَ عدم السفر إلى بادوكا، كنتاكي، للعمل لصالح مرشّحٍ ما يحظى بفرصة للفوز، وذلك لمدة أسبوع أو خلال فترة نهاية الأسبوع؟ فوجودكم قد يُحدث الفرق. هو عملٌ أكبر بقليل من حمل لافتة وإطلاق شعارات، لكن النتائج قد تستأهل الجهد. (يمكنكم ولوج موقعي على الإنترنت لاكتشاف تلك المقاطعات التي حدّدت والتي هي بحاجة لمساعدتنا).

9. يوم الانتخاب: **ادعُ من لا يرغب بالمشاركة في التصويت لتناول الغداء – ولحمله على التصويت!** ماذا لو أن كلّ واحدٍ منكم يخطّط للإدلاء بصوته عام 2004 يقوم بإقناع شخصٍ واحدٍ فقط لا يخطّط للإدلاء بصوته بمرافقته إلى صناديق الاقتراع؟ لا تحاول إقناعَ من اتّخذ قراراً بعدم المشاركة في التصويت بالعدول عن رأيه؛ فالأمور لا تسير على هذا المنوال. فالناس لا يُعيدون الارتباط بزوجاتهم الأُوَل عادةً، ولا يحضرون فيلماً سينمائياً مرّتين. لذا، تخطَّ الجدل الأخلاقي أو خطاب المواطن الصالح وقُل لبوب – من كان يقوم بخداع الناس حول كل الأمور، بدءاً ببوش وانتهاءً ببنود 401(k) المتعلّق بالعمّال – "انظر، أنا مصمّم على الاقتراع. فلنذهب معاً!". وعندما تبلغون صناديق الاقتراع، إسأله للدخول معك، لا يتطلّب الأمر سوى عشر دقائق. ثِق بي، فهو سيعبّر عن موافقته. ليس الأمر سوى كقولك لأحدهم: "لنتناول كوب من المشروب المفضل". وأنت غالباً ما لا تكون في مزاجٍ للاستماع إلى ما يقوله الآخرون، ولكنك لا تريد خذل صديقك، وإضافةً إلى ذلك، ما الضير في الأمر؟ فوظيفتك تقضي، بين الآن ويوم الانتخابات التالية، باختيار صديقٍ لك أو فرد من أفراد عائلة ما أو زميلٍ لك في العمل أو زميلٍ في الدراسة له آراء مماثلة لآرائك ولكنه لن يتكبّد عناء الإدلاء بصوته ما لم ترافقه أو ترافقها، إلى مكان الاقتراع. وفي العديد من السباقات لاحتلال مقاعد في الكونغرس، فإن آلافاً قليلة من الأصوات تحدّد الفائز. وإذا كنت محظوظاً، فهناك الملايين ممّن

هم يقرأون هذا الكتاب الآن. فكل ما يتطلّبه الأمر لإمالة كفّة ميزان السلطة هو تمكّن 10 بالمئة منكم من حمل صديقٍ أو صديقين لا يرغبان بالإدلاء بأصواهما إلى مراكز الاقتراع. هو أمرٌ بهذه البساطة.

10. أخيراً، **إليكم فكرة عن كيفية حمل مزيدٍ من غير الراغبين بالإدلاء بأصواهم على الاقتراع.** كنّا نعتمد هذا الأسلوبَ في بلدتنا الأم فلينت في ما مضى. فكل من يشارك بالاقتراع (في معظم الولايات) يُعطى وصلاً عليه رقم بعد وضع ورقة الاقتراع في الصندوق (بعض الولايات تعطي أوراق لاصقة كُتب عليها "أنا اقترعت"). أعلنوا أنكم ستقومون بإجراء قرعة بواسطة هذه الوصولات، والرابح يفوز بأيّة جائزة يمكنكم تقديمها مع جماعتكم (كنا نمنح ألف دولار، وقد وهب أحدهم سيارةً في إحدى السنوات). وأثبت هذا الإجراء فعّاليته لحمل الشبّان على التصويت، وقد نجحت مجموعات من السود ومن أصولٍ إسبانية في حمل أولئك الذين كانوا يحسّون بأهم مهمَّشون بمنح أنفسهم فرصةً أخيرة لإحداث تغيير. تأكّدوا من أنّكم تتّبعون قوانين الانتخابات المحليّة، وإذا ما اعتمدتم هذه الوسيلة فإنكم قد تُفاجأون بمدى فعّاليتها. من الأفضل بالتأكيد أن يشارك الناس بالاقتراع انطلاقاً من حقّهم المكرَّس، ولكن، لنواجه الأمر، نحن نعيش في أمريكا القرن الحادي والعشرين، ولن يكون للغالبية الحماسة للمشاركة في الانتخابات ما لم يجرِ الاقتراع من خلال الهاتفْ وعلى الهواء.

إلى الأمام. لديكم الآن أوامر الزحف. لا تخذلوني، ولا تخذلوا أنفسكم. فقد فاقونا حيلةً ودهاءً ذات مرّة – ومن المفترَض أن يكونوا هم "رجال بيض أغبياء"! دعونا لا نسمح بتكرار هذا الأمر مرّةً أخرى. وهناك العديدون منّا قادرون على جعل الانتخابات تتّخذ مساراً آخر. نحن نحبّ وطننا ونُعنى بالعالم حيث يوجد فيه وطننا. فلا سبب للوقوع في يأسٍ أو تشاؤمٍ أناني. وكل الأسباب متوافرة لوضع هذا الكتاب جانباً الآن بالذات، وتناول الهاتف، والسير نحو الباب، وإحداث الفرق.

أيها المتأنّق، ماذا حلّ ببلادي؟ هو خارج نافذتكم مباشرةً ينتظركم لإدخاله إلى المترل.

هوامش ومصادر

الفصل الثاني: وطن الأكاذيب الكبيرة

ردّ الرئيس كلينتون تهمة الخيانة في 26 كانون الثاني/يناير 1998، وذلك بعد عرضٍ لسياسة العناية بالطفل جرى في البيت الأبيض، وكانت زوجته ونائبه إلى جانبه. ونصّ تصريحه مدوّن في دائرة المحفوظات والسجلات الوطنية ويمكن قراءته على الموقع:

http://clinton4.nara.gov/WH/New/html/19980126-3087.html

معظم ملاحظات الرئيس بوش الواردة في هذا الفصل منشورة على الموقع الرسمي للبيت الأبيض: www.whitehouse.gov. فقد اعتمدتَ الخداع للحؤول دون التعرّض لعواقب تلك الأكاذيب، حتى الصغيرة منها، موكلاً إلى مرؤوسٍ تافه مهمّة تسجيل كل كلمة تقولها ونشرها على الإنترنت ليطّلع عليها كل الناس!

- النسخات المتنوّعة لكذبة الرئيس حول التهديد الذي تشكّله أسلحة الدمار الشامل قي العراق، والتي طالما ردّدها، يمكن قراءتها كلّها على الموقع المذكور وفي المواضيع التالية: 21 كانون الثاني/يناير 2003، الرئيس بوش يلتقي علماء اقتصاد طليعيين؛ 12 أيلول/سبتمبر 2001، ملاحظات الرئيس في الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ 8 شباط/فبراير 2003، خطاب الرئيس عبر الإذاعة.
- في إعلان لصالح السناتور المُفعَم بالأمل جون كورنين، وأثناء مأدبة عشاء لجمع الاعتماداتٍ المالية في هيوستن بتاريخ 26 أيلول/سبتمبر 2002، ألمح بوش إلى ثأرٍ شخصي ضد صدام: "لا شك في أن ضغينته موجَّهة إلينا بشكلٍ رئيسي. لا شك في أنه لا يطيقنا. في الواقع، هو شخصٌ حاول قتل والدي".
- قام بوش شخصياً بنشر روايات عن أن العراق حاول الحصول على يورانيوم مخصَّب من أفريقيا، كما حاولَ شراء أنابيب الألومنيوم التي تساعده على وضع برنامج أسلحة نوويّة، وذلك في حديثٍ تلفزيوني بتاريخ 7 تشرين

الأول/أكتوبر 2002 في سينسيناتي، الرئيس يوجز التهديد العراقي.

- خلال حملته التي شملت ولايات عديدة في شهري تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر من العامٍ 2002 بهدف نيل الدعم لشنّ حربٍ على العراق، عمِل الرئيس على الربط بين صدام حسين و"القاعدة". راجع: 28 تشرين الأول/أكتوبر 2002، ملاحظات وجّهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في نيو مكسيكو؛ 28 تشرين الأول/أكتوبر 2002، ملاحظاتٌ وجّهها الرئيس في حفلة ترحيبٍ أُقيمت له في كولورادو؛ 31 تشرين الأول/أكتوبر 2002، ملاحظاتٌ وجّهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في ساوث داكوتا؛ 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجّهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في نيو هامشاير؛ 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجّهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في فلوريدا؛ 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في مينيسوتا؛ 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في ميسوري؛ 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجهها الرئيس في حفلة ترحيب أُقيمت له في أركانساس؛ 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2002، ملاحظات وجهها الرئيس في حفلة أُقيمت له في تكساس.

لمزيدٍ من المعلومات عن الشركات التي تصيد عقوداً لإعادة إعمار عراق ما بعد الحربٍ وتُقدَّر قيمتها ببلايين الدولارات، ومساهماتها المالية لجورج دبليو بوش وحزبه الجمهوري، راجع تقرير إعادة إعمار العراق - موقّعو العقود، على الموقع www.opensecrets.org/news/rebuilding-iraq

أوراق اعتماد السفير جوزف ويلسن مُرفَقة بسيرته الذاتية، وتوفّرها مؤسسة الشرق الأوسط الفكرية ومركزها واشنطن، دي. سي. تسلّم ويلسون، وعلى مدى ثلاثة عقود، مناصب في مجلس الأمن الدولي، والقوات المسلَّحة الأمريكية، والسلك الخارجي، ووزارة الخارجية، وكان المسؤول الأمريكي الأخير الذي التقى صدام حسين قبل شنّ "عاصفة الصحراء". ونشرت الـ نيويورك تايمز تقرير

ويلسن الخاص عن رحلته إلى النيجر التي قام بها في العام 2002، وهو بعنوان، ما لم أعثر عليه في أفريقيا، 6 تموز/يوليو 2003.

وإن تقارير إضافية حول استقصاء ويلسن وتكرار إدارة بوش باستمرار للمواضيع المتعلّقة بالسلاح النووي العراقي وما تواجهه من أدلّة تناقضية، أشار إليها نيكولاس دي. كريستوف في مقالته، البيت الأبيض يُنكر، نيويورك تايمز، 13 حزيران/يونيو 2003؛ ريتشارد لايبي، بعثة منكفئة: تقريرٌ نووي تمّ تجاهله؛ ذكر بوش عمليات شراء عراقية مزعومة، بالرغم من أن الـ سي. آي. إي. أثارت شكوكاً حول الموضوع عام 2002، واشنطن بوست، 6 تموز/يوليو 2003؛ إي. بي. سي. وورلد نيوز تونايت، علِم البيت الأبيض أن الادّعاء العراقي - الأفريقي كان خاطئاً؛ دُفعت إدارة بوش للتعبير عن أسفها بعد اكتشاف مصدر الوثيقة، 22 تموز/يوليو 2003؛ دانا بريست وكارن دويانغ، ارتابت الـ سي. آي. إي بمستندات تربط العراق باليورانيوم الخام، واشنطن بوست، 22 آذار/مارس 2003؛ مايكل إيزيكوف، وآل، إتبعوا طريق اليورانيوم الأصفر، نيوزويك، 28 تموز/يوليو 2003؛ والتر بينكوس، واجه بوش بيانات متضائلة عن محاولات العراق النوويّة، واشنطن بوست، 16 تموز/يوليو 2003؛ وإيفان توماس، وآل، الإفراط بالاتّجار بالعالم في زمن الحرب، نيوزويك، 9 حزيران/يونيو 2003.

اثنان وستون مليون شخص تنبّهوا لما أولاه بوش من أهمّية كبرى للحرب في الخطاب الذي ألقاه عن حالة الأمّة عام 2003، وفقاً لمراسلة الـ واشنطن تايمز جنيفر هاربر، خطاب بوش يرجّع صدى الجمهور وصناديق الاقتراع، 30 كانون الثاني/يناير 2003. الخطاب متوافر على موقع البيت الأبيض: حالة الأمّة، 28 كانون الثاني/يناير 2003.

بيان مدير الـ سي. آي. إي. جورج تينيت الذي أعرب فيه عن تحمّل "مسؤولية" اعتماد بوش المعلومات المخابراتية المدحوضة والقائلة إن العراق كان يسعى وراء اليورانيوم في أفريقيا، وذلك في خطاب العام 2003 عن حالة الأمّة، يمكن قراءته على الموقع www.cia.gov.

إن ما أُفشي عن مذكّرات تشرين الأول/أكتوبر التي تشير إلى الـ سي. آي. إي. نبّهت البيت الأبيض إلى أن تقرير اليورانيوم المرتبط بالعراق والنيجر كان مرتكزاً على معلومات مخابراتية خاطئة، وهي واردة في مقالة لديفيد إي. سانغر وجوديت ميلر نشرتها ذي نيويورك تايمز بتاريخ 23 تموز/يوليو 2003، بعد الحرب: المخابرات؛ يقول معاون الأمن القومي إنه يتحمّل مسؤولية الخطأ الحاصل في الخطاب، وتوم روم، مسؤولو البيت الأبيض يعتذرون عن الذلّة الواردة في خطاب حالة الأمّة، أسوشيتد بريس؛ وفي مقالة لوالتر بينسوس بتاريخ 8 آب/أغسطس 2003، واصل فريق بوش إعلان مزاعم العراق على الملأ؛ أصرّ مسؤولون على مزاعم حول اليورانيوم قبل خطاب الرئيس وبعده، واشنطن بوست.

خطاب وزير الخارجية باول في الأمم المتحدة المُشار إليه هنا أُلقي بتاريخ 5 شباط/فبراير 2003. والنسخة الرسمية نشرتها البعثة الأمريكية الدائمة إلى الأمم المتحدة على الموقع: www.un.int/usa.

التقرير الذي يشير إلى أن مقطورتين عُثر عليهما شمالي العراق كانتا مخصصتين لإنتاج الهيدروجين المستخدَم لنفخ المناطيد – وليس أسلحة نوويّة كما جزم الرئيس – هو لبيتر بومون، وآل ونشرته الصحيفة البريطانية ذي أوبزرفر، لا علاقة للمختبرات العراقية النقّالة بالحرب الجرثومية، قال التقرير، 15 حزيران/يونيو 2003. وأُكِّد هذا الأمر عندما انتهت وكالة المخابرات الدفاعية، وهي قسم من وزارة الدفاع، إلى الاستنتاج نفسه كما جاء في تقرير دوغلاس جل، المقطورات العراقية تنتج الهيدروجين وليس الأسلحة البيولوجية، نيويورك تايمز، 9 آب/أغسطس 2003.

الملاحظات التي أشار إليها الفريق جايمس كوناواي والتي تتناول فشل الجنود الأمريكيين بالعثور على أسلحة كيميائية في العراق وردت في مقالة لروبرت بيرنز على وكالة أسوشيتد بريس، دهشة قائد قوات المارينز الأمريكية بعدم العثور على أسلحة دمار شامل في المواقع العراقية، 30 أيار/مايو 2003.

تأتي المعلومات حول تعاون أمريكي مع العراق في حربه ضد إيران، واستخدام العراق أسلحة كيميائية وبيولوجية في ذلك الصراع، من مصادر متعدّدة بما فيها:

باتريك إي. تايلر، ضباطٌ يقولون إن الولايات المتحدة ساعدت العراق في الحرب بالرغم من استخدام الغازات السّامة، نيويورك تايمز، 18 آب/أغسطس 2002؛ أسلحة كيميائية في إيران: تأكيدات من أخصائيين، إدانة من مجلس الأمن، يو. إن. كرونيكل، آذار/مارس 1984؛ هنري كام، مسألة حرب الخليج الجديدة: أسلحة كيميائية، نيويورك تايمز، 5 آذار/مارس 1984؛ ريجينالد دايل، الولايات المتحدة والعراق يستأنفان علاقاتهما الدبلوماسية، فايننشال تايمز، 27 تشرين الثاني/نوفمبر 1984.

لائحة المكوّنات الكيميائية التي باعتها الشركات الأمريكية لصدام حسين بين عامي 1985 و1990 واردة في تقريرٍ صادر عن مجلس الشيوخ، صادرات الولايات المتحدة للعراق من مكوّنات كيميائية وبيولوجية ذات استخدام مزدوج ولا سيما الاستخدام العسكري وتأثيرها المحتمَل على العواقب الصحية لحرب الخليج، تقريرٌ لرئيس مجلس إدارة اللجنة المصرفية والشؤون الإسكانية والمدينية دونالد دبليو ريغل الابن، ولألفونس إم. داماتو الذي يليه مرتبةً، يتعلّق بدائرة التصدير، مجلس الشيوخ الأمريكي، جلسة الكونغرس الثالثة بعد المئة، الدورة الثانية، 25 أيار/مايو 1994.

لمزيد من المعلومات عن صادرات الشركات الأمريكية من مكوّنات كيميائية وبيولوجيةً للعراق، بما فيها قائمة بأسماء الشركات، راجع موضوع الغلاف في الـ بروغريسيف إصدار نيسان/أبريل للعام 1998 بقلم وليام بلوم، إنتراكس للتصدير، وتقرير جيم كروغان الوارد في إل. إي. ويكلي بتاريخ 25 نيسان/أبريل – 1 أيار/مايو 2003 وهو بعنوان، صُنع في الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الثالث: الوثيقة العار.

المعلومات المتعلّقة بصادرات الولايات المتحدة للعراق من التقنيات ذات الاستخدام المزدوج مصدرها أجهزة الرقابة الخاصة بالحكومة، وهي في تقرير بعنوان، العراق: مواد عسكرية أمريكية مصدَّرة أو منقولة للعراق في الثمانينات من القرن الماضي، دائرة المحاسبة العامّة الأمريكية، نُشِر بتاريخ 7 شباط/فبراير 1994، بالرغم من نشره عام 1992.

إن التزام إدارة ريغن بتأمين انتصارٍ عراقي على إيران موثّق جيّداً في المصادر

التالية: سيمور إم. هرش، الولايات المتحدة قدّمت مساعدات سرّية مُبكرة للعراق في حربه ضد إيران، نيويورك تايمز، 26 كانون الثاني/يناير 1992؛ بيانٌ قدّمه المسؤول السابق في مجلس الأمن القومي هاورد تيشر للمحكمة بتاريخ 31 كانون الثاني/يناير 1995؛ ومايكل دوبس، للولايات المتحدة دورٌ أساسي في بناء العراق؛ سُمح الاتّجار بالأسلحة الكيميائية بالرغم من استخدامها ضد الإيرانيين والأكراد، واشنطن بوست، 30 كانون الأول/ديسمبر 2002.

مصدر المعلومات المتعلّقة بالأسلحة السعودية المنقولة إلى العراق في الثمانينات من القرن الماضي تقريرٌ لدائرة المحاسبة العامّة يعود لشهر شباط/فبراير 1994، وقد ورد ذكره آنفاً.

محفوظات الأمن القومي هي مصدرٌ ممتاز لتاريخ السياسة الأمريكية في العراق الذي يحظّر على الجمهور الاطّلاع عليه، وهي مؤسسة أبحاث لا تبتغي الربح، كما أنها مكتبة أيضاً تحتوي على مستندات أمريكية غير محظّر الاطلاع عليها بموجب قانون حرّية المعلومات. وحصلت دائرة المحفوظات على مستندات تُظهر معارضة البيت الأبيض لجهود الكونغرس لفرض عقوباتٍ على العراق لاستخدامه الأسلحة الكيميائية، وذلك بهدف حماية عقود إعادة البناء المحتمَلة في مرحلة ما بعد الحرب: فضيحة إيراك غايت: صدام حسين، السياسة الأمريكية ومقدّمة حرب الخليج الفارسي، 1980-1994، محفوظات الأمن القومي، 2003. معظم مستندات دائرة المحفوظات متوافرة على الموقع www.gwu.edu/~nsarchiv.

جهود رامسفلد لربط هجمات 11 أيلول/سبتمبر بصدام حسين ظهرت في تقريرٍ على الـ سي. بي. إس. نيوز بتاريخ 4 أيلول/سبتمبر 2002: مخططات لمهاجمة العراق بدأت في 11/9. وتحدّث الجنرال وسلي كلارك عن الضغط الذي تعرّض له لربط 11 أيلول/سبتمبر بصدام في ظهورٍ له على أخبار الـ إن. بي. سي: لقاءٌ مع الصحافة، بتاريخ 15 حزيران/يونيو 2003.

قالت الـ بي. بي. سي في بادئ الأمر بتاريخ 5 شباط/فبراير 2003 إن المخابرات البريطانية استنتجت أن لا علاقة حالية بين صدام حسين و"القاعدة": تقرير مسرَّب لا يُقرّ بالروابط العراقية مع "القاعدة"، بي. بي. سي. نيوز.

مصدر المعلومات حول مركز "القاعدة" المزعوم شمالي العراق تقريرٌ لجيفري فلايشمن، معسكر الإرهاب العراقي تتصدّع أبوابه، لوس أنجلس تايمز، 9 شباط/فبراير 2003؛ وجوناثان إس. لانداي، موقع مزعوم للأسلحة عُثر عليه مهجوراً، فيلادلفيا إنكوايرر، 2 شباط/فبراير 2003.

من بين الاستفتاءات العديدة التي تشير إلى اعتقاد الأمريكيين بأن صدام حسين كان متورّطاً بهجمات 11 أيلول/سبتمبر: استفتاء نيوزويك، 24-25 تموز/يوليو 2003؛ برنامج مواقف السياسة الدولية/استفتاء شبكات المعرفة، تموز/يوليو 2003؛ استفتاء هاريس التفاعلي، 18 حزيران/يونيو 2003؛ سي. إن. إن/يو. إس. إي. توداي/استفتاء غولاب، 9 حزيران/يونيو 2003 واستفتاء آخر بتاريخ 9 شباط/فبراير 2003؛ استفتاء كريستشان ساينس مونيتور، 9 نيسان/أبريل 2003؛ سي. بي. إس. نيوز/استفتاء نيويورك تايمز، 10 شباط/فبراير 2003؛ استفتاء نايت-ريدر، 12 كانون الثاني/يناير 2003.

إبعاد صدام للأصوليين (مثل أسامة بن لادن) وإنشاء دولة علمانية أمران ذكرهما على نطاق واسع: جون جاي. ميرشايمر وستيفن إم. والت، حربٌ غير ضرورية؛ التزاع الأمريكي - العراقي، فورين بوليسي، 1 كانون الثاني/يناير 2003؛ وارن بي. ستروبل، المحللون: لا دليل على تعاون بين العراق و"القاعدة"، نايت ريدر واشنطن بورو، 29 كانون الثاني/يناير 2003؛ بول هافن، صدام و"القاعدة" سيكونان حليفين غير مألوفين، أسوشيتد بريس، 29 كانون الثاني/يناير 2003؛ باتريك كومفورد، هل سيتمّ التبرّؤ من الوعد بالسلام الذي قُطع على مسيحيّي العراق؟ آيريش تايمز، 6 كانون الثاني/يناير 2003؛ دانيال تروتا، آمنين في ظل حكم صدام، اليهود العراقيون خائفون على مستقبلهم، فورت لودردايل صن - سنتينيل، 4 تموز/يوليو 2003؛ ماثيو ماك أليستر، يهود العراق في خوفٍ جديد، نيوزداي، 9 أيار/مايو 2003، وغيرهم.

مصدر المعلومات التي تتناول اشتراك الولايات المتحدة مع بول بوت والخمير الحمر بالجرائم المرتكَبة في كمبوديا هي: جون بيلغر، أصدقاء بول بوت، ذي نايشن، 11 أيار/مايو 1998؛ فيليب بورينغ، اليوم أصدقاء، غداً أمرٌ آخر، تايم

إنترناشونال، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ إندرو ويلز-دانغ، مشاكل مع السياسة الأمريكية الحالية، فورين بوليسي إن فوكس، 30 تموز/يوليو 2001.

دور الولايات المتحدة في الانقلاب الذي أدّى إلى موت باتريس لومومبا وحمل موبوتو إلى السلطة في الكونغو/زائير مفصَّل في: هاورد دبليو فرانش، تحليلٌ لحكم الفرد: عصر موبوتو، نيويورك تايمز، 17 أيار/مايو؛ بيتر فورد، تبديل النظام، كريستشان ساينس مونيتور، 27 كانون الثاني/يناير 2003؛ آين ستيوارت، ماضي الاستعمار والحرب الباردة يوقد الغضب المعادي للغرب في الكونغو، أسوشيتد بريس، 24 آب/أغسطس 1998؛ وستيفن آر. وايسمن، مكرِّسةً نفسها لموبوتو: لَمَ لا يمكن لأمريكا التعلّم من أخطاء سياستها الخارجية، واشنطن مانثلي، أيلول/سبتمبر 1997.

معلوماتٌ عن طرد جوواو غولار المنتخَب ديموقراطياً رئيساً للبرازيل يمكن العثور عليها في تقريرٍ نشرته ذي ناشونال كاثوليك ريبورتر بتاريخ 15 حزيران/يونيو 2001، هو الوقت المناسب لاعتراف وطني كامل؛ الحقيقة تداوي فظاعات الحرب، راجع أيضاً إي. جاي. لانغاث، السياسات الأمريكية المتَّبعة في نصف الكرة الأرضية تقدّمت كيسنجر وبينوشيه، لوس أنجلس تايمز، 15 تموز/يوليو 2001.

اشتراك أمريكا بالجريمة في إندونيسيا من خلال الإطاحة برئيسٍ منتخَب، أوّلاً، ومن ثمّ اجتياح تيمور الشرقية موثّقة من قِبَل جاين برليز، الإندونيسيون يقولون إنهم يشتبهون بضلوع الـ سي. آي. إي. في انفجار بالي، نيويورك تايمز، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2002؛ جايمس ريزن، تاريخٌ رسمي يصف السياسة الأمريكية في إندونيسيا خلال الستينات من القرن الماضي، نيويورك تايمز، 28 تموز/يوليو 2001؛ زيارةٌ ثانية إلى تيمور الشرقية، محفوظات الأمن القومي، 6 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ الـ سي. آي. إي. تمنع عملية ولوج البيانات التاريخية المتعلّقة بوزارة الخارجية، محفوظات الأمن القومي، 27 تموز/يوليو 2001؛ سيث ميدانز، السؤال الذي طرحته إندونيسيا: نبش لآلام الماضي، نيويورك تايمز، 31 أيار/مايو 2000.

لفكرةٍ إجمالية عن حقوق الإنسان في الصين، راجع التقرير العالمي للعام 2003: الصين والتيبيت، من هيومن رايتس واتش وتقرير العام 2003: الصين، من أمنستي إنترناشونال. عدّد ريتشارد ماك غريغور سلسلة مطاعم الصين التي تقدّم الأغذية المحضَّرة بسرعة في مقالته كاي. إف. سي تضيف الطعام المحضَّر بسرعة إلى الحياة السريعة في الصين، فايننشال تايمز، 20 كانون الثاني/يناير 2003. يمكن العثور على معلومات تتعلّق بكوداك وبالسوق الصينية المتنامية في مقالة جوزف كان بعنوان صُنع فيً الصين، مُباع في الصين، نيويورك تايمز، 5 كانون الثاني/يناير 2003. تعاملات وال - مارت الشاملة مع الصين فصّلها مايكل فورسايث في وال-مارت تدعم عدم التفاوت التجاري بين الولايات المتحدة والصين، بلومبرغ نيوز، 8 تموز/يوليو 2003.

استخدام الصين لشاحنات الإعدام المقفَلة المُتنقّلة ورد في تقريرٍ لأمنستي إنترناشونال، الصينيون يستعملون شاحنات الموت المقفَلة لإعدام السجناء، وفي مقالة لَحميش ماك دونالد بعنوان، الصينيون يجرّبون شاحنات الموت المقفَلة، ذي إيدج (ملبورن)، 31 آذار/مارس 2003.

لمعلوماتٍ عن كل الدول في العالم التي تعاني من الديكتاتوريين أو من حكوماتٍ فاشستية، ومعلوماتٍ عن تطوّر حقوق الإنسان في أي دولة، راجع موقع المركز الدّولي لحقوق الإنسان والديموقراطية www.ichrdd.ca؛ وموقع هيومن رايتس واتش www.hrw.org؛ وموقع أمنستي إنترناشونال www.amnesty.org.

أجرى الصحافي سام تاننهاوس مقابلة صحافية مع بول ولفوويتز لصالح مطبوعة فانيتي فير في أيار/مايو 2003. واعترضت وزارة الدفاع على نسخة المقابلة التي قدّمها تاننهاوس ونشروا نسختهم الخاصة للحوار. وبما أن نسخة وزارة الدفاع لم تحسّن صورة ولففويتز، قرّرت استخدامها عوضاً عن نسخة فانيتي فير.

ظهرت البروفسورة فاتن الرفاعي في برنامج نايتلاين على الـ إي. بي. سي بتاريخ 14 تموز/يوليو 2003 حيث عبّرت عن تحفّظاتها حيال الدور الأمريكي. ووُجدت التقارير المتعلّقة برجال الدين الذين بلغوا المناصب السياسية الرفيعة في مقالة ديفيد رود، العلمانيون ورجال الدين يتنافسون على القلوب والعقول،

نيويورك تايمز، 8 حزيران/يونيو 2003؛ أنطوني براون، الإسلام الراديكالي بدأ بملء الفراغ في السلطة العراقية، لندن تايمز، 4 حزيران/يونيو 2003. مقالة نيكولاس دي. كريستوف في الـ نيويورك تايمز بتاريخ 24 حزيران/يونيو 2003، غطِّ شعرك، ومقالة تينا سوسمن، في بغداد، فيضٌ من الخوف، نيوزداي، 9 حزيران/يونيو 2003 هما تقريران عن ردّة الفعل ضد "إضفاء الطابع الغربي" على العراق.

كلمة دومينيك دوفيلبان في الأمم المتحدة وُجّهت بتاريخ 19 آذار/مارس 2003 ويمكن قراءتها بالكامل على الموقع:

www.un.int/francedocuments_anglais/030319_cs_villepin_irak.htm

أُدرج "ائتلاف الراغبين المستعدّين" في لائحة في موقع البيت الأبيض بتاريخ 3 نيسان/أبريل 2003، www.whitehouse.gov

الأخبار التي تناولت قيام إدارة بوش بهجاء الفرنسيين موجودة في المخطوطات التالية: وليام دوغلاس، باريس ستواجه العواقب، نيوزداي، 24 نيسان/أبريل 2003؛ رامسفيلد يرفض التحدي التي تشكّله "أوروبا القديمة" في العراق، سي. بي. سي. نيوز، 23 كانون الثاني/يناير 2003؛ والقائد الأعلى للقوات المسلّحة، دايتلاين إن. بي. سي، 25 نيسان/أبريل 2003.

الانتقادات الأكثر مدعاةً للسخرية التي تعرّض لها الفرنسيون والتي تنمّ عن تفكيرٍ ضيّق تأتي من مصادر مختلفة، وهي نموذجٌ صغير عن ردّة الفعل المناهضة للفرنسيين. جون كيري ونظرته الفرنسية للأمور، كما يُدَّعى، كانت موضوعاً لأدام ناغورني وريتشارد دبليو ستيفنسن بعنوان، معاونو بوش يخططون لسباق في مرحلةٍ متأخرة من العام 2004، نيويورك تايمز، 22 نيسان/أبريل 2003. وللمزيد عن مشروع القانون الذي اقترحه جيم ساكسون لمعاقبة الفرنسيين اقتصادياً، راجع الكونغرس يتمهّل باتّخاذ قرارٍ في شأن مشروع القرار المناهض للفرنسيين، أسوشيتد بريس، 10 آذار/مارس 2003. الدعوة المضحكة التي طالعتنا بها جيني براون - ويت لنبش عظام الذين قضوا في الحرب العالمية الثانية ودُفنوا في فرنسا تستأهل غلافاً ملوّناً بأزهى الألوان، لذا سأرشدكم إلى مقالةٍ نُشرت في نيويورك

بوست بتاريخ 14 آذار/مارس 2003 بعنوان، نبش عظام أمواتنا، بقلم مالكولم بالفور. مقالة ريتشرد رولاس في أريزونا ريبابليك بتاريخ 25 نيسان/أبريل 2003، ماكين لا تقول 'oui' لمخطط بوش لخفض الضرائب، تناقش الإعلانات الهجومية التي تعرّض لها الجمهوريان المراوغان اللذان كان لهما وجهات نظر مؤيّدة لمشروع بوش الكارثي لخفض الضرائب. سين هانيتي الرّصين أخذت منه مشاعره كل مأخذ، كما هو حاله على الدوام، عندما تحدث بتاريخ 11 حزيران/يونيو 2003 عن خيانة شيراك خلال برنامج هانيتي إند كولمز الذي يتناول وجهات نظر فئة دون أخرى.

من سَكْب النبيذ الفرنسي في المراحيض، إلى روائع "مقالي الحرّية"، إلى إرضاءٍ الذات من خلال المرور بعربة مصفّحة على نسخات فوتوغرافية للعلم الفرنسي، وأمورٍ عديدة أخرى، راجع ما يلي: ديبورا أورين وبراين بلومكيست، البيت الأبيض يقول فقط Non، نيويورك بوست، 14 آذار/مارس 2003؛ جون ليكفيلد، السياحة الفرنسية تُحصي التكاليف بسبب تمنّع الأمريكيين، ذي إنديبندنت، 29 تموز/يوليو 2003؛ شيريل غاي ستولبرغ، طلب مقال، من فضلك، على ألا تكون فرنسية، نيويورك تايمز، 12 آذار/مارس 2003؛ براين سكولوف، منظّفو الملابس في سنترال فالي دعوا إلى تخريب ممتلكات منظفي الملابس الفرنسيين، أسوشيتد بريس، 20 آذار/مارس 2003؛ روب كايزر، سوفيتل تستسلم وتُنزل العلم الفرنسي، شيكاغو تريبيون، 1 آذار/مارس 2003؛ تاجرٌ يصرّ على رأيه بالرغم من مقاطعة الأمريكيين لـ fromage.com، تورونتو ستار، 16 شباط/فبراير 2003؛ جاي. إم. كليل، كل شيء مقلي على الطريقة الفرنسية، لاس فيغاس ريفيو جورنال، 19 شباط/فيراير 2003؛ فلويد نوريس، للمقالي الفرنسية نكهة بريطانية غير منوَّه بها، نيويورك تايمز، 28 شباط/فبراير 2003؛ أليسن لاي كوان، إعراضٌ عن تبادل الطلاب الفرنسيين، نيويورك تايمز، 4 تموز/يوليو 2003؛ وأخيراً، وبالنسبة إلى المراوغ الفرنسي الذي جُعل جزءاً لا يتجزّأ من البيت الأبيض، راجع إليزابيت بوميلر، من وحي صناعة الحلويات للرئيس، تشكيل ائتلافٍ من الحشوة، نيويورك تايمز، 5 أيار/مايو 2003.

إذا رغبتم بمعرفة المزيد عن حياة بول ريفوار وسلالته، زوروا موقع بول ريفير هاوس، www.paulreverehouse.org/father.html

لمزيدٍ من التفاصيل عن المساعدة المتكاملة التي وفّرهـا الفرنسيون لسكان المستعمرات خلال الحرب الثورية، تتبّع تفاصيل مقالة ستايسي شيف، جعل فرنسا الصديق المفضّل لنا، من إصدار تايمز تاريخ 7 تموز/يوليو 2003.

والمعلومات المتعلّقة بقيمة صادرات العراق من النفط مصدرها نسخة تموز/يوليو 2003 للمطبوعة الشهرية النفط في العالم التي تنشرها دائرة البيانات النفطية. ويمكن التحقق من حجم تجارتنا ككل مع العراق للعام 2001 من خلال قسم التجارة الخارجية التابع لدائرة الإحصاء الرسمي.

كتبت جنيفر بروكس في ديترويت نيوز، وبتاريخ 26 آذار/مارس 2003، مقالة عن استلام صدام مفتاح ديترويت. وزيارة رامسفلد إلى العراق موثّقة تماماً، ويملك أرشيف الأمن القومي في جامعة جورج تاون (المذكورة أعلاه) صورةً ظريفة للرجلين وهما يتصافحان. ولمزيد من المعلومات، راجع أيضاً مايكل دوبس، للولايات المتحدة دورٌ أساسي في إعمار العراق، واشنطن بوست، 30 كانون الأول/ديسمبر 2002.

يمكن العثور على الإحصائيات التي جرت من خلال الهاتف في ألبانيا، إضافةً إلى وقائع هزلية أخرى، في وورلد فاكت بوك، 2003 التابع للـ سي. آي. إي والمتوافر على الموقع www.cia.gov. وهو أيضاً موقعٌ مناسب جـدّاً كانطلاقةٍ لاستقاء المعلومات الصريحة عن أيّ دولة تشعرون أنكم بحاجة لمعرفة المزيد عنها.

ويمكن ولوج نتائج الاستفتاءات المرتبطة بالمعارضة العالمية للحرب على العراق من خلال: بيتر مورتن، المواطنون الأمريكيون في خصامٍ مع العالم المؤيّد للحرب، ناشونال بوست، 12 آذار/مارس 2003؛ ديريك زد. جاكسن، العالم يقول 'لا' للحرب، شيكاغو تريبيون، 17 آذار/مارس 2003؛ نفوذ الناس على المستوى العالمي، رويترز، 6 آذار/مارس 2003؛ رئيس الوزراء الياباني يقول إنه ليس من الصائب دوماً اتّباع الرأي العام، بي. بي. سي. ووزلدوايد مونيترينغ، 5 آذار/مارس 2003؛ سوزان تايلور مارتن، أعمال الحرب تبدأ في تركيا، معارضة أم لا، سانت

بيترسبرغ تايمز، 2 آذار/مارس 2003؛ وجورج جونز، الاستطلاعات تظهر أن معظم الإنكليز ما يزالون ضد الحرب، دايلي تلغراف، 13 شباط/فبراير 2003. ووجهة النظر البريطانية غير السويّة كثيراً حول التهديد الأكبر للسلام العالمي مصدرها مسحٌ أُجري لصالح ذي تايمز (لندن) بعنوان، بوش وصدام يشكّلان التهديد نفسه، 23 شباط/فبراير 2003.

لمزيد من المعلومات عن دور الاتفاقات التجارية في "ائتلاف الراغبين المستعدّين"، راجع توم سكوتنيكي، ائتلاف الفائزين، بيزنيس ريفيو ويكلي، 26 حزيران/يونيو 2003. كلير هارفي، القائدة النيوزيلندية تسعى إلى السلام في عهدها، ذي ويك إند أستراليان، 26 نيسان/أبريل 2003؛ ليندا ماكيغ، الرئيس المصدود يستعد للحرب بتهوّر، تورونتو ستار، 9 آذار/مارس 2003؛ وديفيد أرمسترونغ، الولايات المتحدة تردّ ديناً لها للدول التي دعمت الحرب، سان فرانسيسكو كرونيكل، 11 أيار/مايو 2003.

لنظرة عامّة حول أعضاء "الائتلاف"، راجع دانا ميلبانك، المستعدون عديدون لكن القادرين قليلون، واشنطن بوست، 25 آذار/مارس 2003. ويشير تقرير ميلبانك إلى عرض المغرب تقديم 2.000 قرد للمساعدة على الاجتياح. وفي ملاحظة هامشية مثيرة، تمكّن غير القرَديين من تحقيق إنجازات في الحرب ما لم يتمكّن القرود من تحقيقها. وجاء في تقرير سيوبان ماكدونو في الأسوشيتد بريس بتاريخ 2 نيسان/أبريل 2003 أنه كان هناك بين صفوف القوات المسلّحة دجاج، حمام، كلاب ودلافين. وعندما أصبحت بولندا عاجزة عن تقديم مزيد من حيوانات المزارع، تدبّرت أمر إرسال عدد قليل من الجنود للدفاع عن القضيّة، كما ورد الخبر في، بولندا تلتزم بـ 200 جندي في الحرب مع العراق، أسوشيتد بريس، 17 آذار/مارس 2003.

النسبة المئوية المقدَّرة من شعوب العالم التي يمثّلها "الائتلاف" مصدرها إيفو دالدر، ائتلاف بوش لا يجمع حوله ما يمكن أخذه بعين الاعتبار، نيوزداي، 24 آذار/مارس 2003، ومكتب التعداد السكاني التابع لدائرة الإحصاء الرسمي والتقديرات المتعلّقة بسكان العالم.

مصدر المعلومات المرتبطة بآلة حرب لوكهيد هو من مارتن المراجع التالية: ليكويدمنتال تكنولوجيز ولوكهيد مارتن تؤسس شراكةً لتطوير المنتجات، بيزنيس واير، 27 كانون الثاني/يناير 2003؛ باربارا كوريا، آلة الحرب تنمو بسرعة، دايلي نيوز (لوس أنجلس)، 23 آذار/مارس 2003؛ القوات الجوّية الأمريكية، نشرة القوات الجوّية الأمريكية: نظام ميلستار للاتصال عبر الأقمار الاصطناعية، آذار/مارس 2003؛ كريغ كوفولت، ميلستار الحيوي يشارك في الحرب، أفييشن ويك، 28 نيسان/أبريل 2003؛ القوات المسلّحة تطلق قمراً اصطناعياً للاتصالات العسكرية، أسوشيتد بريس، 8 نيسان/أبريل 2003؛ هيثر درابر، لوكهيد مارتن تستعدّ لوضع النسخة السادسة لميلستار في المدار، روكي ماونتن نيوز، 22 كانون الثاني/يناير 2003؛ ديك فوستر، قاعدة سبرينغز تراقب 'عيون وآذان' الحرب، روكي ماونتن نيوز، 22 آذار/مارس 2003؛ روبرت إس. دادني، السيطرة الأمريكية على الفضاء ساعدت على الفوز بعملية تحرير العراق، شاتانوغا تايمز فري بريس، 25 أيار/مايو 2003؛ ريتشارد وليامسن، اتصالاتٌ بشأن الحرب، روكي ماونتن نيوز، 3 كانون الثاني/يناير 2000؛ تيم فرند، البحث عن بن لادن يمتدّ حتى مدار الأرض، يو. إس. إي. توداي، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ وهيثر درابر، المخزونات الدفاعية تحلّق، روكي ماونتن نيوز، 9 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

الأعداد المقدَّرة للقتلى في أفغانستان مصدرها مشاريع ذات علاقة. بالنسبة إلى أفغانستان، راجع مارك هيرولد، إحصاءٌ للإصابات اليومية من قتلى مدنيين أفغان سقطوا في القصف الأمريكي. وهيرولد هو أستاذٌ في جامعة نيو هامشاير، ويمكن مراجعة تقريره المرتكز على دراسة موسّعة وشاملة لوسائل الإعلام التي دأبت على نشر أعداد القتلى المدنيين منذ بدء الحملة الأفغانية وحتى يومنا هذا على الموقع http://pubpages.unh.edu/~mwherold/. أما بالنسبة إلى أعداد القتلى الذين سقطوا خلال الحرب على العراق فيمكن العثور على إحصاءٍ مماثل للقتلى موجود على الموقع www.iraqbodycount.net.

والتقارير التي تتناول الإصابات المدنية العراقية مصدرها بول رينولدس، تحليل: تعاظم المخاطر التي تواجه المدنيين، بي. بي. سي. نيوز، 2 نيسان/أبريل 2003؛ لارا

مارلو، 33 مدنيّاً يموتون في قصف بابل، آيريش تايمز، 2 نيسان/أبريل 2003؛ زينة كرم، صبيٌّ عراقي مصاب يُحرز تقدّماً صحّياً: 'أشعر بتحسّن'، تورونتو ستار، 10 حزيران/يونيو 2003؛ كوركي سيماسكو، هل هو تحت الدّبش؟، نيويورك دايلي نيوز، 9 نيسان/أبريل 2003؛ وليام برانيغن، مشهدٌ رهيب على الطريق العام رقم 9، واشنطن بوست، 1 نيسان/أبريل 2003؛ كريستوفر ماركي، يعبّر قادة عسكريون أمريكيون عن أسفهم على القتلى المدنيين، نيويورك تايمز، 2 نيسان/أبريل 2003.

يمكن العثور على معلومات عن القنابل العنقودية في مقالة جاك إبستاين التي نشرتها سان فرانسيسكو كرونيكًل وهي بعنوان، الولايات المتحدة تتعرّض لانتقادات شديدة لاستخدامها القنابل العنقودية في العراق، 15 أيار/مايو 2003؛ وأيضاً من خلال تقارير هيومن رايتس واتش، ولا سيّما، إدانة استخدام الولايات المتحدة القنابل العنقودية في بغداد، 16 نيسان/أبريل 2003، والقنابل العنقودية الصغيرة تكسو أفغانستان، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

كتب ستيف جونسون مقالةً ممتازة في شيكاغو تريبيون عن "الصحافيين المدمَجين مع القوات المسلّحة، وسائل الإعلام: مراسلون مدمَجون، و24 ساعة من البث المباشَر والتقارير المرسَلة عبر الأقمار الاصطناعية، 20 نيسان/أبريل 2003. راجع أيضاً مقالة جيم راتنبرغ بعنوان، تغطية الحرب بواسطة الأقمار الاصطناعية تقترح "واقعاً جديداً للصحافة معتمَداً على شاشة فوكس"، نيويورك تايمز، 16 نيسان/أبريل 2003. وللاطلاع على التقرير الكامل حول الدّقة والانسجام مع القواعد المتّبعة في عرض تقارير مرحلة ما بعد الحرب على نشرات الأخبار المسائية، راجع موقع مجموعة المراقبة، www.fair.org. وقد نُشر التقرير في حزيران/يونيو 2003. ويمكن العثور على تعليقات نيل كافوتو التي تتناول سبب اعتباره الموضوعية في العمل الصحافي غير قابل للتطبيق على الموقع www.foxnews.com في مقالة كتبها بتاريخ 28 آذار/مارس 2003 بعنوان الأمريكي أوّلاً، والصحافي ثانياً، FoxNews.com، 28 آذار/مارس 2003. وعلّق براين وليامز على المدى الذي بلغناه بعد عرض القصف الذي تعرّضت له دريسدن في برنامج نايتلي نيوز على

الـ إن. بي. سي بتاريخ 2 نيسان/أبريل 2003. ونشرت سياتل بوست - إنتليجنسر تقريراً عن الصفقة التي عقدها القوات المسلّحة مع مايكروسوفت والتي تبلغ قيمتها 470 مليون دولار، والتقرير هو بعنوان، مايكروسوفت تفوز بأكبر عقد على الإطلاق، سياتل بوست - إنتليجنسر، 25 حزيران/يونيو 2003. وعرض برنامج وورلد نيوز تونايت التي تبثّه الـ أي. بي. سي.، وبطريقة خاطئة، لاكتشاف موقعٍ للأسلحة بتاريخ 26 نيسان/أبريل 2003. ومقالة أيلول/سبتمبر في نيويورك تايمز التي أثارت مجدَّداً مسألة الحملة الدعائية التي شنّها البيت الأبيض كتبها مايكل غوردن وجوديث ميلر. وكان عنوان تلك المقالة، الولايات المتحدة تقول إن حسين يكثّف طلبه على مكوّنات القنبلة النوويّة، ونُشرت بتاريخ 8 أيلول/سبتمبر 2002.

مصادر قصة جسيكا لينش هي: سوزان شميت إند فرنون لوب، كانت تقاتل حتى الموت، واشنطن بوست، 3 نيسان/أبريل 2003؛ توم شانكر، تحرير الجنديّة لينش، نيويورك تايمز، 3 نيسان/أبريل 2003؛ مارك بودن، البطولة هي في بعض الأحيان هدفٌ متحركٌ، نيويورك تايمز، 8 حزيران/يونيو 2003؛ ميتش بوتر، عملية الإنقاذ الحقيقية للجنديّة لينش، تورونتو ستار، 4 أيار/مايو 2003؛ جون كامفنر، قصة إنقاذ الجندية لينش 'تتلاشى'، مراسل بي. بي. سي. نيوز، 15 أيار/مايو 2003؛ وليزا دو موريس، رئيس سي. بي. إس. نيوز يدافع عن مسألة لفت الانتباه إلى قضية لينش، واشنطن بوست، 22 تموز/يوليو 2003.

اشمئزاز باول من نوعية المعلومات المخابراتية التي كان عليه تقديمها للأمم المتحدة جاء أوّلاً في تقريرٍ لبروس بي. أوستر، وغيره، بعنوان الحقيقة والعواقب، نشرها يو. إس. نيوز إند وورلد ريبورت، 9 حزيران/يونيو 2003. وكانت التقارير التي تناولت "المعلومات المخابراتية" البريطانية المنتحَلة واسعة الانتشار، ولا سيّما تقرير ساره ليال بريطانيا تسلّم بأن معظم تقريرها حول العراق مصدره المجلات، نيويورك تايمز، 8 شباط/فبراير 2003.

يمكن العثور على بيانات لأري فليشر وجورج دبليو بوش تتناول كذبة "اليورانيوم الأصفر" على الموقع www.whitehouse.gov. وتحمّل جورج تينيت

المسؤولية في بادئ الأمر، كما جاء في تقرير باري شويد، بعد إضعاف الثقة بمصداقية التقرير، تكثر الاتهامات المتبادَلة داخل إدارة بوش، أسوشيتد بريس، 11 تموز/يوليو 2003. ظهرت مذكرات الـ سي. آي. إي. إلى العلن وذُكرت في تقارير عديدة منها، دانا ميلبانك إند والتر بينكوس، بوش يساعد على كشف النقاب عن تحذيراتٍ من الـ سي. آي. إي، واشنطن بوست، 23 تموز/يوليو 2003.

تشوّش رامسفلد المُلفت كان جليّاً خلال برنامج لقاء مع الصحافة على شاشة الـ إن. بي. سي بتاريخ 13 تموز/يوليو 2003. وظهرت غوندوليزا رايس في برنامج النشرة المتأخرة الذي يقدّمه ولف بليتزر على الـ سي. إن. إن.، وفي اليوم نفسه، كما ظهرت في ذاك الأحد على برنامج واجه الأمّة على الـ سي. بي. إس.

نشر المساعد السابق لنيكسون، جون دين، انطباعاته عن الأكاذيب التي زوّدنا بها بوش وزملاؤه طوال الأشهر الماضية على الموقع www.findlaw.com. وظهرت مقالته بعنوان، إخفاقٌ في العثور على أسلحة دمار شامل: هل أن الكذب بشأن سبب شنّ الحرب هو إساءة تستأهل توجيه تهمةٍ بالخيانة؟ على الموقع المذكور بتاريخ 6 حزيران/يونيو 2003.

الفصل الثالث: النفط بخير، إذاً كل شيء بخير

إن صناعة النفط تُعلمك بالتحديد من خلال مواقعها على شبكة المعلومات الدولية بأن المنتجات اليومية مشتقّة من النفط. فالمؤسسة الأمريكية للمنتجات النفطية، www.api.org، وهي المجموعة الأكثر تأثيراً في صناعة النفط، وأركتيك باور، www.anwr.com، وهي مجموعة طليعية تميل إلى حزب "الخضر" ولكنها تعمل في الواقع على التنقيب في الملاذ البرّي الوطني في القطب الشمالي، هما موقعان يمكنك استقاء المعلومات منهما. وقبل إطفاء جهاز الكمبيوتر، اجمع مزيداً من المعلومات حول ما يمكنك القيام به لتوسيع أفق اطلاعك على الطاقة وبدائل النفط المتوافرة من خلال زيارة موقع غرين بيس، www.greenpeaceusa.org، ونادي سييرا، www.sierraclub.org.

"طريقة عمل خلايا الوقود"، وهو تقريرٌ تقني لكريم نايس، يشرح ألف بـاء خلايا الوقود على الموقع www.howstuffworks.com. وتتوافر معلومات إضافية عن المنحى العملي لخلايا وقود الهيدروجين في مقالة لفيليب بول بعنـوان، وقـود الهيدروجين قد يوسّع ثقب الأوزون، نيتشر، 13 حزيران/يونيو 2003؛ ديفيد أدام، الهيدروجين: وقودٌ وجماد، نيتشر، 24 آذار/مارس 2000. لمزيدٍ من المعلومات عن استخدام الوقود المستخرَج من باطن الأرض لإنتاج طاقة توازي طاقة الهيدروجين، راجع، نماذج سخيفة من الوقود، ذي إيكونوميست، 16 آب/أغسطس 2003.

النفط كموردٍ محدود: متى يتضاءل الإنتاج العالمي؟ هي دراسة أعدّها الدكتور جايمس ماكنزي لصالح مؤسسة الموارد العالمية، وقد اعتبر أن إنتاج النفط قد يبـدأ بالانحدار مع حلول العام 2007 وحتى العام 2019. وقد أثار خبراء نفط آخـرون استنتاجات مماثلة كما جاء في تقرير ديفيد روبنسون، عصرٌ جديد للنفط، بافـالو نيوز، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2002، وجيم موتافالي، مستمرٌّ بالتنـاقص، إي، 1 تموز/يوليو 2000.

لمزيدٍ من المعلومات عن خطّة إدارة بوش للتوسع في إنتاج الطاقة النوويّة، راجـع مقالة دان روبرتس بعنوان، الهيدروجين: نظيف، أكثر مأمونيّةً ممّا كان عليه في السـابق وملائم لجيوب السياسيين، فايننشل تايمز، 13 أيار/مايو 2003. وسياسة الطاقـة، إن. بي. آر: حديث الأمّة، 13 حزيران/يونيو 2003. عبّر نائب الرئيس ديك تشيني عـن الأمر في خطابٍ ألقاه أمام مؤسسة الطاقة النوويّة بتاريخ 22 أيار/مايو 2001 موجـود على الموقع www.whitehouse.gov/vicepresident/news-speeches.

قم بزيارة هذه المواقع للشروع الآن بالنضال في سبيل طاقةٍ قابلة للبقاء مـدّةً طويلة:

شـبكة مراقبـة تـأثير المنـاخ Climate Action Network: www.climatenetwork.org

أصـدقاء الأرض Friends of the Earth: www.foe.org/act/takeaction/index.html

غرينبيس Greenpeace: www.greenpeaceusa.org/takeaction/

مجلس الدفاع عن الموارد الطبيعية Natural Resources Defense Council: www.nrdc.org/action/default.asp

أطبّاء لأجل مسؤولية اجتماعية أكبر Physicians for Social Responsibility: www.capwiz.com/physicians/home/

مشروعٌ تحت سطح الأرض Project Underground: www.moles.org

نادي سييرا Sierra Club: www.sierraclub.org/energy

الطاقة القابلة للبقاء مدّةً طويلة والشبكة الاقتصادية Sustainable Energy and Economy Network: www.seen.org

اتحاد العلماء المهتمّين Union of Concerned Scientists: www.ucsaction.org

مجموعة البحث في المصلحة العامة الأمريكية U.S. Public Interest Research Group: www.newenergyfuture.com

صندوق الحياة البرّية العالمية World Wildlife Fund: www.takeaction.worldwildlife.org

الفصل الرابع: إجفالٌ في الولايات المتحدة

شرح لنا جورج دبليو بوش، وبثقة تامّة، في 20 أيلول/سبتمبر 2001، أن الإرهابيين كرهوا قادتنا المنتخبين ديموقراطياً. وفي الخطاب، أعلن بوش رسمياً عن أن الكلمتين "حرّية" و"ذعر" هما في حالة حرب. ويمكن العثور على نسخةٍ كاملة عن الخطاب على الموقع www.whitehouse.gov.

واعتبار تشيني أن "حالتنا السويّة الجديدة ستصبح حالة دائمة في حياة الأمريكيين" هو موثّقٌ أيضاً، ولكن لمزيدٍ من المعلومات عن هذه الحالة السويّة راجع حواجزهم تزيد قوّتهم قوة، رنيه تاوا، لوس أنجلس تايمز، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2001 - تقريرٌ عن المحاولات لجعل حواجز الإسمنت أكثر "أناقة".

الإحصائيات المعتمَدة لتحديد احتمالية موت أحدهم في حادثٍ إرهابي

مأخوذة من برنامج التقديرات السكانية وبرنامج الاحتمالات السكانية المستقبلية الصادرين عن تقرير دائرة الإحصاء الرسمي للسكان بعنوان احتمالات الأول من تموز/يوليو السنويّة لمجموع السكان المقيمين. هجرة دولية متوسّطة، منخفضة، عالية أو معدومة، 1999–2100 على الموقع www.census.gov. والإحصائيات المتعلّقة بالموت نتيجةً للإنفلونزا، ذات الرئة، الانتحار، ضحيةً لعملية قتل أو حادث سيارة، مصدرها مراكز التقارير الإحصائية الوطنية الحيوية لضبط المرض: الوفيات: بيانات تمهيدية للعام 2001، 14 آذار/مارس 2003.

لتحذيرات الـ أف. بي. آي. من الأعمال المروّعة، ولمعلوماتٍ عن قنابل الأحذية والإجراءات الأمنية للإبعاد، راجع www.fbi.gov. وللمزيد عن قنابل الأحذية، راجع مقالة جاك هاغل، الـ أف. بي. آي. تحدّد نوع المتفجرات المستعمَلة في قنبلة الأحذية، فيلادلفيا إنكوايرر، 29 كانون الأول/ديسمبر 2001.

يمكن العثور على مقالاتٍ حول الإرهاب والسلع الزائفة في ذي إنترناشونال هيرالد تريبيون في مقالة لديفيد جونستون، المجموعات الإرهابية تبيع سلعاً استهلاكية زائفة لجمع الأموال، يقول رئيس الإنتربول، 18 تموز/يوليو 2003؛ شهادات أمام الكونغرس، شؤون حكومية صادرة عن مجلس الشيوخ، تمويل الإرهاب، 31 تموز/يوليو 2003؛ جلسة سماعٍ للجنة العلاقات الدولية المنبثقة عن مجلس النواب، فدرال نيوز سرفيس، 16 تموز/يوليو 2003؛ جود سليفكا، خطّط الإرهابيون لإشعال حرائق، حذّرت مذكّرة للـ أف. بي. آي، أريزونا ريبابليك، 13 تموز/يوليو 2003؛ أمبر موبلي، مواطنون أمريكيون يفسحون المجال لهجوم القاعدة، بوسطن غلوب، 20 حزيران/يونيو 2003؛ راندي كنيدي، هدفٌ جليٌّ للإرهاب يُعتبَر إسقاطه أمراً صعباً، نيويورك تايمز، 20 حزيران/يونيو 2003؛ روندا بيل، رزمة مُريبة على الشرفة أطلقت إنذاراً خاطئاً، تايمز – بيكايون (نيو أورليانز)، 13 تشرين الأول/أكتوبر 2001.

لمزيدٍ من المعلومات عن مشروع القرن الأمريكي الجديد، قم بزيارة الموقع www.newamericancentury.org. ولمعلوماتٍ إضافية عن مبدأ بوش حيال الحرب المستمرّة، والاستفادة المباشرة من 11 أيلول/سبتمبر لتمهيد الطريق لمهاجمة

مزيد من الدول، راجع: جون دياموند، بوش يركّز على حربٍ ممتدّة ذات أهداف عالميةٍ شاملة، شيكاغو تريبيون، 14 أيلول/سبتمبر 2001؛ نائب وزير الدفاع بول ولفوويتز يناقش سياق التحرّك الذي قد تقوم به الولايات المتحدة بعد هجمات يوم الثلاثاء، كل المسائل مدروسة، 14 أيلول/سبتمبر 2001؛ كريستوفر ديكي، وآل، الخطوة التالية: صدام، نيوزويك، 31 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ تصويتٌ في الكونغرس، نيويورك تايمز، 25 أيار/مايو 2003.

الوعد الذي قطعه رامسفلد بحرب مستمرة جرى بتاريخ 4 تشرين الأول/أكتوبر 2001. يمكن العثور عليه على الموقع www.defenselink.mil

لمعلومات عن راسل فينغولد (السناتور الديموقراطي عن ولاية ويسكونسن) وتصويته الوحيد ضد PATRIOT Act، راجع: نيك أندرسن، تصويته بـ 'لا' ضد مشروع القانون المتعلّق بالإرهاب يستأهل الاحترام، لوس أنجلس تايمز، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ إميلي بيرس، فينغولد الجريء يصوّت ضد مشروع القانون المناهض للإرهاب، كونغريشونال كوارترلي، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ جودي مان، الخطابات والرمزية لا تقدّم إلا القليل لحلّ مشاكلنا، واشنطن بوست، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2001. ماثيو روثشيلد، راس فينغولد، ذي بروغريسيف، أيار/مايو 2002.

التصريح الكامل لراس فينغولد معارضاً قانون باتريوت يمكن إيجاده على الموقع الخاص به، www.russfeingold.org. ولمزيدٍ من المعلومات عن قانون باتريوت، ونص القانون نفسه، قم بزيارة مركز المعلوماتٍ السرّية الإلكترونية على الموقع www.epic.org/privacy/terrorism/usapatriot. زُر أيضاً الموقع www.aclu.org وموقع اتحاد المكتبات الأمريكية www.ala.org. ولمزيدٍ من المعلومات عن البيت الأبيض موزّعاً القانون على الكونغرس دون أن يقوم الكونغرس بقراءة النسخة النهائية قبل التصويت عليه، تفحّص كتاب ستيفن بريل بعنوان، بعد ذلك: إعادة بناء أمريكا والدفاع عنها وفقاً للعهود التي قُطعت في 12 أيلول/سبتمبر، سايمن إند تشاستر، 2003، وإشراف وفقاً لـ 'USA PATRIOT Act'، إي. سي. إل. يو، 2002.

لمعلومات محدَّدة عن مشروع القانون، ارجع إلى جلسات السماع التي أقامتها السلطة القضائية التابعة لمجلس الشيوخ بتاريخ 9 تشرين الأول/أكتوبر 2002؛ كيف يعرّض مشروع القانون المناهض للإرهاب الخصوصية المالية للخطر، إي. سي. أل. يو، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2001؛ لا توازن السلطة، لجنة محامي حقوق الإنسان، أيلول/سبتمبر 2002 – آذار/مارس 2003.

نشر دان إيغن وروبرت أوهارو الابن تقريراً عن الضمانات "الطارئة" والضمانات غير الطارئة لأشكروفت في نسخة 24 آذار/مارس 2003 لـ واشنطن بوست بعنوان، الولايات المتحدة تضاعف المراقبة السرّية. راجع أيضاً آن غيران، المحكمة العليا ترفض محاولةً لاستئناف دعوى قضائية تتعلّق بإخضاع مدى سرّية جلسات التحقيق للاختبار،أسوشيتد بريس، 24 آذار/مارس 2003؛ كورت أندرسن، أشكروفت يسرّع اعتماد الضمانات السرّية الطارئة في الحرب ضد الإرهاب، أسوشيتد بريس، 24 آذار/مارس 2003؛ إفلين نيفز، مسؤولون محلّيون يعلنون تحدّيهم لقانون باتريوت، واشنطن بوست، 21 نيسان/أبريل 2003؛ جيري سيبير، أعضاء الكونغرس يستوضحون قدرات قانون باتريوت، واشنطن تايمز، 3 نيسان/أبريل 2003.

إذا رغبت بقراءة تقرير وزارة العدل حول المعتقَلين، مكتب المفتش العام في وزارة العدل الأمريكية: تقريرٌ إلى الكونغرس عن تنفيذ المقطع 1001 من قانون يو. إس. إي. باتريوت، 17 تموز/يوليو 2003، تفحّص www.findlaw.com.

يمكنك مراجعة موقع وكالة مشاريع الأبحاث الدفاعية المتقدّمة على العنوان www.darpa.mil. ولمزيدٍ من المعلومات عن بويندكستر، DARPA، وما تلقاه التحاليل السياسية من رواج، راجع فلويد نوريس، المراهنة على الإرهاب: عن أي رواجٍ توحي؟، نيويورك تايمز، 3 آب/أغسطس 2003؛ ستيفن جاي. هدجز، بويندكستر يتخلّى عن الخطة المستقبلية لمواجهة الإرهاب، شيكاغو تريبيون، 1 آب/أغسطس 2003؛ بيتر بير، تذمّرات جديدة لإنرون حول ملفات أمريكية، واشنطن بوست، 13 آذار/مارس 2003؛ وأليسون ستيفتر، أعضاء مجلس الشيوخ يريدون إقفال ملف الترويج لمستقبل 'الإرهاب'، كونغريشونال كوارترلي دايلي مونيتور، 28 تموز/يوليو 2003.

إذا رغبت بمعرفة المزيد عن الوضع في خليج غوانتانامو، راجع، لاتوازن السلطة: التغييرات التي أُدخلت على القانون والسياسة الأمريكية منذ 11/9 وتآكل حقوق الإنسان والحريات المدنية، من لجنة محامي حقوق الإنسان، وراجع أيضاً ماثيو هاي براون، في كامب إيكوانا، الأعداء هم من الأولاد، هارتفورد كورانت، 20 تموز/يوليو 2003؛ بايسلي دودس، المعتقَلون يقدّمون معلومات مشجّعة، يقول الجنرالات، شيكاغو تريبيون، 25 تموز/يوليو 2003.

يمكن العثور على تقارير تتناول ما ترتكبه الحكومة من مساوئ انطلاقاً من قانون باتريوت في تقرير لفيليب شنون، تقريرٌ عن القانون الأمريكي المناهض للإرهاب يدّعي حصول انتهاكات لحقوق الإنسان، نيويورك تايمز، 21 تموز/يوليو 2003؛ مصوّرون كاريكاتوريون للضوء الأحمر الأكثر خطورة، يو. إس. إي. توداي، 24 تموز/يوليو 2003؛ وتوم برون، المساوئ المرتكَبة حيال الحقوق تمّ التحقق منها، نيوزداي، 22 تموز/يوليو 2003.

أنكر جون كلارك قصته عن خضوعه للاستجواب عندما كان يحاول الدخول ثانيةً إلى أمريكا من كندا في مقالة بعنوان، استجوابٌ على الحدود الأمريكية، كاونتربانش، 25 شباط/فبراير 2002؛ العديد من الروايات الأخرى حول إفلات زمام الأمور من سيطرة الحكومة مصدرها نيل ماكاي، غضب. ارتياب. ضغينة. ذعر. أعداء العم سام في الداخل، صانداي هيرالد، 29 حزيران/يونيو 2003. راجع أيضاً، قاضٍ يخفّض وتيرة أحكامه بعد الإقرار بافتراءٍ عرقي، أسوشيتد بريس، 18 حزيران/يونيو 2003؛ ستة صحافيين فرنسيين أوقفوا في لوس أنجلس رُفض طلبهم الدخول إلى الولايات المتحدة، أسوشيتد بريس، 21 أيار/مايو 2003؛ صورٌ فوتوغرافية التقطتها الشرطة لمشاريع مدرسية خلال زيارةٍ في الساعة الواحدة والنصف صباحاً، أسوشيتد بريس، 5 أيار/مايو 2003؛ ماثيو روثشيلد، انسجامٌ مفروض، ذي بروغريسيف، 1 تموز/يوليو 2003؛ دايف ليندورف، اللائحة السوداء التي وضعتها الحكومة بالمسافرين جوّاً، نيو هافن أدفوكيت، ماثيو نورمان، تعليقٌ وتحليل، ذي غارديان، 19 آذار/مارس 2002؛ العرض لم يجعل الرجل الشرير ودّياً، يو. إس. إي. توداي، 18 أيار/مايو 2003؛ مديرٌ يحظّر الأفلام الوثائقية المتعلّقة بجوائز الأوسكار،

هارتفورد كورانت، 6 نيسان/أبريل 2003.

يمكن العثور على التحذير الذي وجّهه الأخ الأكبر لأري فليشر للأمريكيين على الموقع www.whitehouse.gov، وقد تمّ تناوله بشكلٍ موسَّع.

لمزيدٍ من المعلومات عن التأشيرات التي تمنحها دائرة الهجرة والتجنيس للإرهابيين، راجع بيل سابوريتو، وآل، إبعاد دائرة الهجرة والتجنيس: منح التأشيرات للإرهابيين بعد 11/9 قد تكون الزلّة الأخيرة لدائرة الهجرة، تايم ماغازين، 25 آذار/مارس 2002.

الفصل الخامس: كيف السبيل إلى إيقاف الإرهاب؟ أن نكف عن كوننا إرهابيين!

كتاب قتل الأمل: تدخلات القوات المسلَّحة الأمريكية والـ سي. آي. إي. منذ الحرب العالمية الثانية لوليام بلوم يقدّم تقارير وروايات عن عمليات الانقلاب التي خطّطت لها الولايات المتحدة في التشيلي، غواتيمالا، وإندونيسيا. وكتاب حربٌ دائمة لسلامٍ دائم: أنّى لنا أن نكون مكروهين إلى هذه الدرجة، هو مجموعة هامّة من المقالات وضعها غور فيدال (مع كل نسخة، إحصل على عشرين صفحة إضافية تعرض للتدخلات العسكرية الأمريكية وفقاً لتسلسلها الزمني في كل أنحاء العالم منذ العام 1948). وللتعرّف إلى وجهة نظرٍ تنتقد السياسة الخارجية الأمريكية الراهنة، راجع موقع "السياسة الخارجية تحت المجهر" www.foreignpolicy-infocus.org

إسرائيل هي أحد أكبر مستوردي الأسلحة من الولايات المتحدة. وفي العقد الأخير، باعت الولايات المتحدة إسرائيل أسلحة وتجهيزات عسكرية بقيمة 7.2 بليون دولار، 762 مليون دولاراً منها على صورة مبيعات تجارية مباشَرة (DCS)، وأكثر من 6.5 بليون دولار من خلال برنامج التمويل العسكري الخارجي (FMF) (وليام دي. هارتنغ وفريدا بيريغن نشرة مركز موارد تجارة الأسلحة، أيار/مايو 2002). لمشروع معلومات وأبحاث الشرق الأوسط كتاب تمهيدي عن الانتفاضة الحالية في فلسطين، وكتابٌ عن فلسطين وإسرائيل والنزاع العربي - الإسرائيلي: www.merip.org. "السلام الآن"، وهي مؤسسة السلام الإسرائيلية، تعتقد بأن

"السلام وحده كفيلٌ بضمان أمن إسرائيل ومستقبل شعبنا". وهي تناشد الحكومة الإسرائيلية للسعي إلى السلام – عبر مفاوضاتٍ وتنازلاتٍ متبادَلة – مع جيرانها العرب والشعب الفلسطيني (www.peacenow.org) ويعمل الاتحاد العربي لحقوق الإنسان (www.arabhra.org) على الترويج للحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والثقافية لأقلية العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وحمايتها.

مصدر كمّيات استهلاك الطاقة الأمريكية ينشأ من إدارة معلومات الطاقة التابعة لوزارة الطاقة الأمريكية، وتقرير التطوّر الإنساني الذي يصدر عن برنامج التطوير التابع للأمم المتحدة. ولوجهة نظرٍ ناقدة حول طرق الاستهلاك في الولايات المتحدة، اقرأ الوفرة: وباء الاستهلاك الكامل، بقلم جون دو غراف، ديفيد وان، توماس إتش. نايلور إند ديفيد هورسي. تتوافر توجيهات عديدة لكيفية ترجمة المقاصد الحسنة إلى أفعالٍ يومية: ثقافة الإفراط: كيفية إبطال حفلات المستهلك الانتحارية في أمريكا – ولماذا يُفترَض بنا، بقلم كال لان؛ دليل العيش البسيط للأحمق الكامل، بقلم جورجين لوكوود؛ 50 أمراً بسيطاً يمكنك القيام بها لإنقاذ الأرض، بقلم مجموعة أعمال الأرض؛ ودليل العالم الأفضل، بقلم إليس جونز، روس هاينفلر وبريت جونسون.

مصدر البيانات عن المياه النظيفة ينشأ من البرنامج البيئي التابع للأمم المتحدة ومنظّمة الصحة العالمية. انضمّ إلى حملة "كل المواطنين" لحماية الحملة العالمية لتأمين مياهٍ نظيفة يمكن الحصول عليها بجعلها متوافرة لكل الناس (www.citizen.org/cmep/Water/).

مصدر العاملين في المصانع ذات الأجور المنخفضة هو لجنة العمل الدولية و!UNITE، وهو الاتحاد الذي يمثّل العاملين في صناعة الثياب في الولايات المتحدة وكندا. لمزيدٍ من المعلومات عن هذين المصدرين، راجعوا موقعي (www.nlcnet.org) و(www.behindthelabel.org) أو إحدى الحملات العديدة للمصانع ذات الأجور المنخفضة على web: Sweatshopwatch: www.Sweatshopwatch.org؛ شبكة ماكيلا للتضامن: www.maquilasolidarity.org وطلابٌ متّحدون ضد المصانع ذات الأجور المنخفضة: www.usasnet.org.

قدّرت منظّمة العمل الدولية (IOL) أن 250 مليون ولد بين الخامسة والأربعة عشرة من العمر يعملون في دولٍ نامية – 120 مليون على الأقل بدوامٍ كامل. ويوثّق قسم حقوق الأطفال في منظمة هيومن رايتس واتش مأزق الأولاد العاملين في ظروفٍ من الضغط والاحتجاز: www.hrw.org/children/labor.htm. وتحاول "المسيرة الشاملة ضد عمالة الأولاد" تسليط الضوء على عمالة الأولاد على الموقع www.globalmarch.org. أُطلب ملصقك المجّاني المناهض لعمالة الأولاد لتعلّقه في صفّك، المركز الاجتماعي أو المكتب من خلال الموقع www.aft.org/international/child/. ويمكنك أيضاً التوقيع على عريضة مناهضة لعمالة الأولاد.

ويعرض الموقع www.iraqbodycount.org لقاعدة بيانات حول القتلى المدنيين في الحرب على العراق. وجاء في الموقع: "أعداد الإصابات مشتقّة من مسحٍ شامل لتقارير أوردتها وسائل الإعلام. وعندما تكون الأرقام متباينة بين مصدرٍ وآخر تُذكر التراوحات بحدّيها الأدنى والأقصى. وتمّت مراجعة كل النتائج بشكلٍ مستقل من قِبَل ثلاثة أعضاء على الأقل من الفريق العامل في مشروع إحصاء القتلى في العراق قبل نشرها".

أُخذت الإحصائيات حول القنابل الذكيّة في العراق من تقريرٍ لجسيم كرين نشرته الأسوشيتد بريس الأسلحة الأمريكية البالغة الدقة غير المضمونة، 4 نيسان/أبريل 2003.

وفقاً لحركة السلام، تملك الولايات المتحدة أكثر من 10.500 رأس حربي نووي في مخزونها الاحتياطي. ولمزيدٍ من المعلومات عن الحملة القائمة لعالمٍ أكثر أمناً، راجع موقعها على الويب www.peace-action.org. وطالما اعتمدت حركة "بلوشيرز" العصيان المدني غير العنفي لنزع أسلحة بلدنا، www.plowsharesactions.org. وتسعى مجموعة العمل المتعلّقة بالأسلحة الكيميائية إلى التأكد من الوضع السليم للأعتدة الحربية وغيرها من المواد الحربية الكيميائية والسّامة في كافة أنحاء الولايات المتحدة: www.cwwg.org.

إذا رغبتم بالاستعلام أكثر عن تاريخ أمريكا الشهير في هزم الديموقراطيات

وحماية الديكتاتوريين الوحشيين، لا مكان أفضل ربما من أرشيف الأمن القومي في جامعة جورج تاون للبدء بهذه المهمّة – في ما يتعلّق بالمستندات الحكومية غير السرّية. أما عنوانهم على الويب فهو: /www.gwu.edu/~nsarchiv

الفصل السادس: يسوع دبليو المسيح

لا يحتاج الله لمصادر ويتمّ إزعاجه بمجرّد اقتراح ذلك.

الفصل السابع: هوراتيو ألجير يجب أن يموت

مصدر الإحصائيات المتعلّقة بالتعويضات التي تقدّمها الشركات: راتب الرئيس التنفيذي، جون إي. بيرن وآل، بيزنيس ويك، 6 أيار/مايو 2002؛ راتب الرئيس التنفيذي: تقريرٌ خاص، ألن كويل، ذي نيويورك تايمز، 1 نيسان/أبريل 2001. وجاء في تقرير الـ بيزنيس ويك أيضاً: "بازدياد الأجور بنسبة 36 بالمئة خلال العقد الماضي، ارتفعت رواتب المدراء التنفيذيين ليبلغ مجموعها 11 مليون دولار".

نُشر تقرير فورتشن عن لصوص الشركات: أنت اشتريت، هم باعوا بتاريخ 2 أيلول/سبتمبر 2002. ويمكنك تصفّحه على الموقع www.fortune.com

قسمٌ كبير من المعلومات الواردة في المقطع الذي يتناول التعويض على القروين الأموات، كما جاء في النص، مصدره العمل العظيم لإيلين إي. شولتز وثيو فرانسيس بعنوان: موظّفون مثمَّنون: العامل يموت، المؤسسة تجني الأرباح – لماذا؟ ظهرت في ذي وال ستريت جورنال في 19 نيسان/أبريل 2002. ومن بين التقارير اللاحقة الأخرى، الشركات تفوز بفوائد الموت، ألبرت بي. كرنشو، ذي واشنطن بوست، 30 أيار/مايو 2002؛ ومشروع قانون الحد من السياسات المتَّبعة حيال القرويين الأموات يتمّ تجاهله حتى الموت، إل. إم. سيكسل، هيوستن كرونيكل، 4 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

لمزيد من المعلومات عن مشروع القانون الذي تقدّم به الكونغرس والذي من شأنه أن يسمح للشركات رصد مبالغ أقل لمعاشات التقاعد للعمّال الكادحين، راجع مشرون قانون يخفّض موجبات الكادحين حيال معاشات التقاعد، ماري وليامز والش، ذي نيويورك تايمز، 6 أيار/مايو 2003. يمكنكم قراءة المزيد عن الجدال حول الحسم الأكبر لحالات الوفاة، جون تيرني، ذي نيويورك تايمز، 18 أيار/مايو 2003.

إذا رغبتم بمزيدٍ من المعلومات المحدَّدة عن مساهمات كن لاي في حملة بوش أو إذا كنتم تبحثون عن معلوماتٍ حول الهبات المقدَّمة بشكلٍ عـــام، تحقّقـــوا مـــن الأشخاص مـــن الطـــراز الأول علـــى موقـــع مركـــز السياســـات الحساســـة www.opensecrets.org. ولمعلوماتٍ عن استخدام بوش لطـــائرة نفّاثـــة تابعـــة لإنرون، راجع، إنرون: أموالٌ أخرى في الإحصائيات السياسية، مركز السياســـات الحساسة، 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2001؛ والإثراء من خلال المؤسسات، كابيتـــال آي، شتاء العام 2000. ظهرت التقارير المتعلّقة بالعودة السريعة لبوش من حملتـــه الانتخابية لمشاهدة لاي يقذف الكرة الأولى لافتتاح ألعاب أســـتروس في ملعـــب إنرون الجديد في هيوستن في مقالة، بوش يتفقّد مساهماً رفيعاً يفتتح مباراة البايسبول في هيوستن، ميغان ستاك، أسوشيتد بريس، 7 نيسان/أبريل 2000.

لمزيدٍ من المعلومات عن دور "الفتى كيني" في "مســـاعدة" بـــوش باختيـــار الأشخاص للإدارة الجديدة ودوره في "الفريق المهمّاتي لشؤون الطاقة" التابع لتشيني، راجع، السيد غولان ذاهبٌ إلى واشنطن، جايمس برنشتين، نيـــوزداي، 4 كـــانون الثاني/يناير 2001؛ مستشارو بوش يقدّمون له النصائح حول روابط التقرير الـــتي يتناول الطاقة بالصناعة، جوزف كان، ذي نيويورك تايمز، 3 حزيران/يونيو 2001؛ تاجرٌ متنفّذ مرتبط ببوش يلقى في واشنطن آذاناً صاغية، لويل بـــرغمن وجيـــف غرت، ذي نيويورك تايمز، 25 أيار/مايو 2001؛ مشروع بوش حول الطاقة يتّبـــع طريق الصناعة، دون فان ناتا ونيلا بانرجي، ذي نيويورك تايمز، 27 آذار/مـــارس 2002؛ قاضٍ يستفهم عن التحرّك الأمريكي حيال قضـــيّة تشـــيني، هنـــري إي. كوفين، ذي واشنطن بوست، 18 نيسان/أبريل 2003.

يمكن العثور على معلومات إضافية عن إنرون في المقالات التالية: ريتشـــرد إي. أوبل الابن، ادّعاءاتٌ أمريكية حول إفلاس إنرون كورب، ذي نيويـــورك تـــايمز، 3 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ ستيفن بيرلشتين إند بيتر بير، في إنرون، جـــاء الانهيـــار بسرعة؛ التعقيدات والشراكات حالت دون ظهور المشاكل للرأي العام، ذي واشنطن بوست، 2 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ لسلي واين، بإلحاحها على خرق القـــانون، إنرون تسدّد تكاليف الطريق المؤدّي إلى مبنى المجلس التشريعي، ذي نيويورك تـــايمز، 9

شباط/فبراير 2002؛ جون شوارتز، الشخصيات المشاركة في دراما إنـــرون عديـــدون وعلاقاتهم معقّدة، ذي نيويورك تايمز، 13 كانون الثاني/يناير 2003؛ جيم درينكارد إند غريغ فاريل، إنرون تقوم باستثمارٍ مدوٍّ في واشنطن، يو. إس. إي. توداي، 24 كانون الثاني/يناير 2002؛ ستيفن لاباتن، الموازنة بين خرق القانون وإنـــرون، ذي نيويـــورك تايمز، 17 كانون الثاني/يناير 2002؛ جيري هيرش وآل، الإجراءات الوقائية فشـــلت في تبيان إشعارات انهيار إنرون، ذي لوس أنجلس تايمز، 14 كانون الأول/ديسمبر 2001؛ ماري فلود، سقوط إنرون، هيوستن كرونيكل، 5 شباط/فبراير 2003؛ جيري هيرش، المسؤولون التنفيذيون في إنرون يربحون الملايين جراء بيع أسهمهم، ذي لوس أنجلـــس تايمز، 13 حزيران/يونيو 2001؛ ستيفاني شورو، ثروة الخيارات، بوسطن هيرالـــد، 30 أيلول/سبتمبر 2002؛ جايك تابر، الرشاوى السرّية كانت بمثابة إنذار لإنرون، سالون، 20 كانون الثاني/يناير 2002؛ بن وايت وبيتر بير، إنرون دفعت للـــدائنين 3.6 بليـــون دولار قبل الانهيار؛ ودفعات للرؤساء التنفيذيين بالتفصيل، ذي واشنطن بوســـت، 18 حزيران/يونيو 2002؛ جيم ياردلي، عبءٌ كبير على كاهـــل العـــاملين الســـابقين في إنرون، نيويورك تايمز، 3 آذار/مارس 2002؛ إريك بيرغر، إنرون تواجه دعوى قضائية في شأن معاشات التقاعد، هيوستن كرونيكل، 26 حزيـــران/يونيـــو 2003؛ ســـتيفن غرينهاوس، الودائع المصرفية العامّة تسجّل خســـائر بحـــوالى 1.5 بليـــون دولار، ذي نيويورك تايمز، 29 كانون الثاني/يناير 2002؛ ماري فلود وآل، أبعد من كونها هالكة، هيوستن كرونيكل، 22 حزيران/يونيو 2003.

الهبات السياسية التي قدّمتها إنرون وأندرسن والنزاعات المتعلّقة بالمصالح الـــتي تسبّبا بها في "التحقيقات" الحكومية مناقَشة في مقالة دون فان ناتا الابن، قدّم إنرون أو أندرسن هباتٍ لكل من حقق معهم من أعضاء الكونغرس تقريباً، ذي نيويورك تايمز، 25 كانون الثاني/يناير 2002. ويمكن العثور على معلوماتٍ عـــن محـــاولات إنرون لإخفاء انتهاكها القانون، وقرار إدارة بوش ألا تقوم بشيء حيـــال الانهيـــار الوشيك في مقالة، أوراق أساسية متلَفة في قضيّة إنرون، كـــيرت إيشـــنوالد، ذي نيويورك تايمز، 28 كانون الثاني/يناير 2002؛ مَن يكون كين؟، بينيت روث وآل، هيوستن كرونيكل، 11 كانون الثاني/يناير 2002؛ كُشف عن مساعدة بـــوش في

الدعوى القضائية التي تواجهها إنرون، دانا ميلبانك، ذي واشنطن بوست، 14 كانون الثاني/يناير 2002؛ أعداد الاتصالات تتزايد، إتش. جوزف هيربرت، أسوشيتد بريس، 12 كانون الثاني/يناير 2002.

محاولة "الرئيس" بوش إنكار صداقته الوثيقة بـ كين لاي موثّقة في نسخة عن جلسة سؤال وجواب مع الصحافيين عُقدت بتاريخ 10 كانون الثاني/يناير 2002. ويمكن العثور على هذه المعلومات على الموقع www.whitehouse.gov. راجع أيضاً مَن يكون كين؟ لبينيت روث وآل، هيوستن كرونيكل، 11 كانون الثاني/يناير 2002، إنرون وزّعت المساهمات على الجانبين، دون فان ناتا الابن، ذي نيويورك تايمز، 21 كانون الثاني/يناير 2002 وبالرغم من إنكارات الرئيس، كان إنرون ولاي مناصرَين لبوش، تكساس فور بابليك دجاستيس (www.tpj.org)، 11 كانون الثاني/يناير 2002.

الفصل الثامن: يا لسعادتي! طالني تخفيض للضرائب!

لمزيدٍ من المعلومات عن التأثيرات الحقيقية لـ "خفض ضرائب مايك مور" التي أقرّها بوش عام 2003، راجع تقرير مركز تحديد الأولويات المتعلّقة بالميزانية والسياسة، قانون جديد لخفض الضرائب يعتمد وسائل حديدة لتغطية الكلفة؛ القيمة النهائية يُحتمَل ان تتراوح ما بين 800 بليون دولار وتريليون دولار. عنوان موقع المركز على الويب، www.cbpp.org.

عرَض جايمس توتمن لمشروع خفض الضرائب المرتقَب الذي خطّط له بوش وتشيني في مقالةٍ في الـ نيوزداي، خفض الضرئب، 20 أيار/مايو 2003.

كما هو مكتوب، جوّالو تكساس هم في مؤخرة نوادي الغرب الأمريكي لجهة نتائج مباراياتهم إذ يفصلهم عن المرتبة الأولى 19.5 نقطة. (حسناً، أعلم، فهم لا يلعبون الكرة بالسوء الذي يلعبه فريق ديترويت تايغرز).

إذا رغبتم بمعرفة المزيد عن الأشخاص السبعة والأربعين الذين كان قد "قتلهم" الرئيس كلينتون، ما عليك سوى البحث عن الموقع المطلوب بإدخال الكلمات التالية "Clinton Body Count" أو استمع إلى الإذاعة على موجة إي. إم. في أي

يومٍ من الأسبوع. فهذه الخرافة المدينية هي المفضّلة لدى اليمين.

في صيف العام 2003، تصوّرت دائرة الميزانية التابعة للكونغرس (www.cbo.gov) أن العجز الفدرالي للعام 2003 سيبلغ 401 بليون دولار. لمزيدٍ من المعلومات عن هذا الإعلان، راجع مقالة ألن فرام التي نُشرت بتاريخ 10 حزيران/يونيو، دائرة الميزانية التابعة للكونغرس تتوقّع عجزاً قياسياً، أسوشيتد بريس. يمكنك قراءة المزيد عن محاولات بوش إخفاء تصوّرات عجز الخزينة حتى بعد موافقة الكونغرس على خفض الضرائب في بوش يُهمل تقريراً حول المخاوف من عجزٍ يبلغ 44.200 بليون دولار، بيرونيه دييبنيو، فايننشال تايمز، 29 أيار/مايو 2003.

قال بوش إنه بإمكان كل دافع ضرائب الإفادة من خفض الضرائب في خطابٍ إذاعي بتاريخ 26 نيسان/أبريل 2003. يمكنكم العثور على النسخة على الموقع www.whitehouse.gov. كشف مركز تحديد الأولويات المتعلّقة بالميزانية والسياسة عن الحقيقة في تقريرٍ له بتاريخ 1 نيسان/أبريل 2003، قانون خفض الضرائب تناسى أمر 8 ملايين شخص من دافعي الضرائب. ووضع المركز أيضاً تقريراً عن التأثير الذي قد يتركه خفض الضرائب الفدرالي على البلاد بتاريخ 5 نيسان/يونيو 2003 بعنوان، تبديلات ضرائبية فدرالية قد تكلّف البلاد بلايين الدولارات في السنوات القادمة. يمكن العثور على مزيدٍ من المعلومات من خلال "مواطنون لعدالة ضريبية" (www.ctj.org)، ولا سيّما تفرير صادر بتاريخ 30 أيار/مايو 2003، معظم دافعي الضرائب تلقّوا مساعدة ضئيلة من مخطط بوش الضرائبي الأخير.

لتفحّصٍ جيّد للوسائل الابتكارية التي أوجدها البلاد لادّخار الأموال، بما فيها إلغاء المصابيح الكهربائية وإقفال المدارس، راجع، ادّخارٌ بالتقطير، مات بـاي، ذي نيويورك تايمز، 8 حزيران/يونيو 2003، والولايات المتحدة تواجه عجزاً متوقّعاً في الخزينة، تيموتي إيغن، ذي نيويورك تايمز، 21 نيسان/أبريل 2003.

إذا كنتم تتوقّعون إعادة مبلغٍ بقيمة مليون دولار أو أكثر (ومن لا يتوقّع ذلك؟)، يمكنكم ملء استمارة على الموقع: www.irs.gov/pub/irs-pdf/f8302.pdf

علّق بوش على كيفية قيام عملية خفض الضرائب بمساعدة العائلات التي تربّي أولاداً إبّان حفلة التوقيع على مخطط خفض الضرائب بتاريخ 28 أيار/مايو 2003.

يمكن العثور على نسخة على الموقع www.whitehouse.gov. إذا رغبتم بقراءة المزيد عن كيفية عدم قيام المخطط بمساعدة العائلات، بما فيها مليون عائلة عسكرية، تفحّص القانون الضريبي يُغفل مبلغ 40 دولار لملايين الأولاد، ديفيد فايرستون، ذي نيويورك تايمز، 29 أيار/مايو 2003، وإغفال مليون ولد تابعين لعائلات عسكرية من خلال رزمة ضريبية جديدة، اعتمادات مالية دفاعية للأولاد (www.childrensdefense.org)، 6 حزيران/يونيو 2003.

الفصل التاسع: جنّة ليبرالية

هناك تقريباً 4.1 مليون رجل وامرأة ناشطين في القوات العسكرية اليوم وفقاً لوزارة الدفاع، مرتبات الموظفين الناشطين في القوات المسلّحة وفقاً لوزارة الدفاع، السنوات الماليّة 1950–2002. وحتى خلال حرب فيتنام، بين عامي 1965 و1972، خدم 2.594.000 أمريكي فقط كما ورد في تقرير لديفيد إم. هالبفينغر وستيفن إي. هولمز، العسكريّون يعكسون الطبقة العاملة في أمريكا، ذي نيويورك تايمز، 30 آذار/مارس 2003.

مع بدء "الحرب على الإرهاب" التي لا تنتهي، أظهر استفتاءٌ أجرته مؤسسة "أمريكيون للانتصار على الإرهاب"، شمل طلاب الكلّيات ونُشر في أيار/مايو 2002، أن 21 بالمئة قد يتجنّبون القرعة نهائيّاً، بينما أبدى 37 بالمئة استعدادهم لتأدية الخدمة العسكرية إذا كانت ضمن الولايات المتحدة. وقال ناطقون باسم الجيش والماريتز إن 11 أيلول/سبتمبر لم يؤدِّ إلى زيادة في عدد المتطوّعين، مستشهدين ببحث داخلي أجرته مارين كوربس وأظهر أن الحرب كان لها تأثيرٌ على التجنيد تراوح بين "المحايدة والسلبية الخفيفة"، وفقاً لتقرير جويس هوارد برايس، الماريتز، الجيش يعتبر الحرب مساعداً على التجنيد، وقد نشرته الـ واشنطن تايمز بتاريخ 31 آذار/مارس 2003. ويذكر ديفيد إم. هالبفينغر في المقالة المذكورة أعلاه أن أعداد المنتمين إلى القوات المسلّحة انخفض بنسبة 23 بالمئة في العقد الأخير.

بالنسبة إلى الأرقام الناتجة عن الاستفتاء الذي تناول وجهة نظر الأمريكيين حيال العناية الصحيّة، راجع ما يلي: مؤسسة عائلة هنري جاي. كايزر واستطلاع الرأي غير

المكفول لـــ ذي نيوز أوار ويد جيم ليرر، 16 أيار/مايو 2000؛ ومؤسسة عائلة هنري جاي. كايزر/كلية هارفارد للصحة العامة، 12 شباط/فبراير 2003. مقارنات دولية تتناول أكلاف العناية الصحيّة وفقاً لكتاب روبرت إتش. لوبـــوو، العنايـــة الصـــحيّة المتلاشية، الذي نُشر العام 2003. ولتقريرٍ شامل عن أعداد الأمريكيين الذين لا يملكون تأميناً صحيّاً، راجع، باتوا بدون تأمين صحّي، الصادر عـــن مؤسســـة روبـــرت وود جونسون وعائلات الولايات المتحدة، آذار/مارس 2003.

ويمكن العثور على تأييدٍ للتعدّدية العرقية وعلى آرائنا حول العرق عامّةً في مقالـــة ويل ليستر، استفتاءٌ يشير إلى توافقٍ واضح حيال التعدّدية، وعدم اتفاق علـــى كيفيـــة بلوغها، أسوشيتد بريس، 7 آذار/مارس 2003؛ مقالة ريلي إي. دانلاب للأمـــريكيين صورة إيجابية عن الحركة البيئية، غالاب نيوز ســـرفيس، 18 نيســـان/أبريـــل 2000؛ استفتاء بيو غلوبال أتيتيودس بروجكت، 3 حزيران/يونيو 2003؛ اســـتفتاء مؤسســـة دايف توماس فور أدوبشن أجراه هاريس إنتراكتيـــف، 19 حزيـــران/يونيـــو 2002؛ واشنطن بوست/مؤسسة عائلة كايزر/جامعة هارفارد، العرق والإثنيّـــة عـــام 2001: مواقف، ملاحظات، وخبرات، آب/أغسطس 2001. جاء نشوء الزيجات في ما بـــين الأعراق خلال العقدين الماضيين في تقريرٍ لكلو كابريرا، الزيجات الثنائيـــة العـــرق في انبثاق بعد التغلّب على الفوارق، تامبا تريبيون، 1 كانون الثاني/يناير 2000.

للمزيد حول وجهات نظرنا عن حركة المرأة وحقوق الإجهاض، راجع: ريلـــي إي. دانلاب، للأمريكيين صورة إيجابية عن الحركة البيئية، غالاب نيوز ســـرفيس، 18 نيسان/أبريل 2000؛ إي. بي. سي. نيوز/وال ستريت جورنال، 28 كانون الثاني/يناير 2003؛ مركز بيو للأبحاث، 16 كانون الثاني/يناير 2003؛ استفتاء غالاب/ســـي. إن. إن/يو. إس. إي. توداي، 21 كانون الثاني/يناير 2003. لمزيدٍ من الإحصـــائيات عـــن الإجهاض، قُم بزيارة موقع ألن غاتماشر إنستيتيوت www.agi-usa.org. وظهر ازدياد عدد الأزواج الذين يقيمون معاً دون رابـــط زواج، ودون أن يكـــون لهـــم أولاد في حالات عديدة، في تقريرٍ للورنت بلسي، مزيدٌ من الأزواج يقيمون معاً، مثيرين نقاشاً حول العائلة، كريستشن ساينس مونيتور، 13 آذار/مارس 2003.

يمكن العثور على تقارير حول آراء الناس في ما يتعلّق بإضفاء الطابع الجنـــائي

على المخدّرات، وإصدار أحكام بحق خرق المرتكبين اللاعنفيين للقانون، وآراءٌ حول كيفية التعاطي مع حكم الإعدام، في: تفاؤل، تشاؤم، وترميم السجون: مواقف الأمريكيين من الجريمة، العقاب، والسجن المفرط، وهي معلومات مأخوذة من استطلاعٍ الرأي أجراه بلدن روسونيللو إند ستيوارت لصالح اتحاد الحرّيات المدنية الأمريكية، 22 كانون الثاني/يناير 2001؛ كوينيبياك يونيفرسيتي بولينغ إنستيتيوت، 5 آذار/مارس 2003؛ استفتاء إي. بي. سي. نيوز/واشنطن بوست، 24 كانون الثاني/يناير 2003؛ استفتاء سي. إن. إن/مجلة تايم، بواسطة هاريس إنتراكتيف، 17 كانون الثاني/يناير 2003.

يمكنك الحصول على تقديراتٍ تتعلّق بالاستخدام غير القانوني للمخدّر من قِبَل الشعب الأمريكي، وذلك من خلالٍ وزارة الصحة الأمريكية والخدمات الإنسانية.

المنطقة الخضراء الحسّاسة بيئياً تظهر في: ريلي إي. دانلاب، للأمريكيين صورة إيجابية عن الحركة البيئية، غالاب نيوز سرفيس، 18 نيسان/أبريل 2000؛ مؤسسة عائلة هنري جاي. كايزر/واشنطن بوست/جامعة هارفارد، 23 حزيران/يونيو 2002؛ استفتاء غالاب، 18 آذار/مارس 2002؛ استفتاء غالاب، 21 نيسان/أبريل 2003؛ استفتاء غالاب، 13 آذار/مارس 2003؛ بيو غلوبل أتيتيودس بروجكت بول، 3 حزيران/يونيو 2003؛ وزغبي إنترناشونال فور ناشونال إنفايرنمنتال تراست، استفتاءٌ حول الانتخابات الجمهورية الأوّلية المرجَّحة، أو التصويت لمرشَّحي الحزب في كاليفورنيا، آيوا، نيو هامشاير، نيويورك، وكارولاينا الجنوبية، آب/أغسطس 1999.

بالنسبة إلى الأرقام المتعلّقة بالموقف الأمريكي حيال الأسلحة، راجع التقرير الصادر عن مركز دراسة الآراء الوطنية، استطلاعٌ للرأي حول السياسة الوطنية للعام 2001 المتعلّقة بالأسلحة والصادر عن مركز دراسة الآراء الوطنية: نتائج البحث، كانون الأول/ديسمبر 2001؛ تقرير مركز دراسة سياسة العنف، استفتاءٌ جديد يشير إلى أن مزيداً من الأمريكيين هم لصالح حظر السلاح اليدوي لا لامتلاكه، 15 آذار/مارس 2000؛ تقرير مؤسسة ميشيغن بارتنر لتلافي العنف بواسطة السلاح، الرأي العام: إفساح المجال لتغيير السياسة العامّة، وقد أجرته مؤسسة الأبحاث والتحاليل السوقيّة EPIC-MRA، تشرين الأول/أكتوبر 2000.

بالإضـــافة إلى Will & Grace، Queer Eye for the Straight Guy، والشعبية المفاجئة المتجدّدة للمسرح الموسيقي، يمكنكم العثور على مزيدٍ من شؤون الحب في أمريكا والمثليين الجنسيين في هذه المصادر: هيومن رايتس كامباين، HRC ترحّب باستفتاءٍ جديد لغالاب يُظهر الاتجاه الإيجابي المســتمر في الــرأي العــام الأمريكي حيالً بعض مسائل المثليين الجنسيين الــذكور، مســبّقة صــحافية، 4 حزيران/يونيو 2001؛ استفتاء لوس أنجلس تايمز، 18 حزيران/يونيو 2000؛ مؤسسة عائلة هنري جاي. كايزر، تشرين الثاني/نــوفمبر 2001؛ اســتفتاء غــالاب، 15 أيار/مايو 2003؛ ونيوزويك، 27 نيسان/أبريل 2002.

يمكن العودة إلى الدعم الأمريكي الواسع الانتشار للاتحــادات، والارتيــاب بالمؤسسات في ما يلي: استفتاء إي. بي. ســي. نيــوز/واشــنطن بوســت، 15 تموز/يوليو 2002؛ استفتاء غالاب، 30 آب/أغسطس 2002؛ اســتطلاع AFL-CIO في يوم العمل، 29 آب/أغسطس 2002؛ استفتاء فوكس نيوز، 25 تشــرين الأول/أكتوبر 2002؛ كنت هوفر، اتحادات العمال تهدف إلى الإفادة من الموقــف العام المناهض للمؤسسات، هيوستن بيزنيس جورنال، 9 أيلــول/ســبتمبر 2002؛ برنامج مواقف السياسة الدولية، الأمريكيون في استطلاعٍ حول العولمة، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1999؛ استفتاء هاريس، 27 تموز/يوليــو 2002؛ ومجلــس القيــادة الديموقراطية، استطلاعٌ حول تبدّل الجغرافيــا السياســية في أمريكــا، تشــرين الأول/أكتوبر 2002 (أجرته مؤسسة بن، شون إند برلند أسوشييتس). لمزيدٍ مــن المعلومات حول إحصائيات تناولت العضوية في الاتحادات على مســتوى البلــد ككلّ، وللوقوف على كيفية تقاضي أعضاء الاتحادات أجوراً أعلى من الأعضــاء غير المنتسبين لها، تحقّق من مكتب إحصائيات العمالة على الموقع www.bls.gov.

عبّر مايكل سافاج عن رأيه الفاتن بالمثليين الجنسيين وعن حبّه لأكل النقــانق في برنامجه "إم. إس. إن. بي. سي. شوو سافاج نايشن" المُلغى حالياً (بسبب هذا التعليــق بعينه)، بتاريخ 5 تموز/يوليو 2003.وشخّص سافاج (واسمه الأخير الحقيقي واينر) حالة اليسار المَرَضيّة بالاضطراب العقلي (وحبٌّ غير صحّي للإسلام – آه، لا!) في برنامجــه على شاشة الــ إم. إس. إن. بي. سي. بتــاريخ 19 نيســان/أبريــل 2003. نقلــت

صديقتنا العزيزة آن كولتر رسالةً من الله تقول بأنه يجب علينا "اغتصاب" الأرض، وذلك في برنامج هانيتي وكولمز على محطة فوكس نيوز بتاريخ 22 حزيران/يونيو 2001. وكولتر، التي عرّفت عنها فوكس نيوز في السابق بأنها "متبحّرة دستورية"، اقترحت أنه يجب قتل الليبراليين، وذلك إبّان مؤتمر العمل السياسي المحافظ الذي عُقد عام 2002. وإن فهمها العميق للبيئة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية في أفغانستان، والنصيحة التي قدّمتها حول ما يجب على أمريكا القيام به هناك نشرتها المجلة المحافظة، ذي ناشونال ريفيو، على موقعها بعد 11 أيلول/سبتمبر. وبإشارتي إلى واقع أن جورج دبليو بوش هو رئيس غير شرعي في حفلة جوائز الأوسكار، وصفني بيل أورايلي ذو المهماز بالفوضوي في برنامجه على فوكس نيوز بتاريخ 14 نيسان/أبريل 2003. واستشهاده بالفقير الذي أُرسِل إلى السجن دون حصوله على محاكمة عادلة مصدره برنامجه الذي عُرض بتاريخ 4 أيلول/سبتمبر 2001. ونظرية راش ليمبوو القائمة على أصول المطالبة بمساواة الجنسين أُعلنت في برنامجه النقابي بتاريخ 28 تموز/يوليو 1995، راش ليمبو، وجاء تفصيله للثقافة الكندية في تقرير له نشرته أوتاوا سيتيزن بتاريخ 23 آذار/مارس 2003.

الفصل العاشر: كيف تتكلّم مع زوج أختك المحافظ

في ما يتعلّق بقضيّة موميا أبو جمال، إقرأ تقرير أمنستي إنترناشونال، الحياة في كفّة الميزان على الموقع /www.amnestyusa.org/abolish/reports/mumia إضافةً إلى الإجراءات التي تتّبعها أمنستي في إطار مناهضتها لحكم الإعدام. تفحّص أيضاً موضوع الائتلاف الدولي الساعي لإلغاء حكم الإعدام على الموقع www.ncadp.org، ومركز المعلومات المتعلّقة بحكم الإعدام على الموقع www.deathpenaltyinfo.org.

المعلومات المتعلّقة بالاتحادات ومعاشات التقاعد مصدرها ديفيد كاي جونستن وكينيث إن. غيلبن، قضيّةٌ تحذّر من سلامة معاشات التقاعد، ذي نيويورك تايمز، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2000؛ بيتر جي. غوسلين، حب العمّال لبنود 401(k)s يعيق محاولةً للإصلاح، لوس أنجلس تايمز، 22 نيسان/أبريل 2002.

للقراءة عن حملة "إشترِ المنتجات الأمريكية"، راجع كتاب دانـا فرانـك إشـترِ المنتجات الأمريكية: القصة غير المعلَنة للقوميّة الاقتصادية، مطبعة بيكون، 1999؛ بيتـر غيلمور، القصة غير المعلَنة (وفشل) حملات 'إشترِ المنتجات الأمريكية'، يو. إي. نيوز، يونايتد إلكتريكال، العاملون الأمريكيون في الإذاعات والآلات؛ ليزا هونغ، هـل هـو 'شراء المنتجات الأمريكية' أم 'سحق اليابان'؟ إيجيان ويك، 7 شباط/فبراير 1992.

للمساعدة على انضمام من يعمل معك إلى الاتحادات، راجع الاتّحاد الدولي للموظّفين في قطاع الخدمات (SEIU) على الموقع www.seiu.org أو العـاملون الأمريكيـون في الإذاعـات والآلات (UE-United Electrical) علـى الموقـع http://www.ranknfile-ue.org.

قبل أن تمنح بيل أورايلي ثقتك، تذكّر ما يلي: إنه ضدّ حكم الإعدام. لِمَ؟ "لأنـه غير تأديبي بما فيه الكفاية". وبصورةٍ مماثلة، هو يعارض NAFTA لأنه يعارض عبـور المكسيكيين إلى الولايات المتحدة. دعونا لا ننسى أنه تكلّم عن "المكسيكيين المقـيمين بصورةٍ غير شرعيّة" في مناسبتين على الأقلّ: عامل أورايلي، 6 شباط/فبرايـر 2003، والدعوةُ الصباحية في ألنتاون، بنسيلفانيا، بتاريخ 5 كانون الثاني/يناير 2003.

مصدر المعلومات حول نيكسون مقالات كتبها ديب ريتشمن من الأسوشيتد بريس: نيكسون سعى لإطلاق سراح الأمريكيّين في الصين قبل الرحلة التاريخية، 5 نيسان/أبريل 2001، والولايات المتحدة – حكاية معاهدة، 16 حزيـران/يونيـو 2001؛ يو. إس. إي. توداي، Title IX بسنّ الثلاثين: ما يزال عرضةً للانتقاد، 19 حزيران/يونيو 2002؛ هيو واتكين، إخفاء الفأس، تـايم ماغـازين، 20 تشـرين الثاني/نوفمبر 2000؛ ذي أميريكان إكسبيريانس، بي. بي. إس، 2002، كما وردت على الموقع www.pbs.org/wgbh/amex/presidents.

يمكن العثور على رواتب العمّـال المنـتمين إلى الاتحـادات أم لا في دائـرة الإحصائيات المتعلّقة بالعمالة، وزارة العمل الأمريكية، الجدول 2. متوسط المداخيل الأسبوعية للعمّال الذين يتقاضون أجوراً ورواتب لقاء عملٍ بدوام كامـل بعـد انتسابهم إلى الاتحاد، 25 شباط/فبراير 2003.

مصدر الأرقام المرتبطة بالأشخاص الذين يُقتلون سنويّاً في الولايات المتحـدة

نتيجةً للتلوّث هو المسبّقة الصحافية لكلية هارفارد للصحّة العامّة، تلوّث الهواء أكثر إهلاكاً ممّا كان يُعتقَد، 2 آذار/مارس 2000. والأرقام المتعلّقة بتكاليف العناية الصحيّة نتيجةً لتلوّث الهواء مصدرها مراكز التحكّم بالأمراض، المركز الوطني للصحة البيئيّة، تلوّث الهواء وشعبة الصحّة للجهاز التنفّسي، www.cdc.gov/nceh/airpollution.

مناقشاتٌ حول "سوبرفاند" مصدرها سلسلة من المقالات بقلم كاترين كيو. سيلي في نيويورك تايمز، بوش يقترح تغييرات على سياسة المواقع السّامة، 24 شباط/فبراير 2002 وبوش يخفّض المساعدات لتنظيف 33 موقعاً سامّاً، 1 تموز/يوليو 2002؛ مارغاريت راميريز، تقريرٌ يربط بين مواقع "سوبرفاند" والمرض، نيوزداي، 15 حزيران/يونيو 2003. للاستفسار عن مسؤولية الصناعة والحكومة، راجعوا مركز الصحة والبيئة والعدل على الموقع www.chej.org.

معلومات حول تبديد الطاقة في الولايات المتحدة مصدرها وزارة الطاقة، الجدول 1.5: مؤشرات استهلاك الطاقة والإنفاقات، 1949–2001، والمجلس الأمريكي لاقتصاد فدرالي قائمٍ على طاقةٍ وافية، أبحاثٌ حول كفاية الطاقة وكيفيّة تطويرها ونشرها: لَمِ الدعم الفدرالي ضروري؟ www.aceee.org. لمزيدٍ من التوقّعات حول السيارات العاملة على الوقود، تفحّص زيادة الاقتصاد بالوقود في أمريكا، من "التحالف لإنقاذ الطاقة". يمكن العثور عليها على الموقع www.ase.org.

لمزيدٍ من المعلومات عن تكاليف الحرب على المخدّرات، راجع مركز معالجة إساءة استخدام المادّة، نيسان/أبريل 2000؛ تحالفٌ من أجل سياسةٍ حيال المخدرات، 'حسابات غير واضحة' في تقريرٍ جديد للـ ONDCP، 12 شباط/فبراير 2003. وللاسترسال في هذا الموضوع، راجع "مشروع تأجيل البحث بأمر السجون" على الموقع www.nomoreprisons.org، وهي مجموعة لإيقاف توسيع السجون وتوزيع الموارد على الجماعات الأكثر تأثّراً بالسياسات الإجرامية للعدالة. تفحّص أيضاً "أمّهات المختفين في نيويورك"، وهي منظّمة مؤلّفة من أعضاء العائلات السّاعية إلى وضع حدّ لقوانين روكفيلر بشأن المخدّرات التي تستهدف الفقراء وذوي البشرة الملوّنة (www.kunstler.org).

إحصائيات تتناول المال المُنفَق على المخدرات غير القانونيّة كل عام مصدرها ملاحظات مكتوبة للنائب العام جون أشكروفت، جون أشكروفت، وزارة العدل الأمريكية، 19 آذار/مارس 2002.

معلوماتٌ حول الأمّية في السجون ومتلقّي مساعدات الإنعاش الاجتماعي مصدرها الإحصائيات الأكثر تجدّداً للمركز الوطني للتعليم كما جاءت في تقريرٍ صادرٍ عن "مركز الثقافة والجرائم الاجتماعية (جمعيّة المجتمع المنفتح)، التعليم لتلافي الجريمة، أيلول/سبتمبر 1997؛ برنامج فيريزون ريدس على الموقع www.verizonreads.net؛ لزلي ماكوي، التثقّف في أمريكا، ذي فيلادلفيا تريبيون، 3 كانون الأول/ديسمبر 2002. لمزيدٍ من المعلومات حول برامج مكافحة الأمّية، راجع موقع، "المتطوعون لأجل التثقيفٍ في أمريكا" www.literacyvolunteers.org و"نساءٌ وثقافة" على الموقع www.womeninliteracy.org.

إحصائياتٌ تتناول الإنفاق على التعليم والسجون مصدرها دائرة الإحصائيات العدليّة، المركز الوطني للإحصائيات التربويّة، الاتحاد الوطني لمديري ميزانية الدولة، ودائرة الإحصاء الرسمي الأمريكي كما وردت في تقرير خاص نشرته ماذر جونز بعنوان، مديونيّة المجتمع، 2001.

لمزيدٍ من المعلومات حول تباين الدخل في الولايات المتحدة، إقرأ تقرير دائرة الإحصاء الرسمي، نظرة موجَزة عن تباين الدخل في الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب، حزيران/يونيو 1996 (تغطّي السنوات الممتدّة بين عامي 1947 و1992) والمظهر المتبدّل لتوزيع الدخل القومي، 1947-1998، حزيران/يونيو 2000. راجع أيضاً مقالة بول كروغمن لمزيدٍ من الثراء، نيويورك تايمز، 20 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

الفصل الحادي عشر: إزاحة بوش ومهام تنظيفية روتينية أخرى

في العام 2000، حصل غور على 48.38 بالمئة من نسبة الأصوات وحصل رالف نادر على 2.74 بالمئة، وفقاً للنتائج الرسمية من اللجنة الفدرالية للانتخابات (www.fec.gov). ويبلغ المجموع 51.12 بالمئة.

كما جاء في تقريرٍ للـ نيويورك تايمز (ديفيد روزنباوم، متحدّياً الشعارات اليسارية أو اليمينية، يحقق خوض دين الانتخابات للعام 2004 نجاحات 30 تموز/يوليو 2003)، "يبقى دين محافظاً مالياً، ويؤمن بأن ضبط استخدام السلاحً هو شأن الولايات ويحبّذ حكم الإعدام لبعض الجرائم".

وفقاً للتقريرٍ الصادرٍ عن دائرة الإحصاء الرسمي الأمريكية في شهر شباط/فبراير 2002، التصويت والتسجيل في انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر 2000، شارك 42.359.000 رجل أبيض وذوي أصول إسبانية في الاقتراع. واحتُسب 110.826.000 صوت، 38.22 بالمئة منهم لرجالٍ بيض. وبلغت أصوات النساء من كافة الأعراق 59.284.000 صوت، أي ما يوازي نسبة 53.49 بالمئة. وأدلى 5.327.000 رجل أسود بأصواتهم في انتخابات العام 2000، أي ما يوازي نسبة 4.81 بالمئة، بينما شكّل الرجال ذوو الأصول الإسبانية الـ 2.671.000 نسبة 2.41 بالمئة من الأصوات – ويبلغ المجموع 7.22 بالمئة. وهكذا، كانت نسبة أصوات الرجال السود وذوي الأصول الإسبانية، والنساء 60.71 بالمئة من مجموع الأصوات.

المرأتان الاثنتان المنتميتان إلى مجلس الشيوخ عام 1991 كانتا نانسي كاسيباوم (جمهورية – كانساس)، التي كانت عضواً بين عامي 1978 و1997، وباربارا ميكولسكي (ديموقراطية – ميريلاند)، التي ما زالت عضواً منذ العام 1987. والنساء الأخريات الأعضاء في مجلس الشيوخ هنّ: ليزا مركوسكي (جمهورية – ألاسكا)؛ بلانش لينكولن (ديموقراطية – أركانساس)؛ دايان فاينشتاين (ديموقراطية – كاليفورنيا)؛ باربارا بوكسر (ديموقراطية – كايفورنيا)؛ ماري لاندريو (ديموقراطية – لويزيانا)؛ أوليمبيا سنوو (جمهورية – ماين)؛ سوزان كوليتر (جمهورية – ماين)؛ ديبي ستيبناو (ديموقراطية – ميشيغن)؛ هيلاري رودام كلينتون (ديموقراطية – نيويورك)؛ إليزابيت دول (جمهورية – نورث كارولاينا)؛ كاي بايلي هاتشينسن (جمهورية – تكساس)؛ باتي موراي (ديموقراطية – واشنطن)؛ وماريا كانتويل (ديموقراطية – واشنطن). والمرأة الأولى التي انتُخبت عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي كانت هاتي وات كاراواي (ديموقراطية – أركانساس). ومع ذلك، هي لم تكن المرأة الأولى العضو في مجلس الشيوخ – بل ريبيكا لاتيمر فلتون (ديموقراطية – جورجيا) التس عُيِّنت لملء

مكان شاغر عام 1992. وككلّ، ومنذ العام 1922، فإن الشعب الأمريكي الطيّب – 51 بالمئة منهم نساء – نجحوا في تخصيص ثلاثة وثلاثين مقعداً فقط للنساء في مجلس الشيوخ. وللاطّلاع على لائحة كاملة من النساء الأعضاء في مجلس الشيوخ، قم بزيارة موقع مجلس الشيوخ على الإنترنت www.senate.gov. ولحصول على لائحة كاملة للرئيسات... حسناً... لِمَ ما زلتم مستمرّين بالقراءة إذاً؟ الكتاب وُضِع! إذهبوا وأزعجوا أوبرا كما قلت لكم!

بينما تشير تقديرات دائرة الإحصاء الرسمي إلى وجود 146 مليون امرأة في هذا البلد، فإنهنّ غير مؤهّلات جميعاً لخوض معركة الرئاسة. ولتكوني رئيسة الولايات المتحدة، يجب أن تكوني مواطنة أمريكية بالميلاد، وأن يتخطى عمرك الـ 35 عاماً. ووفقاً لتقديرات دائرة الإحصاء الرسمي، هناك 66.190.000 امرأة مؤهّلة لتكون إحداهنّ رئيستنا المقبلة.

إعلان أوبرا بأنها لن تخوض "أبداً" معركة الرئاسة ظهر في تقارير عديدة ومنها تقرير بيغي أندرسن، أوبرا تخوض معركة الرئاسة؟ 'أبداً' أسوشيتد بريس، 31 أيار/مايو 2003.

لمزيد من المعلومات عن الجنرال ولسي كاي. كلارك ومؤهّلاته، تفحّص موقع المؤسسة التي أنشأها بهدف "تشجيع حوارٍ وطني حول مستقبل أمريكا" www.leadershipforamerica.org. وما أعلنه عن كونه مؤيّداً لحرّية الاختيار وضبط استخدام السلاح ظهر في برنامج كروسفاير على الـ سي. إن. إن. بتاريخ 25 حزيران/يونيو 2003. وتحدّث عن مشروع بوش لخفض الضرائب، وباتريوت أكت، والسلوك الإيجابي، في برنامج لقاء مع الصحافة على الـ إن. بي. سي. بتاريخ 15 حزيران/يونيو 2003. وظهرت تعليقاته حول مهاجمة إيران في برنامج بيغ ستوري على محطة فوكس نيوز بتاريخ 23 حزيران/يونيو 2003، بينما عبّر عن آرائه حيال العمل مع حلفائنا في برنامجٍ لقاء مع الصحافة على الـ إن. بي. سي. بتاريخ 16 شباط/فبراير 2003. وأخيراً، طُرحت أفكار كلارك عن البيئة في خطابٍ ألقاه أمام مجلس العلاقات الخارجية بتاريخ 20 شباط/فبراير 2003.

إذا كنت مهتمّاً بأن تكون مندوباً في دائرة انتخابية أو بأن تتولّى مهمّة آخر

أو إذا كنت راغباً باستعادة الحزب الديموقراطي موقعه الريادي، قم بزيارة الموقع www.dnc.org، حيث توجد تفاصيل عن الحزب في متناول الجميع تزوّدك بمعلومات عن الحزب في مختلف الولايات، ولا سيّما في ولايتك. فقط لا تطلعهم على مخططاتك.

سواءٌ كنت تبحث عن مهمّة ما أو عن مزيدٍ من المعلومات أو تريد فقط معرفة المزيد عن المرشَّحين وما يمثّلونه، فإن موقع "مشروع التصويت الذكي" (www.vote-smart.org) هو مكانٌ مناسب للانطلاق. ومن خلال هذا الموقع، يمكنك العثور على مسؤوليك المنتخَبين، وعلى ما يجعلك تلج مواقع المرشَّحين، إضافةً إلى مجموعة وافرة من المعلومات المتعلّقة بالاقتراع.

إذا أردت تسجيل اسمك للاقتراع أو إذا كنت بحاجة لتسجيل أسماء أصدقائك الذين ستصطحبهم معك للإدلاء بأصولتهم أيضاً يوم الانتخاب، قم بزيارة الموقع www.rockthevote.com. ويمكنك التسجّل مباشرةً من خلال الموقع، ويمكنك حمل أصدقائك على القيام بالمثل أيضاً.

والأهمّ من كل ذلك أن تبقى على اطّلاعٍ على كل ما يجري. إستمع إلى الإذاعة الوطنية العامة، وباسيفيكا راديو، واقرأ الصحف أو حاول تفحّص المواقع التالية باستمرار: www.buzzflash.com، www.commondreams.org أو www.cursor.org لمعلوماتٍ يومية عن تطوّر الأحداث.

شكر

أرغب بتوجيه الشكر لزوجتي، كاتلين، التي كانت تدير جهاز الراديو وتبدأ بالرقص عندما لم أكن أشعر بالرغبة في الكتابة. وكنت أستعيد الوحي فجأةً مثابراً على الكتابة والحياة.

أرغب أيضاً بتوجيه الشكر لابنتي، ناتالي. فقد تخرّجت من الكليّة هذا العام، وهو أمرٌ لم نحقّقه لا زوجتي ولا أنا. ونحن فخوران بها جدّاً.

وأرغب بتوجيه الشكر لشقيقتي آن. فقد ساهمت كثيراً في عملي خلال السنتين الماضيتين، ناسيةً أنها ما زالت محامية. وعندما لم يقم الناشر الأخير بتنظيم جولة تعريف عن الكتاب، قامت هي - وقادتنا بالباص الصغير من مدينةٍ إلى أخرى. وعندما عُرض فيلمي للمرّة الأولى في كان، أصبحت مدير أعمالي الفعلي. وعندما كنت بحاجةٍ لإلغاء بعض أجزاء هذا الكتاب، كانت وزوجها الرائع، جون هاردستي، إلى جانبي حتى النهاية المريرة. كل هذا، وهي ليست سوى الولد الأوسط!

وأرغب بتوجيه الشكر للشخص الذي ابتكر المخلّل بالتوابل. هو نقيصتي الأخيرة المتبقّية.

وأرغب بتوجيه الشكر لزميلي القديم، جيف جيبس، الذي كفلني في أكثر من مناسبة خلال السنوات الأخيرة. وجلس معي باحثاً عن الوقائع واحدةً تلو الأخرى فيما كنت أكتب. وحثّني على المحافظة على تألّق الكتاب، عندما كنت أرغب بكتابة القوافي فقط، من حينٍ إلى آخر. هو رجل نابغة. فبالرغم من عدم تعاطيه العمل السينمائي قبلاً، فقد قام بإنتاج بعض المشاهد الجديدة بالتنويه في فيلم Bowling for Columbine. وبالرغم من عدم وضعه موسيقى لفيلمٍ من قبل، فقد وضع موسيقى لفيلمي خلال خمسة أيام بعد إخفاق الموسيقى الأصليّة. ماذا بعد؟ إنه يخيفني.

وأرغب بتوجيه الشكر لآن كوهين وديفيد شانكولا، هيئة المستشارين لهذا الكتاب. فطيلة أشهرٍ، عملوا معي بكدّ على كلّ كلمة. وساعدوا على كتابة هذا الشيء اللعين، وإعادة كتابته، وإعادة صياغة كلماته، وإعادته برمّته. فقد تولّوا أمر الأبحاث، وتصحيح التجارب الطباعية، والتحقق من الوقائع. بأيّة طريقةٍ أكافئهم؟

شكرٌ أيضاً لتيا لسين، كارل ديل، ونيكي لازار لمساهمتهم في مزيد من التحقق من الوقائع وإجراء الأبحاث عندما كان يُفترَض بهم أيضاً تسهيل تسلّلي إلى أفغانستان.

وشكرٌ أيضاً للأطبّاء المقيمين - برندون فيتزغيبونز، جايسن كيتشن، سو نيلسن، ستيفاني بالومبو، مايكل بولوك، براد تومسون، ودوغ وليامز - وللمحرّرين ريبيكا كوهين وإيما تراسك، ولأولئك الذين قرأوا المخطوطة وقدّموا اقتراحات جيّدة: آل هيرفيلا، جوان دوروشوو، رود بيرلسن، تيري جورج، فيرونيكا مور، كلسي بايندر، ليا بايندر، روكي مارتينو، وجايسن بولوك. وشكرٌ جزيل لمحرّري النسخة المعدَّة للطباعة: لوري هول ستيل، ماري جو زازويتا، وتيري ألن.

وأرغب بتوجيه الشكر للكنديين. لو لم تكونوا هناك لما كانت لنا فكرة عمّا كان يعترينا من شوائب.

وأرغب بتوجيه شكرٍ ملؤه المودّة لناشري وارنر بوكس - لا يمكنني طلب أشخاصٍ أفضل. أوّلاً، شكرٌ للاري كيرشبوم لقوله إن الشيء الأكثر أهميّة "وضع الكتاب بأفضل حلّة على أن تشعر بالرّضى حياله - لا تقلق بشأن الموعد الأخير لإنجازه!" فلم أسمع أبداً شخصاً في مركز المسؤولية والنفوذ يقول لا تقلق بشأن الموعد الأخير! لا تبرّر! تتمتّع برباطة جأش.

وأرغب أيضاً بتوجيه الشكر لمحرّري في وارنر بوكس، جايمي راب. فحماستها، واستجابتها الإنسانية الأصيلة لكتابي مثّلت التشجيع التي كنت بحاجة إليه. وأشكرها على صبرها وتفاعلها مع طريقتي الجنونيّة في العمل. هي الأفضل.

وأريد أيضاً توجيه الشكر لكلّ الأشخاص الآخرين في وانر بوكس الذين شاركوا في هذا المشروع. وشكرٌ أيضاً لبول براون لتصميم الغلاف. فبعد العمل العظيم الذي قام به في فيلم "رجال بيض أغبياء"، لم يكن بإمكان أي شخصٍ آخر تصميم هذا الغلاف (فكرة لشانكولا).

شكرٌ أيضاً لمورت جانكلوو، وكيل جيدي ماستر. فلن يزعجوني أبداً ما دمتم أنتم القوة!

وأرغب بتوجيه الشكر للموسيقيين وقد استمتعت إلى موسيقاهم بينما كنت أكتب هذا الكتاب: بروس، ذي ديكسي تشيكس، باتي غريفين، يو2، مادونا، ألانيس، كاسي تشامبرز، ستيف أيرل، آيريس ديمنت، نانسي غريفيث، وارن زيفون، آر. إي. إم، بيرل جام، أوديوسلايف، وذي بريتندرز. فقد ساعدتني كثيراً على الكتابة.

وأرغب بتوجيه الشكر للأشخاص الإيرلنديين في المقاطعات وهم دونيغال، أنتريم، ديري، وغالاواي الذين دعونا إلى منازلهم وسمحوا لي باستعمال جهاز الكمبيوتر الحضني خاصّتي بحيث أتمكّن من إنهاء الكتاب، بينما كان الناشر يظنّ بأنني كنت في شوارع نيويورك.

وأخيراً، شكرٌ لوالدي الذي اعتنى بي عندما كان يُفترَض بي العناية به خلال هذه السنوات الأكثر حزناً وكآبة.

حول الكاتب

مايكل مور الذي وعد بأن يكون كتابه الأخير آخر ما يضع من كتب، كان له للأسف النجاح الذي كان يتجنّبه وأُجبر على وضع هذا الكتاب. فقد كتب قصصاً وروايات حقّقت أفضل نسبة من المبيعات وهي حجّموا هذا الشخص: تهديدات عشوائية يطلقها أمريكيون غير مسلّحين Downsize This: Random Threats from an Unarmed American، وبالتعاون مع كاتلين لين، مغامرات في دولة التلفاز Adventures in a TV Nation. وبعد استمراره على قائمة ذي نيويورك تايمز لأفضل المبيعات طوال ثمانية وخمسين أسبوعاً، أصبح كتابه "رجال بيض أغبياء" Stupid White Men الكتاب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة عام 2002-2003 من فئة الكتب غير الخيالية، وقد طُبعت منه أكثر من 4 ملايين نسخة في العالم. ونال جائزة "كتاب العام" في بريطانيا العُظمى دون أن ينال أيّ شيء في الولايات المتحدة، باستثناء هذا الطلب المتكرّر منه للنجاة بنفسه من الرئيس. ونال مايكل مور جائزة "أوسكار" عن صناعة فيلمه Bowling for Columbine والأفلام الوثائقية الكلاسيكية Roger & Me. وفاز أيضاً بجائزة "إيمي" كونه كاتب/مخرج/مضيف دولة التلفاز TV Nation والحقيقة المروّعة The Awful Truth. وقد فشل بالفوز بجائزة "غرامي" أو "توني"، ولكنّه يأمل بحلّ هذه المسألة ما إن يتعلّم الغناء والتمثيل. وفقد مؤخراً اثنين وخمسين باونداً (24 كلغ) لرفضه تناول كلّ ما كُتب عليه "خالٍ من الدسم"، وهو يعمل على فيلمه التالي بعنوان فهرنهايت 11/9. يعيش مع زوجته وابنته في ميشيغن ونيويورك.